انعكاسات فايروس كورونا تحيي نظرية المؤامرة

ص7

محمد فهمي وزير داخلية لبنان وفق النموذج السوري

ص8

نهاية قريبة للحرب السورية التركية

ص3

العرب

www.alarab.co.uk

أول صحيفة عربية يومية تأسست في لندن 1977

الأحد 2020/02/09

15 جمادى الثانية 1441

السنة 42 العدد 11612

Sunday 09/02/2020

42nd Year, Issue 11612

المغرب يتحرك لقطع الطريق على محاولات تهميشه في الملف الليبي

الرباط تسعى لاستضافة جولة جديدة من الحوار بين الفرقاء الليبيين

مواقف منسجمة

الرباط – يعمل المغرب على استعادة زمام المبادرة في الملف الليبي في ظل تزايد التنافس الإقليمي والدولي للسيطرة على الملف.

ويعكس تعمد عدم دعوة المغرب لمؤتمر برلين الذي عقد حول ليبيا في الـ19 من يناير الماضي محاولات لاستبعاده من الملف الذي كان له دور بارز فيه حيث استضاف طيلة سنة 2015 جولات الحوار بين الفرقاء الليبيين والتي انتهت بتوقيع اتفاق الصخيرات.

وفي أولى خطواته لاستعادة دوره في الملف الليبي، استقبل المغرب وزير الخارجية بالحكومة المؤقتة (غير معترف بها دوليا) عبدالهادي الحويج الجمعة، حيث أجرى مباحثات مع نظيره المغربي ناصر بوريطة.

وعقب اللقاء قال الحويج إن "الأشقاء في المغرب ملكا وحكومة وشعبا بذلوا خلال 2015 جهودا توجت بتوقيع اتفاق الصخيرات"، لافتا إلى أن "الاتفاق كان جيدا لكنه لم ينفذ حيث تم تجاهل بند الترتيبات الأمنية الذي ينص على نزع سلاح الميليشيات وإخراجها من العاصمة طرابلس وباقي المدن، كما تم أيضا تجاهل البند المتعلق بالمصالحة الوطنية".

ولفت الحويج إلى أنه سيتم إطلاق حوار بعد تحرير العاصمة طرابلس من الميليشيات لافتا إلى إمكانية الاستئناس بتجربة الإنصاف والمصالحة المغربية.

وأوضح أن اللقاء الذي جمعه بوزير الخارجية المغربي بحث مجموعة من القضايا المشتركة أهمها رفض التدخل الخارجي ومحاولات الغزو التركي ورفض نشر المرتزقة مشددا على ضرورة أن تكون في ليبيا دولة موحدة وجيش قوي يحمي الحدود ويمنع انتشار السلاح ويوقف الهجرة غير الشرعية.

ومن المتوقع أن يستضيف المغرب خلال الفترة المقبلة جولة من المحادثات بين الفرقاء الليبيين حيث تباحث بوريطة السبت، هاتفيا مع رئيس مجلس الدولة والقيادي في حزب العدالة والبناء الإخواني خالد المشري الذي أكد أن اتفاق الصخيرات يشكل "قاعدة مرجعية قانونية" لأيّ حلّ للأزمة الليبية معربا عن ترحيبه باستضافة المغرب حوارا جديدا بين الليبيين. ومجلس الدولة جسم استشاري منبثق عن اتفاق الصخيرات يضم أعضاء المؤتمر الوطني المنتهية ولايته المؤيدين للاتفاق.

خالد المشري

اتفاق الصخيرات يشكل قاعدة مرجعية قانونية لأيّ حل للأزمة الليبية

ويقول مراقبون إن المغرب الذي راكم خلال السنوات الماضية خبرة في الملف الليبي حيث استضاف لقاءات بين الفرقاء الليبيين حتى بعد توقيع اتفاق الصخيرات مؤهل للعب دور أكثر من بقية البلدان وخاصة تونس والجزائر اللتان تحتاج فيهما السلطات الجديدة إلى وقت لاستيعاب تشعبات الأزمة الليبية.

وفي حين يبدو الموقف التونسي مرتبكا مما يحدث في ليبيا، تحاول الجزائر تدارك تراجع دورها في الملف خلال السنوات الماضية من خلال تقديم نفسها كحلقة وصل بين الدول الفاعلة في الأزمة وبين الفرقاء الليبيين أنفسهم، حيث استقبلت خلال الفترة الماضية عددا من المسؤولين العرب والغربيين كان آخرهم وزير الخارجية السعودي الأمير فيصل بن فرحان آل سعود.

كما قام وزير الخارجية الجزائري صبري بوقادوم بزيارة إلى شرق ليبيا التقى خلالها بالقائد العام للجيش المشير خليفة حفتر وهي الزيارة التي جاءت لتكسر البرود في العلاقات بين الطرفين.

ولا يستبعد مراقبون أن يكون لتركيا والجزائر دور في إقصاء المغرب من مؤتمر برلين الذي كان يروّج له على أنه مؤتمر مفصلي لوضع أسس التسوية للحرب القائمة في البلاد، في مسعى لاستبعاده وتهميشه من الملف.

وعرفت العلاقات التركية الجزائرية تقاربا خلال الفترة الماضية عكسته الزيارات المتتالية للمسؤولين الأتراك إلى الجزائر وكانت آخرها زيارة الرئيس رجب طيب أردوغان وهو ما حمل في طياته تأييدا جزائريا غير مباشر للتدخل العسكري التركي في ليبيا.

وسجل المغرب عشية المؤتمر احتجاجه على عدم دعوته حيث أصدرت وزارة الشؤون الخارجية بيانا استغربت فيه تغييب المغرب من المؤتمر، متعهدة بالاستمرار في الانخراط "إلى جانب الأشقاء الليبيين والبلدان المعنية، والمهتمة بصدق، من أجل المساهمة في إيجاد حل للأزمة الليبية".

وتشهد العلاقات التركية المغربية برودا غير مسبوق يعدّ الملف الليبي أحد أسبابه، حيث استدعى المغرب نهاية ديسمبر الماضي سفيره في أنقرة محمد علي الأزرق.

ورغم عدم صدور موقف رسمي واضح للرباط بشأن إرسال أنقرة لقواتها إضافة إلى المرتزقة السوريين لمساندة الميليشيات في طرابلس إلا أن مراقبين يؤكدون انزعاجها الذي ينبع من إيمانها بخطورة تحويل ليبيا إلى "مكبّ" للمتطرفين على الأمن المغاربي.

ويقلق سعي أنقرة للهيمنة على أفريقيا المغرب وينظر إليها كتهديد لمشروعه الأفريقي حيث حرص المغرب خلال السنوات الماضية على تعزيز دوره في القارة السمراء وعقد العديد من الصفقات مع عدد من البلدان الأفريقية.

وتنظر تركيا لليبيا كبوابتها الرئيسية للتغلغل في أفريقيا لذلك تحاول جاهدة إنقاذ الميليشيات الإسلامية ومنع سيطرة الجيش على طرابلس.

وديعة بالمليارات من السراج لدعم الليرة التركية

طرابلس – سارعت حكومة الوفاق في طرابلس لنجدة الليرة التركية المتهاوية من خلال ضخ أربعة مليارات دولار في خزينة المصرف المركزي التركي، في الوقت الذي يعاني فيه الليبيون من شح في السيولة، الذي تراجع خلال الشهور الماضية.

وخسرت الليرة التركية أكثر من 30 في المئة من قيمتها مقابل الدولار الأميركي خلال السنتين الماضيتين، ورغم تعهد قطر بضخ 15 مليار دولار في الخزينة التركية إلا أن نزيف الليرة لم يتوقف.

وتعاني المصارف الليبية بالعموم من أزمة سيولة ووصلت خلال العام الماضي إلى مستويات كبيرة أوقفت بعض أوجه الحياة والاقتصاد ولم تتحرك حكومة الوفاق لحل بعض من أوجهها إلا بعد إطلاق الجيش لمعركة السيطرة على طرابلس.

وكشف رئيس لجنة أزمة السيولة بمصرف ليبيا المركزي بالبيضاء (موازي) رمزي رجب الآغا، السبت، أن المركزي الليبي بطرابلس قام خلال الأيام الماضية بتحويل 4 مليارات دولار من احتياطاته النقدية إلى المصرف المركزي التركي كوديعة دون الحصول على عائد عليها.

وأوضح رجب الآغا أن الوديعة ستزيد من احتياطات المصرف المركزي التركي من العملة الأجنبية، وهذا سيكون له أثر إيجابي في استقرار سعر صرف الليرة التركية كما ستكون هذه الوديعة ضمانا للاتفاقيات المبرمة بين الجانب التركي وحكومة الوفاق في ما يخص توريد الأسلحة والطائرات المسيرة.

ولفت إلى أنها ستكون ضمانا لتكاليف علاج الجرحى من مسلحي الميليشيات فضلاً عن استرجاع حقوق الشركات التركية التي تمتلك عقود مشاريع داخل ليبيا أثناء فترة حكم معمر القذافي وتوقف تنفيذها والتي طالب بها الرئيس التركي رجب طيب أردوغان مؤخراً لتعويض شركات بلاده.

وفيما تنفق حكومة الوفاق الأموال في استجلاب المرتزقة السوريين وغيرهم للقتال في صفوفها، يقود القائد العام للجيش الليبي المشير خليفة حفتر، المسنود من القبائل الليبية، معركة لتحرير العاصمة طرابلس من قبضة الميليشيات.

وتثبت التحويلات المالية للمركزي التركي، مواقف القبائل الليبية التي اشترطت رفع الشرعية الدولية عن حكومة فايز السراج مقابل إعادة فتح حقول النفط والموانئ التي تسيطر عليها.

وفي وقت سابق، أعلنت المؤسسة الوطنية للنفط الليبية ومقرها طرابلس أن الإنتاج النفطي انخفض من 1.2 مليون برميل يوميا إلى 32 ألف برميل يوميا، مشيرة إلى أن الانتاج النفطي تراجع بمعدل 75 في المئة عقب إغلاق موانئ النفط الرئيسية شرق ليبيا.

رمزي رجب الآغا

الوديعة ضمان للاتفاقيات المبرمة مع تركيا في ما يخص توريد الأسلحة

وأكدت أن الخسائر المالية بلغت 256.6 مليون دولار حتى الـ23 من يناير، داعيةً إلى "إنهاء الإقفالات والسماح لها باستئناف الإنتاج فوراً".

ويعتبر إغلاق الحقول النفطية أخطر ضربة توجه إلى سلطات طرابلس منذ العام 2011، وخصوصا أنه ناتج عن حراك شعبي تقوده القبائل المؤثرة في مواقع الإنتاج والتصدير، والتي تتهم حكومة السراج والأجهزة الخاضعة لها بتبديد إيرادات النفط في استجلاب المرتزقة وتهريب السلاح وتمويل الميليشيات وأمراء الحرب، في محاولتها التصدي لتقدم الجيش.

السعودية تسجل نقاطا ضد إيران والإخوان في آسيا الوسطى

الرياض تمول عددا من المشاريع في طاجيكستان وأوزبكستان

دوشنبه – سجلت السعودية الكثير من النقاط السياسية لصالحها في صراع جيواستراتيجي على النفوذ مع إيران والتنظيمات الإخوانية في آسيا الوسطى.

وحدثت أغلب هذه التطورات في طاجيكستان، حيث شهد الحضور الإخواني تراجعا كبيرا على مختلف المستويات، في حين تعاني إيران من مقاطعة شبه شاملة من السلطات الطاجيكية ومحاصرة لأنشطة طهران في البلاد.

وقال جيمس دورسي الباحث الأقدم في جامعة نانيانغ في سنغافورة إن "مواجهة الإخوان المسلمين من الأمور التي ترضي السعوديين الذين تدخّلوا لمساعدة طاجيكستان في سنة 2015، عندما توترت العلاقة التي تجمع البلاد بإيران".

وطلبت طهران من طاجيكستان حينئذ أن تسدّد مبالغ مالية طائلة بعد انتشار روايات تزعم نجاح رجل أعمال متهم بالاحتيال في إيران في إيداع مبالغ مالية كبيرة في بنك طاجيكستان الوطني، وإثر اجتماع جمع المرشد الأعلى الإيراني علي خامنئي بزعيم المعارضة الطاجيكية.

وتحسنت العلاقات الطاجيكية مع السعودية التي تعهدت بضخ الأموال لفائدة تطوير مشاريع البنية التحتية مثل محطة راغون للطاقة الكهرومائية والطريق السريع في شرق طاجيكستان وتحسين مجالات مثل التعليم، في حين اتهمت طاجيكستان إيران بالتورط في قتل شخصيات اجتماعية وسياسية طاجيكية و20 ضابطا عسكريا روسيا خلال الحرب الأهلية الطاجيكية في تسعينات القرن الماضي.

وبموازاة المواجهة المتصاعدة مع إيران، تحركت طاجيكستان ووجهت ضربات أمنية لجماعة الإخوان المسلمين وأمرت السلطات الأمنية بإغلاق ألفي مركز يتبع الجماعة خلال السنوات الثلاث الماضية، كما أمرت باعتقال العشرات من رجال الدين الذين اتّهموا بالانتماء إلى جماعة الإخوان المحظورة في كل من طاجيكستان والسعودية، وأمرت بتحويل أكبر مركز لهم في خجندة ثاني أكبر مدينة في البلاد إلى مركز ثقافي.

> طاجيكستان تحوّل أكبر مركز للإخوان المسلمين في خجندة ثاني أكبر مدينة في البلاد إلى مركز ثقافي

وساوت السلطات الطاجيكية بين النشاط الإخواني والإيراني في خجندة وقامت بإغلاق مركز تجاري وثقافي إيراني، ثم وقفت في وجه طهران عندما حاولت الانضمام إلى منظمة شنغهاي للتعاون التي تقودها الصين.

لكن إيران تراهن على أنها قادرة على الضغط على طاجيكستان بسبب انعدام المنافذ البحرية لها، وأن حكومة الرئيس إمام علي رحمن ستجد نفسها مجبرة على إعادة الحياة للعلاقات مع طهران، بسبب حاجتها إلى الموانئ التي توفرها إيران، والتي تعد الأقرب جغرافيا.

وتتبنى إيران سياسة تصالحية مع دول آسيا الوسطى وتضع نفسها جزءا من مبادرة الحزام والطريق الصينية المبنية على فكرة استثمار مليارات الدولارات في البنى التحتية الآسيوية على طول طريق الحرير الذي يربط بكين بالقارة الأوروبية.

لكن ليس بعيدا عن طاجيكستان، تتبنى أوزبكستان نهجا أقل تشددا مع الإخوان وإيران، وان كان يبقى ضمن المقاربة الأمنية في التعامل مع الجهتين.

وتبنى الرئيس الأوزبكي شوكت ميرضيايف نهجا أخف وطأة في التعامل مع الإخوان من سلفه الراحل إسلام كريموف، وقام بإضعاف دور اللجنة الدينية التابعة لجهاز الأمن وإنهاء إشرافها على التعليم الديني والمنشورات والتجمعات وإقالة المشرف عليها، أيدربك توليبوف، دون أن تعين من يخلفه.

وتتحرك السعودية بقوة ولكن بحذر في أوزبكستان إذ زار رجال أعمال سعوديون طشقند مرتين في 2019 للبحث في الفرص الاستثمارية التي توفرها البلاد. وتخطط مجموعة عجلان وإخوانه العالمية التي تركز على تصنيع الملابس في السعودية للاستثمار على مدى خمس سنوات بمبلغ يصل إلى مليارَي دولار.

ليبيا 1 دينار – السعودية 2 ريال – مصر 3 جنيه مصري – موريتانيا 120 أوقية – تونس 900 مليم – المغرب 3 دراهم – الجزائر 7 دينار – البحرين 200 فلس – اليمن 50 ريالا – الكويت 150 فلسا – الإمارات 2 درهم – عمان 200 بيزا – قطر 2 ريال – العراق 2000 دينار – الأردن 500 فلس – سوريا 150 ليرة – السودان 50 دينارا

AUSTRIA 2 € - BELGIUM 2 € - CYPRUS 2 € - FRANCE 2 € - GERMANY 2 € - GREECE 2 € - ITALY 2 € - TURKEY 2.350.000 TL (YTL2.35) - MALTA 2 € - NETHERLANDS 2 € - SPAIN 2 € - SWEDEN 13 KR - SWITZERLAND 3SF - USA $ 1 - UK £ 1

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

برامج الحكومة الجزائرية تتجاهل مطالب الشارع

توسع الهوة بين السلطة والحراك يضع الجزائر على حافة المجهول

بدا المخطط الحكومي المنتظر عرضه في بحر هذا الأسبوع على البرلمان، شاحبا ودون مستوى تطلعات الشارع الجزائري، لاسيما في ظل الارتباك المسجل في أداء المؤسسات العليا للدولة، وغياب معالم مواجهة حقيقية للتحديات المحيطة بالبلاد، خاصة فيما يتصل بالأوضاع السياسية الداخلية.

صابر بليدي

الجزائر - تجاهل المخطط الحكومي الذي أعدته حكومة عبدالعزيز جراد، وينتظر عرضه على البرلمان بعد غد الثلاثاء من أجل الإثراء والمناقشة، الاحتجاجات السياسية الشعبية التي تناهز عامها الأول، ولم يوضح أيّ أجندة للسلطة لإعادة الجزائريين إلى بيوتهم واستعادة الاستقرار للشارع.

وباستثناء المشاورات السياسية التي فتحها الرئيس عبدالمجيد تبون، مع الطبقة السياسية، وتشكيل لجنة تعديل الدستور، وبعض الخطوات المحتشمة لاستعادة ثقة الشارع، على غرار قرار العفو الشامل وتعهدات بإصلاح وضع بعض القطاعات، فإنه لا شيء في الأفق يوحي بخطوات جريئة في هذا الشأن.

> مخطط عمل الحكومة دون تطلعات الشارع الجزائري في ظل تصاعد مؤشرات الاحتجاجات الاجتماعية، على تدهور القدرة الشرائية والبطالة والسكن وتردي الخدمات العمومية

وكان مجلس الوزراء المنعقد برئاسة عبدالمجيد تبون، قد صادق على مخطط عمل الحكومة، في انتظار عرضه على البرلمان، لتكون أول مواجهة بين السلطة الجديدة وبرلمان مطعون في شرعيته، وينتظر حله خلال الأشهر القادمة.

وكان مصدر برلماني، قد أكد لـ"العرب"، بأن "البرلمان يعيش حالة من الغموض والارتباك نتيجة رمادية الأفق، وأن الكتل النيابية والنواب يفكرون الآن في مستقبلهم ومستقبل أحزابهم، وكيفية التموقع في المشهد الجديد، وأن برنامج الحكومة لا يحتل الاهتمام الأول لهم".

ومع ذلك لم يستبعد النائب المنتمي لأحد أحزاب السلطة سابقا، والذي رفض الكشف عن هويته، أن تحتدم المواجهة بين الحكومة وبين الكتل النيابية على خلفية الهوة الواسعة بين الطرفين، فضلا عن فتور العلاقة بين أحزاب الأغلبية والرئيس تبون، الذي خاض الاستحقاق الرئاسي بصفة مستقلة.

ورشح حزب التجمع الوطني الديمقراطي، في انتخابات الثاني عشر من ديسمبر الماضي، أمينه العام عزالدين ميهوبي، بينما ذهب الحزب الحاكم (جبهة التحرير الوطني) إلى دعمه، وهو ما أثار استياء فريق الحملة الانتخابية لعبدالمجيد تبون، نظرا لما وصفه بـ"تنكر" الحزب الذي ينتمي إليه له.

وتستمر الاحتجاجات الشعبية المناهضة للسلطة حيث شهدت الجزائر هذه الجمعة مظاهرات الأسبوع الحادي والخمسين، ويستعد الناشطون لإحياء العام الأول من الحراك في الثاني والعشرين من فبراير بنقلة نوعية تتجه إلى عصيان جديد عبر الامتناع عن دفع مستحقات شركات الكهرباء والغاز والماء والضرائب.

ورغم ذلك يستمرّ تجاهل الحكومة لمطالب الشارع الجزائري، وحولت الديناميكية الديبلوماسية التي تعيشها العاصمة الجزائرية، خاصة فيما يتعلق بالدور الجزائري في الأزمة الليبية، إلى اهتمام لتجاوز وحصر الاحتجاجات الداخلية، ولم ير المتابعون أيّ مبادرة من تعهد تبون بشأن فتح حوار مباشر مع الحراك الشعبي.

ولا زالت الاحتجاجات السياسية متمسكة بمطالبها الأساسية الداعية للتنحي الكلي للسلطة، وتنظيم انتقال سياسي شامل في البلاد، وتعبر عن عدم اعترافها بشرعية الرئيس تبون نفسه وبحكومته، وبالمؤسسات المتبقية من نظام عبدالعزيز بوتفليقة، وترفض ما تسميه بـ"مناورات" الالتفاف على الحراك.

ورغم الأوضاع الحرجة التي تمر بها البلاد، إلا أن مخطط عمل الحكومة بدا دون تطلعات الشارع الجزائري لمواجهة التحديات الاقتصادية والاجتماعية المطروحة، لاسيما في ظل تصاعد مؤشرات الاحتجاجات الفئوية والاجتماعية على تدهور القدرة الشرائية والبطالة والسكن وتردي الخدمات العمومية.

وغرقت حكومة عبدالعزيز جراد، في "كيس حليب"، بعد اللغط المثار حول ندرة المادة المذكورة، لأسباب لا زالت مجهولة، ولم يتمكن وزير التجارة كمال رزيق من تقديم حلول استعجالية للأزمة، واكتفى بتغريدات التهديد والوعيد على حسابه الخاص في تويتر.

وتستمر أزمة حليب الأكياس في الجزائر منذ عدة أسابيع، إذ تتقاذف مختلف الأطراف الفاعلة في القطاع مسؤولية الندرة، ولم تعلن وزارة التجارة عن الأسباب الحقيقية للتذبذب اللافت في المادة وندرتها في الأسواق المحلية، رغم أن الفرضية الأولى تتجه إلى نقص المادة الأولية (مسحوق الحليب) التي تستورد من الخارج.

وذكر بيان مجلس الوزراء، بأن "مخطط عمل الحكومة، في اجتماع مجلس الوزراء، يبرز ضرورة الاستعجال في اعتماد مراجعة عميقة لأنماط الحكامة، واستنباط قواعد جديدة لإنجاح سياسات التنمية وخلق ديناميكية تفاعلية".

وأضاف "مخطط عمل الحكومة، يستمد ديناميكيته من عدة آليات، أبرزها إصلاح نظام الانتخابات، وتفعيل آليات مبتكرة للإصلاح المالي والضريبي، وطمأنة المتعاملين الاقتصاديين الأكثر تضررا من الاختيارات غير الملائمة في مجال تسيير شؤون الاقتصاد، ويركز على تحقيق ثلاثية التجديد الاقتصادي القائم على الأمن الغذائي والانتقال الطاقي والاقتصاد الرقمي".

ولفت إلى أن المخطط يولي أهمية كبيرة للجانب البشري، من خلال برنامج متكامل لإصلاح وتقويم منظومة التربية والتعليم العالي والبحث العلمي والتكوين والتعليم المهنيين، وتطوير قطاع الصحة والثقافة ودعم الرياضة والتربية البدنية في مختلف أطوارها، فضلا عن رفع القدرة الشرائية للمواطن والتكفل بالفئات الهشة وإعطاء الأولوية في الاستفادة من السكن لذوي الدخل المحدود، مع الاهتمام بالمناطق المعزولة التي لا تتوفر فيها الخدمات الأساسية.

الحراك متيقظ

عبير موسي: تونس أضاعت فرصة لتشكيل حكومة من دون الإخوان

تونس - جددت رئيسة الحزب الدستوري الحر عبير موسي تمسكها بعدم المشاركة في حكومة تتضمن حركة النهضة الإسلامية، وذلك تعليقا على رفضها الدعوةَ التي تلقتها من قبل رئيس الحكومة المكلف إلياس الفخفاخ للمشاركة في مفاوضات تشكيل الحكومة التونسية المرتقبة.

وقالت موسي، السبت، في تصريح لموقع إرم نيوز، إن حزبها لن يشارك في أي مسار حكومي يتواجد فيه تنظيم الإخوان المسلمين، مشيرة إلى أن "تونس أضاعت فرصة لتشكيل حكومة من دون الإخوان". وتابعت عبير موسي قائلة "القوى المدنية التي أسقطت حكومة حبيب الجملي في البرلمان كان بإمكانها أن تشكل حكومة لا وجود فيها للإسلام السياسي ومشتقاته حتى تقي تونس شر الخيارات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية التي وضعها الإخوان منذ قدومهم وتوليهم إدارة البلاد في سنة 2011".

وكان رئيس الحكومة المكلف إلياس الفخفاخ قد وجه الدعوة للحزب الدستوري الحر وحزب قلب تونس، الذي يترأسه قطب الإعلام نبيل القروي، للمشاركة في المفاوضات الحكومية بعد أن أعلن في وقت سابق استثناءهما منها تحت مصوغات عدم الانتماء إلى القوى الثورية.

وتعيش تونس حالة من عدم اليقين بشأن نتائج المفاوضات الحكومية مع اقتراب نهاية المهلة الدستورية لتشكيل الحكومة المرتقبة، وسط تزايد احتمال الذهاب إلى انتخابات مبكرة.

وعمق حزب التيار الديمقراطي (ينتمي إلى كتلة برلمانية وازنة تضم 41 نائبا) الجمعة، أزمة المفاوضات بعد أن صرح أمينه العام محمد عبّو بأن حزبه لم يتوصل إلى أي توافقات خلال اجتماعه برئيس الحكومة المكلف، وبالتالي فهو غير معني مبدئيا بالمشاركة في التركيبة الحكومية المرتقبة.

وكان الحزب من أشد الداعمين لرئيس الحكومة المكلف إلياس الفخفاخ، قبل الانقلاب المفاجئ الذي عزاه مراقبون إلى توسيع الفخفاخ دائرةَ المعنيين بالمفاوضات الحكومية.

وسبق للحزب أن أعلن استعداده لإنجاح المفاوضات والتقليص من سقف مطالبه للمشاركة فيها قبل أن يتراجع ويطالب بتحييد وزارات السيادة ونيل وزارة العدل بالتحديد، وهي وزارة خلافية لا تريد حركة النهضة الإسلامية التفريط فيها.

وتقول القوى السياسية اليسارية والتقدمية إن تشبث حركة النهضة الإسلامية بوزارة العدل يهدف إلى "قبر" قضيتي اغتيال المعارضيين السياسيين شكري بلعيد (أمين عام حزب الوطنيين الديمقراطيين الموحد) ومحمد البراهمي (أمين عام التيار الشعبي).

وتتهم هذه الأطراف حركة النهضة (الفائزة في الانتخابات التشريعية 2019) بالوقوف وراء اغتيال المعارضيين عبر "جهازها السرّي"، فيما تنفي الحركة ذلك وتعتبر الاتهامات مجرد "عداء أيديولوجي".

وترأس القيادي في حركة النهضة نورالدين البحيري وزارة العدل التونسية سنة 2011 وقام بتغييرات قضائية كبيرة، وصفتها هيئة الدفاع عن بلعيد والبراهمي بالمريبة والتي حالت فيما بعد دون صدور أي أحكام قضائية تدين عديد قيادات الحركة الإسلامية في قضيتي الاغتيال.

متمردة على صيغ الحكم القديمة

أزمة ثقة تعصف بحزب الأصالة والمعاصرة المغربي

محمد ماموني العلوي

الرباط - ترجمت الفوضى التي رافقت افتتاح حزب الأصالة والمعاصرة المغربي مؤتمرَه الرابع الخلافات العميقة بين تيار الشرعية الذي يقوده الأمين العام المنتهية ولايته حكيم بنشماس وتيار المستقبل الذي يتزعمه المرشح لرئاسة الحزب عبداللطيف وهبي.

وترى قيادات الحزب التابعة لعبداللطيف وهبي ورئيسة المجلس الوطني فاطمة الزهراء المنصوري، أن حكيم بنشماس جيّش داعميه لنسف المؤتمر ونيته خلق فوضى للبقاء في موقعه.

ويقول مراقبون إن المشاكل التي عاشها حزب الأصالة والمعاصرة خلال السنتين الأخيرتين أثرت سلبا على كيفية اختيار المنتدبين والتعاطي مع القواعد التنظيمية.

ويرى هؤلاء أن الأحقية الشرعية التي دافع عنها كل طرف هي التي ساهمت في حالة الفوضى التي عرفها افتتاح المؤتمر الرابع، الشيء الذي سينعكس على مراحل انتخاب هياكله وأمينه العام.

وعبر بنشماس، في افتتاح الجلسة العامة الأولى، الخاصة بمناقشة التقرير الأدبي والمالي، عن رفضه أن يتحول الحزب إلى "تابع مقابل ما سيُتفضل عليه من مناصب وزارية ومكاسب إدارية تحقيقا لرغبات ذاتية"، مستغربا "هذا المنطق الذي اتخذه البعض بعيدا عن التعددية".

وفي كلمته قال الأمين العام المنتهية ولايته إن الأصالة والمعاصرة جاء لحماية المشروع الديمقراطي الحداثي من قوى الإسلام السياسي ومجموعة المصالح المرتبطة بها، داعيا أعضاء الحزب إلى الثقة في القدرة على الفوز بالاستحقاقات الانتخابية خلال الفترة المقبلة.

وخاطب المؤتمرين قائلا إن "فكرة أن تكونوا عجلة احتياط مكملة لتيار تكشفت حقيقته للمغاربة، ليست هي دوركم".

> يقول مراقبون إن المشاكل التنظيمية التي عاشها حزب الأصالة والمعاصرة خلال السنتين الأخيرتين أثرت سلبا على كيفية اختيار المنتدبين والتعاطي مع القواعد

واتهم الحزب المحسوب على التيار الحداثي بأنه وقع بين أيادي ممثلي الإسلام السياسي بعدما آثر بعض المرشحين لعب ورقة التحالف مع العدالة والتنمية مستقبلا.

ويدافع الشق المناوئ لبنشماس عن عقد سياسي قائم على تطوير الديمقراطية الداخلية من خلال تطبيق اللامركزية على السلطات، حيث أنه لم يعد من المقبول التعامل بمنطق "الزعامة" القائمة على مفاهيم التحكم واحتكار السلط، بل يجب التعامل بمنطق مؤسساتي يتوافق مع القيم والإجراءات الديمقراطية ويسمح بتفويض السلط للجهات ومختلف الأجهزة الحزبية.

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

تكتيكات روسية سورية تستعيد إدلب على مراحل

قوات الأسد تسيطر على سراقب وتتأهب لمعركة الحسم

تعكس سيطرة قوات النظام السوري على منطقة سراقب نقطة تحول في استراتيجية دمشق – موسكو للسيطرة على محافظة إدلب عبر مراحل، فباستعادة سراقب تكون قوات النظام قد مضت بعيدا في بسط سيطرتها على جيب إدلب وسط عجز تركي عن منع ما يبدو أنه خاتمة للحرب السورية التركية التي تخوضها أنقرة عبر فصائل المعارضة السورية والجماعات الجهادية.

الراية تتهاوى

دمشق - سيطر الجيش السوري السبت، على كامل مدينة سراقب التي تشكل نقطة التقاء بين طريقين دوليين يربطان مناطق عدة، في محافظة إدلب في شمال غرب البلاد، فيما يجد آخر المقاتلين في المنطقة أنفسهم أمام خيارات محدودة رغم المساعي التركية لإنقاذهم.

وتحظى مدينة سراقب في ريف إدلب الجنوبي الشرقي بأهمية استراتيجية لأنها تشكل نقطة التقاء بين طريق الـ"إم – 5"، والطريق الدولي المعروف بـ"إم – 4" والذي يربط محافظة حلب بإدلب ثم اللاذقية غرباً.

ويرى مدير قسم الشرق الأوسط في معهد دراسات الحرب نيكولاس هيراس أن "تصعيد قوات النظام في إدلب يتم بموجب ضوء أخضر روسي لإجبار تركيا على نزع سلاح هيئة تحرير الشام وحلفائها مقابل تعهد بوقف الأعمال العدائية".

وواضح أن تركيا تحاول تحييد روسيا عن الصراع الدائر مع أنها تعلم باستحالة ذلك حيث أن عملية إدلب تجري بتخطيط ودعم لا محدود من موسكو.

ويعتبر محللون أن إدلب تشكّل اختبارا مرا للجانبين الروسي والتركي وهما مضطران لخوضه، فإمّا أن يؤسس لمرحلة جديدة من التعاون وهذا يبدو صعبا وإما أنه سيقود إلى تصادم بينهما، تنتظره أطراف كثيرة.

نيكولاس هيراس

تقدم قوات النظام في إدلب يتم بموجب ضوء أخضر روسي

ولا يعرف بعد إلى أيّ مدى ستأخذ عملية كسر العظام الجارية، ومن الطرف الذي سيرفع "الراية البيضاء"، بيد أن الثابت أن عملية العودة إلى ما قبل التصعيد الحالي غير واردة، حيث أن روسيا تعتبر أن انتزاع إدلب من الجماعات الجهادية التي تسيطر عليها أمر مفروغ منه، وأنه لا يمكن الانتقال إلى عملية سياسية دون حسم المسألة.

وتصر دمشق في الوقت الراهن على استعادة طريق "إم – 5" الاستراتيجي الذي يربط محافظة حلب بدمشق، ويتفرع منه طريق ثان يربط محافظة اللاذقية بإدلب. وقد سيطرت الجمعة على جزء كبير منه.

ويؤكّد رئيس تحرير صحيفة "الوطن" السورية المقربة من السلطات وضاح عبدربه أن "إبقاء أيّ منطقة تحت الاحتلال الإرهابي أو التركي غير وارد"، لكنه لا يستبعد في الوقت ذاته أن يحصل ذلك على مراحل.

ويقول عبدربه "بعد فتح الطريقين الدوليين، لا بدّ من التقدم وتحرير كامل المحافظة، شاءت تركيا أم أبت".

وفي انتظار المضي في "تحرير" إدلب، يقول عبدربه إنه سيتم "فتح المجال لمن يريد أن يستسلم أو أن يجري تسوية حقناً للدماء". أما المقاتلون الأجانب "فلا خيار أمامهم سوى الاستسلام والمحاكمة أمام القضاء السوري أو الهروب والعودة من حيث أتوا، أي تركيا".

انفراط عقد الجهاديين

يرى الباحث في الشأن السوري صامويل راماني أنّ مواصلة قوات النظام تقدّمها "تعتمد على ما إذا كان الجيش السوري سيواجه مقاومة شديدة من القوات التركية" أم لا. ويضيف "إذا كان الأمر كذلك، فقد يرغب الأسد في تجميد النزاع مؤقتاً ثم إعادة تصعيده".

وتكتسب منطقة إدلب أهميتها من كونها المعقل الأخير لمعارضي الأسد، إذ أن نصف القاطنين فيها نازحون من محافظات أخرى، وضمنهم مقاتلون معارضون غادروا مناطقهم إثر اتفاقات إجلاء أعقبت هجمات واسعة لقوات النظام. ويبلغ عدد مقاتلي الفصائل المعارضة في إدلب حوالى ثلاثين ألفا، بحسب المرصد السوري لحقوق الإنسان، وعشرين ألفا من هيئة تحرير الشام والفصائل الجهادية.

والمحافظة ومحيطها مشمولان باتفاق أبرمته روسيا، أبرز حلفاء دمشق، وتركيا الداعمة للفصائل المعارضة في سوتشي في سبتمبر 2018، ونص على إقامة منطقة منزوعة السلاح تفصل بين مواقع سيطرة قوات النظام والفصائل.

ونصّ الاتفاق على فتح طريقين دوليين، تسيطر الفصائل على أجزاء منهما، يمران عبر إدلب ويربطان محافظات عدّة ببعضها قبل نهاية عام 2018. وتراجع التوتر لبعض الوقت بعد توقيع الاتفاق، لكن لم تحصل أي انسحابات لمقاتلي هيئة تحرير الشام، فيما استأنفت دمشق هجماتها على مراحل، وتمكّنت من قضم مناطق واسعة.

ومنذ ديسمبر الماضي، نزح أكثر من نصف مليون شخص وفق الأمم المتحدة جراء تصعيد قوات النظام عملياتها بدعم روسي في مناطق في إدلب وجوارها واقعة تحت سيطرة هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقاً) وحلفائها وتؤوي أكثر من ثلاثة ملايين شخص. وقد نجحت في التقدم والسيطرة على بلدات ومدن عدّة.

وتخشى تركيا التي تستضيف حاليا أكثر من ثلاثة ملايين لاجئ سوري، تدفّق موجات جديدة من النازحين إلى أراضيها، فتغلق حاليا حدودها بإحكام.

ويقول راماني "قد تكون إقامة منطقة عازلة جديدة في إدلب الخيار الأكثر ترجيحاً، لكن من غير الواضح ما إذا كانت تركيا ستمضي في ذلك حتى النهاية".

ويرى أن استمرار دعم أنقرة للمقاتلين سيمكّنهم من الصمود، وتخليها عنهم يعني أن "مستقبلهم سيكون أكثر غموضا".

ويخلص الى القول "قد ينضم بعض السوريين إلى تركيا كمقاتلين أجانب لكن معظمهم، إما سيكونون تحت رحمة قوات الأسد، أو سيواجهون الحياة كنازحين أو لاجئين".

اقتراب الحسم

أعلن الجيش التركي الجمعة، أنه لا يعتزم الانسحاب من نقاط المراقبة في إدلب رغم خسارة ميليشياته لسراقب. وتصرّ أنقرة على التدخل في سوريا رغم تمكن قوات النظام من تحقيق تقدم ميداني هام في الفترة الأخيرة على حساب الجماعات المسلحة.

وحذر الرئيس التركي الحكومة السورية من أنه ستكون هناك تداعيات لأيّ هجمات جديدة. وطالب أيضاً بانسحاب قوات الحكومة السورية إلى أماكن تمركزها السابقة أمام نقاط المراقبة التابعة للجيش التركي، والتي كانت القوات السورية قد تجاوزتها خلال تقدمها في الآونة الأخيرة.

ولا توجد تقديرات دقيقة لعدد القوات التركية في سوريا، خاصة وأن الحدود السورية مفتوحة للجيش التركي في مناطق كثيرة، والقوافل العسكرية متواصلة في الدخول إلى نقاط المراقبة التي لم تضطلع بدور يُذكر لمصلحة الفصائل السورية المسلحة التي تتبع الاستخبارات التركية.

وكانت أنقرة بدأت في نوفمبر 2017 إقامة نقاط المراقبة في إدلب في إطار اتفاق أبرمته مع روسيا وإيران في أستانة عاصمة كازاخستان في سبتمبر 2017.

ولم تكن تركيا قادرة على إدخال جنودها وإقامة تلك النقاط دون الحصول على موافقة الطرف الذي يسيطر على الأرض هناك وهو "هيئة تحرير الشام (جبهة النصرة سابقاً) التابعة لتنظيم القاعدة في بلاد الشام"، حيث كان مقاتلوها يرافقون الضباط الأتراك عند القيام بمهام الاستطلاع لإقامة النقاط.

ويُظهر تقدم قوات النظام السوري في إدلب الموقف الصعب الذي تقف فيه تركيا. وفي مواجهة الهجوم، يقف الرئيس التركي رجب طيب أردوغان أمام خيارين، إما أن يتعهد بإرسال مزيد من القوات ويستمر في القتال، أو أن يقف دون تحرك ويقبل بذلّ الهزيمة على يد الأسد وحلفائه، والتي قد تتسبب في نزوح الملايين من اللاجئين إلى تركيا. وتبدو جميع الخيارات الأخرى غير متاحة؛ فنقاط التفتيش التابعة للجيش التركي، التي اتفقت عليها تركيا وروسيا في سبتمبر 2018، والبالغ عددها 12 نقطة، لا تحقق الردع للحكومة السورية بأيّ حال من الأحوال. وما زال الأسد مصرّاً على استعادة آخر منطقة كبرى في سوريا التي لا تزال تحت سيطرة المسلحين، خارج الشمال الشرقي.

و يرى مراقبون أنه ما لم يدخل الجيش التركي إلى مدينة إدلب على نطاق أكبر بكثير، ويضم أجزاء منها بشكل مؤثر على غرار ما حدث في عفرين وحلب في شمالي سوريا والمنطقة العازلة الجديدة في شمال شرقي البلاد، فإن الأسد سيسيطر على المنطقة لا محالة.

وستتأثر تركيا أيضاً بشكل مباشر، فالرئيس الروسي فلاديمير بوتين يمكنه تقديم بعض المعالجات في الأجل القصير، لكنه لن يُخرج أردوغان من هذه الفوضى.

ويقول الخبير في الشأن الروسي، كريم هاس "لقد أصبح سقوط إدلب أمرًا حتميا لا مفرّ منه، وبعدها سيأتي الدور على عفرين أيضا. وبمجرد أن تغلق روسيا المجال الجوي في عفرين، فإن ميزان القوى هناك سيتغير حتما".

تركيا تخسر في سوريا

رانيا مصطفى

اليوم سيطر نظام الأسد على سراقب. سُلّمت المدينة بغير قتال، سوى مما تبقى من كتائبها المحلية (جبهة ثوار سراقب)، وغالبيتهم عناصر من الجيش الحر سابقاً، عددهم أقل من خمسين، غير إسلاميين، ولا يتلقون دعماً من أي طرف، وكانت هيئة تحرير الشام قد جرّدتهم من سلاحهم الثقيل والمتوسط، لكنهم اختاروا المقاومة حتى الرمق الأخير، رغم حصار المدينة وسقوطها نارياً، وفعلياً، مع فارق القوة النارية، والعدد والعتاد.

لم تقاتل هيئة تحرير الشام، واحتفظت لنفسها بالسلاح الثقيل والمتوسط الذي انتزعته سابقاً من الفصائل الأخرى، وفضلت تأجيل معركتها الوجودية، والانكفاء في الجيب المتبقي من محافظة إدلب.

أما فصائل "الجيش الوطني" المدعومة والتابعة لتركيا، فقد سمح لها بالقتال في ريف حلب الغربي، ومنعت من الاقتراب من مدينة سراقب وريفها، فيما تراجعت "الجبهة الوطنية للتحرير" العاملة في محافظة إدلب عن القتال، وباتت تابعة كلياً لأنقرة، مع انضمامها إلى الجيش الوطني.

المشهد في سراقب مكرر عما حصل في معرة النعمان في 28 يناير الماضي، والبلدتان تقعان على الطريق الدولي "إم – 5"، مع أهمية سراقب الاستراتيجية، كونها همزة وصل مع الطريق الدولي الثاني "إم – 4"؛ ما يعني أن هناك تفاهمات سرية تركية – روسية حول تسليم المنطقة للنظام، وهو ما حصل دون مواجهات تذكر.

الموقف التركي في إدلب شديد التعقيد والغموض. وسبب هذا التخبط في تفسيره يعود إلى عدة عوامل أهمها: أولاً؛ تصاعد تهديدات الرئيس التركي، رجب طيب أردوغان، مع بدء الحملة العسكرية للنظام وحلفائه على إدلب منتصف أكتوبر الماضي، حول انهيار اتفاقات أستانة وسوتشي إذا لم يتوقف الهجوم، واشتراط انسحاب النظام من المناطق التي استولى عليها بين شهري أبريل وأغسطس العام الماضي، في ريف إدلب الجنوبي، وفي ريف حلب.

ويبدو أن هذا التصعيد التركي الكلامي للرئيس أردوغان، يتعلق باعتباراته الداخلية التركية، وللمحافظة على ولاء الفصائل السورية التابعة له، فيما بدا أنه لا يملك القدرة على فرض موقفه على الروس.

والعامل الثاني يتعلق بمساندة واشنطن للموقف التركي، حيث أدان وزير خارجيتها، مايك بومبيو، الاعتداءات في إدلب وأكد على دعم تركيا في الدفاع عن النفس.

والعامل الثالث يتعلق بالتصعيد العسكري المباشر التركي – السوري النظامي، مع استهداف النظام، بدفع روسي، لنقاط المراقبة التركية وقتل ثمانية جنود أتراك، وردّ تركيا بقصف قوات النظام.

روسيا أرادت إرسال رسالة دموية إلى تركيا، عبر دفع النظام إلى استهداف جنودها، للضغط عليها لقبول ما يفرضه الروس من حلول، فيما سمحت لتركيا بالرد حفظاً لماء وجه حليفتها في كل مسارات التسوية السورية، بعد قبولها بمسار تسليم الطرق الدولية دون شروط، وإعادة توزيع الخرائط والحدود مجدداً، وطي صفحة هذه التوترات.

ورغم محاولتنا تفنيد العوامل السابقة، إلا أن التنازل التركي لروسيا، في ملف إدلب يبقى محل تساؤل، رغم أن تركيا تسيطر على عشرات الآلاف من المقاتلين السوريين، الذين باتوا مرتزقة لها، ترسل بعضهم للدفاع عن حكومة الوفاق الليبية التي تدعمها ضد هجوم قوات خليفة حفتر.

قد تكون ليبيا باتت أولوية لأنقرة، ويبدو أن دعم روسيا للطرف النقيض في ليبيا، يجعل طرابلس مهددة بتكرار تعرضها لتطبيق التفاهمات الروسية التركية، الغامضة، على غرار إدلب.

وفي حين أن تأثير الملف الليبي على الموقف التركي في إدلب وارد، إضافة إلى عوامل أخرى تتعلق بحجم التبادل التجاري وصفقة أس – 400 وخطي نقل الغاز "السيل التركي"، لكن هناك عوامل

داخل الملف السوري.

فما زالت أميركا متواجدة في سوريا، وتعزز قوّاتها شرق الفرات، الأمر الذي لم تفعله في ليبيا، لا مع هجوم حلف الناتو منذ تسع سنوات، ولا لاحقاً. وهذا يعني لتركيا بقاء خطر الانفصال الكردي؛ وهنا تتلاقى المصالح الروسية التركية، في خروج واشنطن من سوريا، مع اختلاف الأسباب كلياً، وضيق مساحة تعارضها.

فروسيا الراغبة في استثمار نفط وغاز شرق الفرات، ورفع العقوبات عن النظام، والإسراع بالحل السياسي، تعلم أن سيطرتها والنظام على شرق الفرات مفضّل لدى تركيا، حيث الرغبة في إعادة الأكراد إلى بيت الطاعة، ورفض استقلالية الإقليم ضمن إدارة ذاتية موسعة، وهو ما تريد أن تَضْمَنه تركيا.

وهناك سبب آخر دفع تركيا إلى التمسك بالحليف الروسي، هو عدم الثقة بحليفها الغربي والأميركي، شريكيْها في الناتو، اللذين خذلاها، في ما يتعلق بأمنها القومي، في أكثر من مرة، وغير الراغبين في توجهات حزب العدالة والتنمية، ورئيسه أردوغان، خاصة تجاه إسرائيل ودول الخليج وإيران، ولا يرغبان في توغلها في سوريا، عبر احتواء المعارضة السياسية، ودعم الطرف الإخواني ومن لف لفهم، وقد انقلب عليهم الأميركان مع ثورة يناير في مصر، كما لا يرغبان في توغلها العسكري في سوريا، ودعم فصائل متشدّدة، وبالتالي لا رغبة لدى المجتمع الدولي في إعطاء تركيا مكانة إقليمية يرونها أكبر من حجمها.

لا تتصرف تركيا كدولة قوية منافسة للدور الروسي في المنطقة، فقد تدخّلت في سوريا عبر بوابة ضيقة بدعمها الإسلاميين، وراهنت على استلام الإخوان السلطة، ودعمت المتشددين، حتى أولئك المصنفين إرهابيين من قبل أميركا، وذلك في معركة إسقاط النظام عسكرياً، وهنا كان رهانها الخاسر، حيث كان تفشي الأسلمة العامل المهم لإضعاف الثورة الشعبية، ومبرراً لغياب الدعم الدولي، الرسمي والشعبي، ومبرراً لروسيا لدعم النظام وتمكينه.

منذ المصالحة التركية – الروسية في 2016، عقب اعتذار أردوغان لفلاديمير بوتين عن حادثة إسقاط الطائرة الروسية في 2015، وبدفع من خذلان شركائها في حلف الناتو، في ملف إسقاط الطائرة ذاته، وفي الملف الكردي، ارتأت أنقرة الانتقال إلى الحلف مع روسيا وإيران.

ورغم محاولاتها القفز إلى الجانب الأميركي بين الحين والآخر، لتحقيق التوازن مع روسيا في الملفات السورية، إلا أنها اصطدمت بحقيقة أنها طرف غير مقبول أميركيا وإسرائيليا وعربيا في سوريا، ما جعلها تسلم المناطق لروسيا، بدءاً من حلب الشرقية إلى الغوطة وحمص ودرعا، والآن جاء دور مناطق إدلب، ولا يبدو أنها تحصل على أكثر من جيوب استراتيجية بالنسبة إليها، بالقرب من حدودها في ريف حلب، وفي نبع السلام شرق الفرات، وبتوافق روسي – أميركي، يتجمع فيها مقاتلون إسلاميون مطواعون لها، وهم كل ما غنمته من سوريا.

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

الصفقات منهج في العلاقات الدولية يحوّله ترامب إلى واقع مع إسرائيل

السودان فهم أدبيات التفاعلات الجديدة تمهيدا لحل جزء من أزماته

محمد أبوالفضل
كاتب مصري

حقق لقاء الفريق أول عبدالفتاح البرهان رئيس مجلس السيادة السوداني مع بنيامين نتنياهو رئيس وزراء إسرائيل في عنتيبي بأوغندا، الاثنين الماضي، الكثير من النتائج السياسية التي أرادها الرئيس الأميركي دونالد ترامب، كعرّاب رئيسي لهذا اللقاء. ولم يجد الاجتماع اعتراضات مؤثرة داخل السودان وخارجه، وعلى العكس فتح المجال لمزيد من الجرأة في التعامل مع إسرائيل، وتخطّي الصدمات التي يحدثها أيّ لقاء مع مسؤول ينتمي إليها، وتغليب الرؤى الواقعية على حساب خطاب المقاومة والممانعة.

كشفت إسرائيل عن جوانب واعدة في اللقاء، واحتفت وسائل الإعلام به، وعددت فوائده المادية والمعنوية. واعتبره البعض نوعا من الدعاية والتضخيم والرغبة في الحصول على مزايا رمزية فقط من وراء الاجتماع، أو ضجة مفتعلة للتغطية على عورات صفقة القرن.

أكدت تفاصيل اللقاء الذي عقده البرهان مساء الأربعاء الماضي مع عدد من الإعلاميين، أن المسألة بعيدة عن تمرير صفقة القرن أو القضية الفلسطينية، وأن الموضوع في قمة الجدية، والرجل ذهب إلى عنتيبي وهو في لياقته السياسية الكاملة، وأعلم عبدالله حمدوك رئيس الحكومة بالزمان والمكان والمضمون النهائي، وحصل على مباركته.

قد يكون البرهان حصر هدفه المعلن في رفع اسم السودان من على اللائحة الأميركية للدول الراعية للإرهاب، والدفاع عن مصالح بلاده. وهو عنوان عريض تندرج أسفله الكثير من الخطوط والمعاني والدلالات البعيدة. أبرزها أن الرئيس دونالد ترامب عازم على رفع مستوى الاهتمام بالشأن الإسرائيلي، ويميل إلى توظيف الأوراق التي تملكها بلاده ووضعها في خدمة تل أبيب، وينوي تحقيق اختراقات سياسية كبيرة، والإقدام على ما لم تستطع الكثير من الإدارات السابقة القيام به في مجال التطبيع.

يرى أن ثمة لحظة تاريخية مؤاتية للتعامل مع إسرائيل كجزء أصيل في المنطقة، لا يريد تفويتها، أو يتأخر ويتعثر في استثمارها، لأن الأوضاع الحالية مفتوحة على احتمالات عدة، فإما أن تصبح إسرائيل رقما قويا على الساحة السياسية أو تظل جسما غريبا ملفوظا على الدوام، وتهدر الشوط الكبير الذي قطعته لتعزيز دورها في المنطقة.

تشجّع ردود فعل القوى السودانية الإيجابية للخطوة أو المتحفظة قليلا، على المضي في فضاء الربط بين تحقيق المصالح القُطرية للدول وتطوير العلاقات مع إسرائيل. ويكفي مشهد بسيط حدث الجمعة الماضية، في حي العرب بمدينة كسلا السودانية، حيث كاد المصلون يفتكون بإمام مسجد استطرد في الهجوم على لقاء عنتيبي ووجه انتقادات لاذعة للفريق البرهان.

سقوط ورقة المحرمات

تؤكد حالة اللامبالاة النسبية في السودان وغيره من الدول العربية، أن هناك تغيّرا في التعامل مع ملف العلاقات مع إسرائيل، فلم يعد من المحرّمات الثقافية أن تندلع بسببه التظاهرات العارمة، والتي كان بعض الحكام يقومون بتوظيفها سياسيا للتنصل من مطالب ومقاومة ضغوط متعددة من قبل واشنطن، غير أنها عبّرت في أوقات كثيرة عن عمق الفجوة مع إسرائيل، ووجود كوابح شعبية قوية تمنع محاولات تطوير العلاقات معها.

ظهرت معالم هذا الاتجاه مع كل من مصر والأردن، وهما الدولتان اللتان وقّعتا اتفاقيات سلام مباشرة مع إسرائيل، فلم تحقق هذه الخطوة تقدما كبيرا على صعيد التطبيع في المجالات المختلفة، وظلت محصورة في نطاق العلاقات الدبلوماسية التقليدية والاحتفالات الكرنفالية، وكلما حاولت القاهرة أو عمّان التقارب مع إسرائيل وُوجهت كلتاهما بسلاح الرفض والمقاومة.

اختارت الدول العربية التي قررت الاقتراب من إسرائيل طوعيا أو قسريا، قنوات خلفية للتواصل معها، وغالبيتها كانت برعاية أميركية، وحتى اتفاق أوسلو نفسه الذي وقعته القيادة الفلسطينية مع إسرائيل تم الإعداد له سريا تفاديا لكثير من المعوقات الشعبية التي لم تتقبل في هذه السنوات فكرة التفاهم مع إسرائيل، فما بالنا بالعلاقات الطبيعية.

سقطت الكثير من الأوراق العربية، وتصاعدت حدة الانقسامات الفلسطينية، واتسع نطاق المستوطنات في الأراضي المحتلة، وحدثت تحوّلات كبيرة في المنطقة، وزادت الصراعات والنزاعات، وتبدل الموقف من الأعداء الحقيقيين والمحتملين. وكلها مكونات أرخت بظلال سلبية على القضية الفلسطينية، ورفع "الفيتو" وتغيير المزاج العام من إسرائيل، للدرجة التي أصبحت هناك تهديدات وقواسم مشتركة معها في بعض القضايا الإقليمية.

رفع لقاء البرهان – نتنياهو الكثير من الحُجب السياسية، لأنه تضمّن حوارا موسّعا حول عدد من القضايا التي يمكن التعاون والتنسيق بشأنها. فاللقاء قد يؤرّخ مستقبلا لمرحلة تصبح فيها إسرائيل لاعبا طبيعيا في المنطقة، إذا تم التعامل بجدية مع المسار الأميركي الذي يتبنى خطابا براغماتيا، ولفظ الخطاب الديماغوجي الذي لم يجن منه العرب سوى المزيد من الخسائر.

يعكس إعلان الرئيس ترامب عن صفقة القرن الأميركية وتحديد محاورها دون مشاورات مع السلطة الفلسطينية، أحد أهم ملامح التحولات الكبيرة، فقد كانت مقاربات الرؤساء السابقين للولايات المتحدة الذين اقتربوا من عملية السلام في الشرق الأوسط، تعتمد على مناقشة التفاصيل الدقيقة، والتعامل مع الأمر الواقع بمرونة شديدة، وصل أحيانا حد استجداء الفلسطينيين للجلوس على طاولة واحدة مع الطرف الإسرائيلي.

> إعلان الرئيس ترامب عن صفقة القرن الأميركية وتحديد محاورها دون مشاورات مع السلطة الفلسطينية، يعكسان أهم ملامح التحولات الكبيرة في سياسة واشنطن

في قلب الأحداث

تم الوصول إلى هذا المربع، بل وتجاوزه بخطوات، وباتت واشنطن تستفيد من حجم الضعف في الجسم العربي، والأدوات التي تملكها لممارسة ضغوط متنوّعة تفرض وضع إسرائيل على الكثير من الطاولات الإقليمية. وفي ظل التوترات المنتشرة سوف تأتي لحظة حاسمة للمواجهة والتسوية، سيكون من الصعوبة استبعاد إسرائيل منها. فهي حاضرة في قلب التطورات الفلسطينية والسورية واللبنانية والإيرانية، ناهيك عن الأفريقية.

لم يتأخر السودان كثيرا، وفهم مبكّرا أدبيات التفاعلات الجديدة، ولم ينسق وراء شعارات يمكن أن تضاعف الخسائر. في وقت لم تعد فيه البلاد تتحمل الكثير من التدهور، وقرر اختصار الكثير من المسافات بخطوة واحدة، يأمل أن تحلّ جانبا كبيرا من الأزمات المتراكمة، باعتبار أن الولايات المتحدة وإسرائيل لديهما الكثير من مفاتيح الحل والعقد في المشكلات الإقليمية.

يفضي القياس على الأزمة السودانية إلى التدقيق في أزمات عربية أخرى لا تقل سيولة، وتبدو فيها الولايات المتحدة عنصرا مفصليا، وربما تتكشّف الكثير من المفاجآت فيها قريبا. مفاجآت تكرر السردية الحاصلة مع السودان، وهي الحل مقابل التطبيع. فكم من المشكلات التي يمكن تذويبها على هذه القاعدة.

أدرك البرهان أن أقرب نقطة للوصول إلى الهدف هي الخط المستقيم. لم يتحايل أو يناور أو يمضي في دروب ودهاليز خفية أو يضيع جهده في المهاترات، ويعلم أن الوقت لن يكون في صالح بلاده التي تضخمت عثراتها. وعرف أن هناك ثمنا سيدفعه لرفع اسم السودان من اللائحة الأميركية، وتيقن أن مستقبل السودان مشروط بفتح الخطوط الساخنة مع إسرائيل.

لم تخترع الخرطوم التفاهم على أرضية المصالح. ولم تخلق واشنطن سياسة من العدم في العلاقات الإقليمية والدولية. فكل ما يتم من تفاعل على مستويات متباينة يندرج في إطار تعظيم لغة المصالح. فلا أحد يمنح أو يمنع مجانا، ولا بد أن تكون لديه قائمة بحسابات مكاسب أو درء خسائر، أو بمعنى أدق تقدم الإدارة بالصفقات على غيرها من المواءمات.

أخذ نطاق هذا التوجه في التوسع مع قدوم الرئيس ترامب الذي أخرجه من المواربة والسرية إلى الصراحة والعلنية، وحوّله إلى واقع. وتمادى الرجل في الاعتماد على هذا المنهج. وهناك الكثير من التطورات التي تؤكد أن هذا الطريق أضحى عنصرا حيويا في التقديرات الأميركية مع القضايا الإقليمية، ويحقق النتائج التي تتسق مع أغراض الولايات المتحدة الراهنة.

تعتقد واشنطن أن الصفقات هي اللغة الوحيدة التي يفهمها العالم كطريقة للتسويات الناجزة، والإيحاء بأن عصر الأيديولوجيات انتهى بلا رجعة. ويريد ترامب أن يترك بصماته على النظام الدولي، ومنع استنهاض همم روسيا أو الصين، وتحريض الدول الغربية على التمسك بهذا المنهج الذي يمثل وسيلة لردع خصوم لا زالت لديهم قناعات في العدالة وتطبيق القوانين الدولية، ويساورهم أمل في أن تكون مرجعيات وحيدة في علاقات القوى الكبرى.

يتجاهل هذا النوع من البصمات "الترامبية" الكثير من المعطيات، فقد يفتح الطريق أمام نموّ أدوار الكيانات الصغيرة، من تنظيمات مسلحة وميليشيات ومرتزقة وشركات الأمن المقاتلة على الجبهات. وهي بالفعل بدأت تجد لنفسها موطئ قدم في الكثير من الساحات المليئة بالصراعات. بالتالي لن تستطيع الأمم المتحدة أو أيّ من المنظمات الإقليمية التعامل معها دون دفع مقابل معين، والدخول في تسويات تجني من ورائها أرباحا هائلة. لذلك يمكن أن تؤدي واقعية ترامب وصفقاته إلى الكثير من الأزمات بدلا من حل شفراتها.

خطوة ضرورية

تشرشل وبورقيبة وترامب

مرح البقاعي
كاتبة سورية أميركية

غرّد الرئيس الأميركي دونالد ترامب باللغة العربية، في سابقة لتغريداته، وعلى حسابه الشخصي تويتر، قائلا "هذا ما قد تبدو عليه دولة فلسطين المستقبلية بعاصمة في أجزاء من القدس الشرقية".

أرفق ترامب التغريدة بصورة للخارطة المقترحة للدولتين الإسرائيلية والفلسطينية في إطار خطة سلام الشرق الأوسط، أو ما اصطلح عليه إعلاميا باسم "صفقة القرن"، وهي مشروع جدلي لإنهاء النزاع بين الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني، على طريقة جاريد كوشنر، صهر الرئيس ترامب ومهندس هذه الخطة.

لن أدخل هنا في التفاصيل حيث ينتظرنا ألف شيطان، بقدر ما سأحاول أن أعود إلى الوراء على طريقة فلاش باك لأستعرض شريط الخسارات العربية والفلسطينية منذ نيف وسبعين عاما، في متوالية حروب بين الطرفين الفلسطيني المدعوم عربيا، والإسرائيلي المدعوم أوروبيا وأميركيا، وفي محاولات الطرف الأول استرجاع أرضه المنهوبة رويدا رويدا من قبل إسرائيل، وبغطاء أميركي ودولي.

سأتوقف في استرجاع الأحداث مع الحلول التي اقتُرحت مع بداية سنوات النكبة الفلسطينية، وفي مقدمتها مشروع الرئيس التونسي الراحل، الحبيب بورقيبة، وما طرحه على الطرف الفلسطيني من مخارج سياسية تجاري الظرف الميداني في حينها، والمتراجع باطراد باتجاه الدعم المطلق لإسرائيل ومستوطنيها مقابل التنكّر المبهم لفلسطين وفلسطينييها. في زيارته لمدينة أريحا في 3 مارس من العام 1965، ألقى بورقيبة خطابا في الشعب الفلسطيني ضمّنه رؤيته لطبيعة الحل الممكن للصراع الإسرائيلي الفلسطيني ضمن الظروف القائمة.

في خطابه توجّه الرئيس التونسي المؤسس للدولة التونسية الحديثة ما بعد الاستقلال، بالنقد الشديد لسياسة "الكل أو لا شيء" التي تتخذ منها القيادات الفلسطينية المتعاقبة، التي تولت زعامة حركة التحرير، نهجا استراتيجيا في تعاملها مع الأزمة الإنسانية والسياسية الكبرى إثر نكبة 1948 التي شهدت تهجيرا قسريا للشعب الفلسطيني في عملية هي الأبشع والأكبر حجما في اقتلاع شعب برمته من أرضه التاريخية وإعطائها لمهاجرين قدموا من كل بقاع الأرض لا جامع لهم سوى عنصر الهوية الدينية اليهودية.

يقول بورقيبة في خطابه "إن سياسة الكل أو لا شيء هي التي أوصلتنا في فلسطين إلى هذه الحالة، وأصابتنا بهذه الهزائم، خصوصا وقد أبينا إلا أن نتجاهل وجود اليهود، وإلا أن ننكر التطورات والمعطيات الجديدة، وإلا أن نستهين بما حققه اليهود ونبالغ في تقدير قوة العرب وكفاءة جيوشهم".

ويُسقط بورقيبة الحالة الفلسطينية على التونسية ويقول "وما كنا لننجح في تونس خلال بضع سنوات لولا أننا تخلينا عن سياسة الكل أو لا شيء. ولو رفضنا في تونس في العام 1954 الحكم الذاتي باعتباره حلا منقوصا، لبقيت البلاد التونسية إلى يومنا هذا تحت الحكم الفرنسي المباشر، ولظلت مستعمرة تحكمها باريس".

بورقيبة، وقبل ما يقارب الستين عاما، استطاع أن يتنبأ بأن عهدا سيأتي تصل فيه الخارطة الفلسطينية إلى الحال المزري الذي أعلنه الرئيس الأميركي من واشنطن لشكل "الدولة الفلسطينية" الجديدة، وقد بدت أقرب إلى "تشكيل تجريدي" يجمع بقعا أرضية ضيقة ومتناثرة، لا حدود سيادية لها ولا عاصمة، تربطها أنفاق وجسور ومراكز تسوّق؛ بينما أُسقطت من حساب الدولة الفلسطينية، وعلى طريقة صهر رئيس البيت الأبيض كوشنر، روابط الدم والتاريخ واللغة والعروبة والإسلام التي جمعت أهل فلسطين في مقامهم وشتاتهم في آن؛ لا بل طالب الرئيس الأميركي الفلسطينيين باغتنام "فرصتهم الأخيرة" ومراعاة المستجدّات، وبالتالي القبول بدولة "الأوتوسترادات" المحمية أمنيا من إسرائيل، وإلا خسروا كل شيء!

أما "الكتاب الأبيض" الذي تحدّث عنه بورقيبة، فيرجع بتسميته إلى الورق الأبيض الذي كُتب النص عليه لتمييز أهميته، وهو عبارة عن سلسلة من الوثائق الرسمية أصدرتها الحكومة البريطانية على امتداد سنوات إدارتها لفلسطين، وعددها أربع، موجهة إلى العرب الفلسطينيين.

كان أول هذه الوثائق "كتاب تشرشل الأبيض" الصادر في العام 1922، حيث سعت الحكومة البريطانية من خلاله إلى إزالة المخاوف التي تشكّلت لدى العرب إثر "إعلان بلفور"، وذلك بالتأكيد على أن الوطن القومي لليهود الوارد في ذلك الإعلان "سوف لا يكون على حساب سكان فلسطين ككل"، وبأن "الحكومة البريطانية لا تفكر في القضاء على السكان العرب أو إخضاعهم"، وبأن "جنسية الجميع ستكون الجنسية الفلسطينية، والهجرة اليهودية لفلسطين ستخضع للقدرة الاستيعابية الاقتصادية".

> يقول بورقيبة في خطابه «إن سياسة الكل أو لا شيء هي التي أوصلتنا في فلسطين إلى هذه الحالة، وأصابتنا بهذه الهزائم»

الكتاب الأبيض الثاني، أصدرته الحكومة البريطانية في العام 1928 للتأكيد على الملكية الإسلامية لحائط البراق في القدس، مع حقوق يهودية محددة للوصول إلى الحائط للصلاة. تلا ذلك كتاب ثالث هو كتاب باسفيلد الصادر في العام 1930 ونص على "التزام الحكومة البريطانية بمصالح مجموعتي السكان من عرب ويهود، وليس بمصالح مجموعة واحدة".

أما الكتاب الأبيض الرابع الصادر في تاريخ 27-5-1939، وهو ما أشار إليه بورقيبة، فينبني في مبدأه الأساس على إقامة دولة فلسطينية ديمقراطية تشمل كل فلسطين الانتدابية غربي نهر الأردن، ويتمثّل فيها جميع سكانها من عرب ويهود على قاعدة التمثيل النسبي.

وتكمن أهمية الكتاب في أنه ظل يشكّل عضد السياسة الرسمية الثابتة للحكومة البريطانية منذ صدوره، وعلى مدى سنوات الحرب العالمية الثانية، على الرغم من محاولات الالتفاف عليه من قبل الحكومات البريطانية المتعاقبة.

ومن نافلة القول إن الكتاب الأبيض الرابع صار إلى فشل ذريع، ليس بسبب محاولات الالتفاف البريطاني الرسمي عليه وحسب، وإنما بسبب غياب قيادة سياسية فلسطينية تضع الاستراتيجيات الرافعة له والدافعة لتنفيذ بنوده، هذا ناهيك عن انتفاء وجود دعم عربي فاعل في الاتجاه ذاته، الأمر الذي غلّب خيار التقسيم بتداعياته التراجيدية على حياة ومستقبل الشعب الفلسطيني كلّه، والعربي جلّه.

صفقة القرن التي أعلنها البيت الأبيض، بحضور رئيس وزراء إسرائيل بنيامين نتنياهو، هي الترجمة الأميركية السوداء لكتب بريطانيا البيض، تلك التي تمكّن تاج المستعمرات التي لا تغيب عنها الشمس من خلالها تحقيق الهاجس الأممي في إقامة وطن قومي ليهود العالم على "أرض بلا شعب".

السياسة تحتاج إلى تبني نهج براغماتي

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

لا ثقة بحكومة حسّان دياب

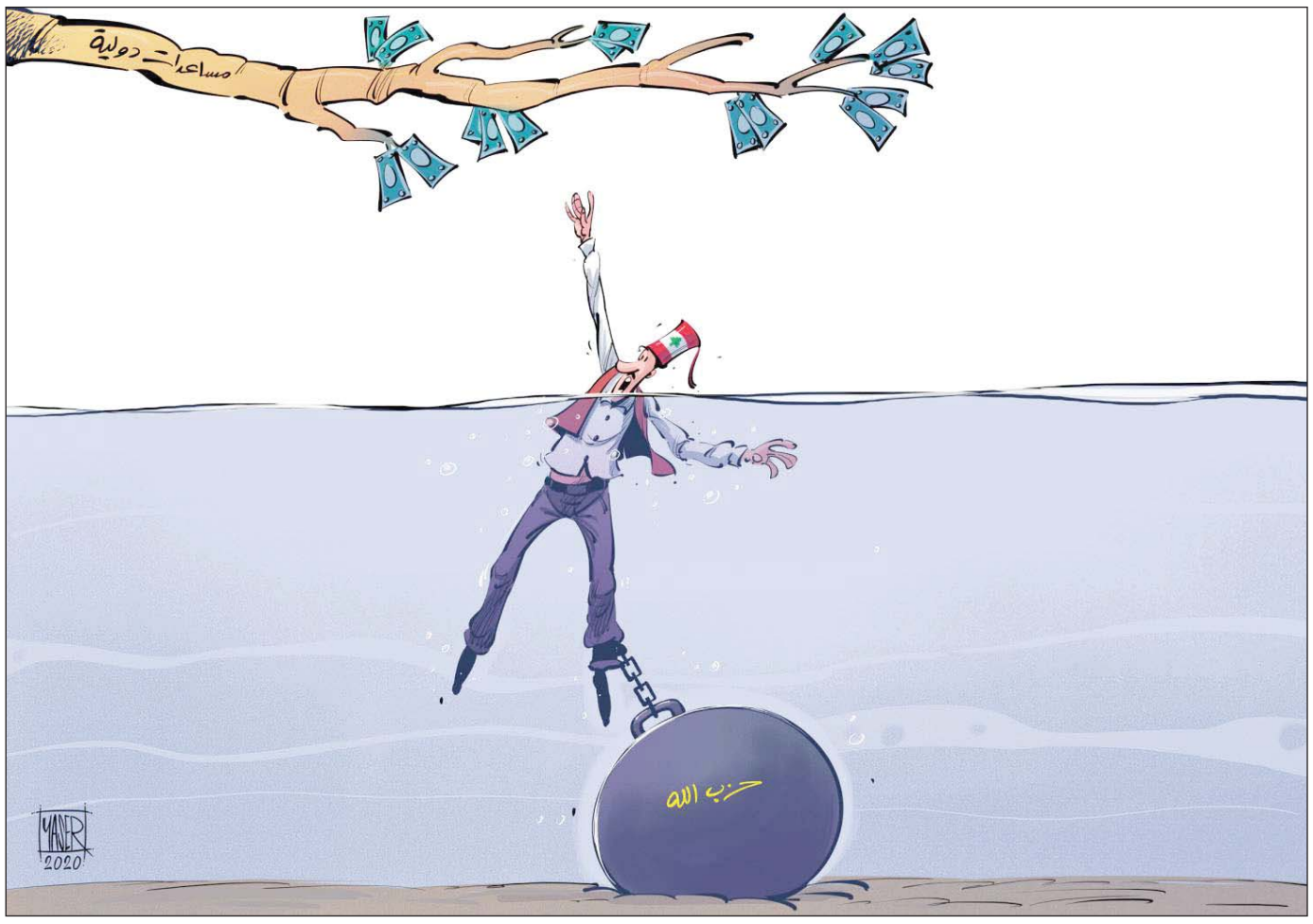

خيرالله خيرالله
إعلامي لبناني

هناك ثقة مفقودة بين الشعب اللبناني وحكومة حسّان دياب. لا يعود ذلك إلى كون البيان الوزاري لا يعني المواطن من قريب أو بعيد فحسب، بل لأنّ "حكومة حزب الله" في "عهد حزب الله" تستورد أيضا حلولا، جرّبت في إيران ويجري تجريبها في العراق، من أجل إسكات الناس. لا يمكن إسكات الناس بواسطة كلام معسول لا ترجمة له على أرض الواقع ترافقه تهديدات مبطنة باللجوء إلى تدابير أمنية لمنع أيّ تحرّك شعبي في بلد لا تقدّم فيه الحكومة أيّ جواب مقنع عن أيّ سؤال منطقي.

المعنيّ بالأسئلة المنطقية لماذا لا تريد الحكومة حلّ مشكلة الكهرباء عن طريق اللجوء إلى شركات معترف بها عالميا ذات خبرة طويلة في هذا الشأن؟

حكومة حسّان دياب والذين شكّلوها لا يدركون أن مشكلة لبنان سياسية أوّلا وأن ليس في هذه الحكومة من هو قادر على التحدث إلى العرب أو الأوروبيين أو الأميركيين. يعود ذلك إلى غياب أيّ عضو في الحكومة يمتلك حدًا أدنى من العلاقات الجيدة مع أطراف خارجية تؤثّر إيجابا على الوضع اللبناني

ليس سرّا أن مشكلة الكهرباء التي يتولّى معالجتها "التيّار الوطني الحر"، أي حزب رئيس الجمهورية وصهره جبران باسيل تتفاقم منذ أحد عشر عاما. أي منذ صارت وزارة الطاقة في عهدة العونيين. كيف يمكن لطرف لا يهمّه سوى بقاء البواخر التركية في البحر قبالة الشاطئ اللبناني أن يجد حلولا لمشكلة الكهرباء التي تتسبب بعجز كبير في الموازنة وتزيد قيمة الدين العام بشكل سنوي؟ لا يمكن إيجاد حلّ لمشكلة مثل الكهرباء لدى استبعاد شركة مثل "سيمنس" سبق أن عرضت خدماتها على اللبنانيين. هذه الشركة الألمانية أثبتت أنّها قادرة على إيجاد مخرج. من لديه أدنى شكّ في قدراتها وخبراتها يمكن إحالته إلى التجربة المصرية حيث نجحت "سيمنس" في جعل بلد من مئة مليون نسمة ينسى، خلال فترة قصيرة، مشكلة اسمها الكهرباء.

ثمّة فارق بين حكومة تمتلك فريق عمل متجانس تضمّ بالفعل اختصاصيين يستطيعون التعاطي مع مشاكل معيّنة وحكومة موظفين عند سياسيين. ولكن ما العمل في بلد صار فيه شخص مثل النائب إبراهيم كنعان (عوني) يتحدّث في السياسة والاقتصاد رافعا صوته في وجه نائب سابق محترم وفاضل ومهذّب مثل روبير فاضل يتكلّم لغة الأرقام والمنطق؟ ألا يدعو مشهد من هذا النوع إلى الترحّم على ما بقي من قيم مرتبطة بالسلوك الحضاري بحدّه الأدنى في لبنان؟

حسنا، لنضع مشكلة الكهرباء جانبا. ما الذي لدى الحكومة تقوله للمودعين الذين حجزت المصارف اللبنانية أموالهم؟ كيف لهذه الحكومة أن تتحدّث عن حلول في أيّ مجال كان إذا لم يكن لديها جواب مقنع عن وضع أموال اللبنانيين. هناك ما يزيد على نصف مليون حساب في المصارف اللبنانية. بكلام أوضح، إن كلّ لبناني تقريبا، من أيّ طائفة أو مذهب معنيّ بأزمة السيولة النقدية. فوق ذلك كلّه، ما الذي يعنيه توقف التحويلات إلى خارج لبنان؟ كيف للشركات اللبنانية متابعة نشاطها؟ عندما تسرّب الحكومة الجديدة أنّها ستحافظ على مصالح ذوي الدخل المحدود، فإن ذلك يعني أنّها ستمسّ بأبناء الطبقة الميسورة وبأموالهم. هل من يمتلك جرأة القول لحسّان دياب، الذي يعتبر نفسه أحد جهابذة العلم والمعرفة، أنّ إفقار الأغنياء لا يفيد الفقراء وأن نظريات "حزب الله" وما شابهه التي تركّز على المسّ بالمصارف هي الطريق الأقرب إلى الكارثة وإلى تكريس حال الانهيار التي وصل إليها لبنان؟

هناك أسئلة منطقية كثيرة لا أجوبة لدى الحكومة عنها. أسئلة من نوع من يقوم بالإصلاحات المطلوبة من أجل تنفيذ الشروط التي فرضها مؤتمر "سيدر" الذي انعقد في باريس في نيسان – أبريل 2018؟

رصد "سيدر"، الذي يعني إصلاحات معيّنة وشفافية مطلقة وشراكة بين القطاعين العام والخاص، نحو أحد عشر مليار دولار للبنان لتنفيذ مشاريع محدّدة. لن يستفيد لبنان من هذا المبلغ بعدما وضع "حزب الله" وأدواته المسيحية وغير المسيحية كلّ العراقيل الممكنة أمام حكومة سعد الحريري كي لا تكون هناك أيّ إصلاحات في أيّ حقل من الحقول أو مكان من الأمكنة كالمطار أو المرفأ، على سبيل المثال وليس الحصر.

الأهمّ من ذلك كلّه، أن حكومة حسّان دياب والذين شكّلوها لا يدركون أن مشكلة لبنان سياسية أوّلا وأن ليس في هذه الحكومة من هو قادر على التحدث إلى العرب أو الأوروبيين أو الأميركيين. يعود ذلك إلى غياب أيّ عضو في الحكومة يمتلك حدًا أدنى من العلاقات الجيدة مع أطراف خارجية تؤثّر إيجابا على الوضع اللبناني. إضافة إلى ذلك، ليس في الحكومة من يستطيع الاعتراف بأنّ لغة البيان الوزاري هي لغة خشبية عفا عليها الزمن في وقت هناك عاملان لا يمكن تجاهلهما.

العامل الأوّل أن إدارة دونالد ترامب في حال حرب مع إيران. سلاحها في هذه الحرب، التي تستهدف أيضا أدوات إيران وأذرعها مثل "حزب الله"، هو العقوبات. أنهكت هذه العقوبات "الجمهورية الإسلامية" التي يتبيّن كلّ يوم أنّها ليست سوى نمر من ورق يمتلك دهاء سمح له بالتذاكي على الإدارات الأميركية المتلاحقة منذ العام 1979. هناك حاليا إدارة مختلفة تعرف تماما ما هي إيران وتعرف في الوقت ذاته ما هو "حزب الله". فوق ذلك، إن هذه الإدارة لم تعد مهتمّة بمراعاة لبنان وأخذ الحساسيات الداخلية اللبنانية في عين الاعتبار. حصل ذلك بعدما زال الخطّ الوهمي أو غير الوهمي، الذي كان يفصل بين "حزب الله" ومؤسسات الدولة اللبنانية في مقدّمها رئاسة الجمهورية والحكومة.

العامل الثاني هو العامل العربي. لا يستطيع لبنان طلب أيّ مساعدة عربية ما دام أهل الخليج على قناعة تامة بأنّه قاعدة لـ"حزب الله". ليس لدى الحكومة الحالية ما تقنع به أيّ دولة خليجية تمتلك إمكانات مالية بأنّ لبنان ليس في المحور الإيراني. يكفي سماع خطاب ما لحسن نصرالله الأمين العام لـ"حزب الله" من أجل التأكد من ذلك، خصوصا عندما يضع نصب عينيه مهاجمة دولة مثل المملكة العربية السعودية لم تقدّم سوى الخير للبنان.

وارد أن تنال الحكومة ثقة مجلس النوّاب. لكنها لن تنال ثقة اللبنانيين الذين يعرفون أن بلدهم في حاجة إلى حكومة من نوع آخر ومن مستوى مختلف وإلى أجوبة عن أسئلة منطقية يطرحها المواطن كلّ يوم.

نعم، لبنان في "مأزق"، لكن حكومة حسّان دياب لن تنتشله منه، لا لشيء سوى لأنه ليس أمامها سوى الحلّ الأمني تلجأ إليه، وهو حلّ مستورد من إيران من النوع الذي تلجأ إليه ميليشيا مقتدى الصدر في العراق.

مجلس وزراء لبنان يناور بالمطالب لامتصاص غضب الحراك

تغيير اسم الحكومة من حكومة الإنقاذ إلى حكومة مواجهة التحديات

تسابق الحكومة اللبنانية برئاسة حسان دياب الزمن لتطويق الغضب الشعبي الرافض لها بإعلانها تبني مطالب الحراك وخاصة الاقتصادية منها، المتمثلة بشكل أساسي بقطاع الكهرباء وعودة النازحين، ملمحة في الوقت ذاته إلى نوع من المقبولية الدولية رغم الجمود في العلاقة مع المحيط العربي، غير أن محاولات الاستمالة التي تبديها حكومة لبنان الجديدة تجاه القوى والشارع المعارض لها لم تجد صدى لحد اللحظة.

بيروت – تتجه الأنظار نحو مجلس النواب اللبناني يومي الثلاثاء والأربعاء المقبلين لمناقشة البيان الوزاري للحكومة الجديدة برئاسة حسان دياب والذي على أساسه تنال الثقة.

وكان مجلس الوزراء قد أقر البيان الوزاري بالإجماع بصيغته النهائية بعد إدخال تعديلات طفيفة تتعلق ببندي خطة الكهرباء وعودة النازحين السوريين بناء على طلب من الرئيس ميشال عون.

الحكومة الجديدة تسرب معطيات عن تحسن الأجواء الدولية حيالها، رغم عدم وجود إشارات إيجابية حتى الآن من المحيط العربي

وفيما تزداد المؤشرات الاقتصادية المقلقة، استدعت المخاوف الأمنية ترؤس عون لاجتماع مجلس الدفاع الأعلى، الجمعة، في قصر بعبدا. ويبدو أن وراء عقد هذا الاجتماع بحثا لتأمين انعقاد جلسة مجلس النواب الأسبوع المقبل، فيما يلفت متابعون إلى أن رئيس الجمهورية استشعر خطرا نتيجة ما جرى في جونية وطرابلس والبترون ليل الأربعاء، والتوتر الطائفي والمناطقي الذي تلا تعدّي مرافقي النائب عن التيار الوطني الحر زياد أسود على محتجين حاولوا طرده من مطعم في ساحل كسروان، وانتشار فيديو عن الاعتداء على أحد الناشطين من طرابلس واستهجان قدومه إلى كسروان، ما أثار ذاكرة الحرب الأهلية السوداء.

وقال مراقبون إن الانطباع ما زال سلبيا حيال ما تسرب عن البيان الوزاري، ولاسيما لجهة تبني الخطة السابقة للكهرباء المعروفة بـ"خطة باسيل"، على الرغم من الاعتراضات الداخلية المتصاعدة ضدها وورود انتقادات خارجية تعتبرها بابا للهدر والفساد.

وجرى تغيير اسم الحكومة من "حكومة الإنقاذ" إلى "حكومة مواجهة التحديات". وأدخلت تعديلات غير جوهرية على البيان الوزاري، واحتل الموضوع الاقتصادي الحيز الأكبر منه. وتوجهت الحكومة في بيانها إلى الحراك من خلال أفكار تحاكي مطالبه. وذكرت المصادر أن البيان احتفظ بالفقرات المتعلقة بمكافحة الفساد وخطة ماكينزي ومقررات مؤتمر سيدر والإصلاحات الاقتصادية والمشاريع الممولة من الدول ومكافحة التهرب الضريبي وضبط الدين العام وتعزيز أجهزة الرقابة.

وبينت المصادر أن خطوات الإصلاح والإنقاذ تقوم على خطط جديدة وضعها الوزراء وتستند إلى مشاريع سيدر وماكينزي والمشاريع الممولة من الدول الصديقة، وهي محددة كما بات معلوما بمهل زمنية تمتد من مئة يوم إلى سنة وصولا إلى ثلاث سنوات.

ولا تحظى "خطة باسيل" للكهرباء التي عملت وفقها وزيرة الطاقة السابقة ندى بستاني بإجماع سياسي داخلي. ونقل عن رئيس مجلس النواب نبيه بري مؤخرا انتقاده لها. وفيما ناقش مجلس الوزراء تبويب الخطة والأولويات، لكن الرئيس دياب تدخل لحسم النقاش مؤكدا، أن كل الأمور قابلة للبحث في ما بعد عند التنفيذ.

ومن المتوقع أن يكون موضوع الكهرباء مناسبة لشن الهجوم على الحكومة في جلسة الثقة المقبلة، خصوصا أن الاحتفاظ بالخطة السابقة سيفهم منه رضوخ للتيار الوطني الحر برئاسة جبران باسيل ووزراء الطاقة المحسوبين عليه الذين تعاقبوا على الوزارة، وأن هذا الأمر سيقابل بغضب سياسي من قبل التيارات السياسية، وشعبي كذلك لدى الحراك.

ومع ذلك رأت بعض المصادر البرلمانية أنه على الرغم من لهجة البيان الوزاري الطموحة إلا أنه هذه المرة أكثر واقعية، وأن مفرداته تحاكي كل المطالب التي أطلقها الحراك الشعبي منذ 17 أكتوبر الماضي، ولاسيما لجهة مكافحة الفساد واستعادة المال المنهوب الذي وضعت له خارطة طريق، وكذلك استقلالية القضاء وإقرار مشروع ضمان الشيخوخة.

وتسرب الحكومة الجديدة معطيات عن تحسن الأجواء الدولية حيالها، ولاسيما من خلال زيارات السفراء وممثلي المنظمات الدولية إلى القصر الجمهوري والسرايا الحكومية. بيد أن المصادر الحكومية ما زالت تعترف بعدم وجود إشارات إيجابية حتى الآن من المحيط العربي وأن الأمر ما زال يحتاج إلى المزيد من الجهود.

واستمر الجدل محتدما حول كيفية التعامل مع مسألة سداد سندات اليوروبوند التي يبدأ استحقاقها في مارس المقبل. وعلم أن اجتماعات مكثفة ستجري على المستوى الحكومي، ولاسيما وزارة المالية، وحاكم مصرف لبنان رياض سلامة وجمعية المصارف، إضافة إلى مداولات مع الخارج لاتخاذ القرار المناسب في هذا الشأن.

وكانت معلومات صحافية قد كشفت أن لقاء دياب مع سفراء المجموعة الأوروبية ناقش سبل تسريع دول المجموعة لدعم لبنان قصد تجاوز الصعوبات والمشاكل المالية والاقتصادية التي يواجهها من خلال تنفيذ قرارات مؤتمر سيدر وغيرها.

وقالت المعلومات إن السفراء طرحوا أسئلة وصفت بالمحرجة على دياب في ما يتعلق بغياب خطة ترسم إجراءات إصلاحية فعلية في كافة مؤسسات الدولة ولاسيما منها في قطاع الكهرباء الذي بات يستنزف أموالا طائلة من خزينة الدولة. غير أن مصادر حكومية قالت إن موقف لبنان والحكومة سيتحسن بعد نيل الحكومة الثقة بحيث سيكون بإمكانها أن تتحلى بالمصداقية في مفاوضات مع المؤسسات الدولية وعواصم الخارج.

أزمة متواصلة تبقي باب لبنان مفتوحا على المجهول

العرب
أول صحيفة عربية صدرت في لندن
1977 أسسها
أحمد الصالحين الهوني

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير المسؤول
د. هيثم الزبيدي

رئيس التحرير والمدير العام
محمد أحمد الهوني

مدراء التحرير
مختار الدبابي
كرم نعمة
حذام خريف
منى المحروقي

مدير النشر
علي قاسم

المدير الفني
سعيدة اليعقوبي

تصدر عن
Al-Arab Publishing House
المكتب الرئيسي (لندن)
The Quadrant
177 – 179 Hammersmith Road
London, W6 8BS, UK
Tel: (+44) 20 7602 3999
Fax: (+44) 20 7602 8778

للإعلان
Advertising Department
Tel: +44 20 8742 9262
ads@alarab.co.uk

www.alarab.co.uk
editor@alarab.co.uk

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

العلاقات العسكرية الأميركية العراقية.. أقل من قطيعة وأكبر من تشقق

وضعت التطورات الأخيرة التي شهدتها الساحة العراقية العلاقات بين واشنطن وبغداد على محك التساؤل، لتتباين المواقف بشأن الحضور العسكري الأميركي بين الساسة العراقيين كل حسب ميولاته وتوجهاته وارتباطاته، وهو في واقع الأمر وجود ظل مرفوقا دائما بنقاط استفهام جعلته في منزلة بين المنزلتين، يصفه البعض بأنه "أقل من قطيعة وأكبر من تشقق".

سامية كولاب / قاسم عبدالزهرة

الوجود الأميركي حصن للأكراد والسنة ضد إيران وداعش

بغداد – شيّد برج مراقبة جديد فوق قاعدة عسكرية أميركية في شمال العراق. ورفعت الرافعات ألواحا ضخمة من الخرسانة لتعزيز الحواجز من أجل ضمان حماية أفضل. وقال الجنود هناك إن الخطر لم يكن ناتجا عن مجموعة من الخلايا النائمة المقاتلة الموجودة حولهم، لكن في مناطق أبعد من ذلك، في إيران.

كانت القوات الأميركية في العراق على أهبة الاستعداد لمواجهة انتقام إيران أو حلفائها من الميليشيات الشيعية منذ أن قتلت الولايات المتحدة في غارة جوية في بغداد الشهر الماضي قاسم سليماني، قائد فيلق القدس في الحرس الثوري وعراب التغلغل الإيراني في منطقة الشرق الأوسط. وقد أثارت الضربة التي وقعت في 3 يناير موجة الغضب بين الزعماء الشيعة في العراق، الذين استنفروا مطالبين بمغادرة القوات الأميركية للبلاد.

فرانك ماكنزي

قوات العمليات الخاصة الأميركية تنفذ ببعض المهام مع القوات الخاصة العراقية باعتبار أن الوضع «لا يزال في فترة الاضطراب»

وسمم التوتر الحاصل الشراكة مع الأميركيين، خاصة بعد أن أبلغت الحكومة الجيش العراقي بعدم طلب المساعدة الأميركية في العمليات التي تستهدف تنظيم داعش، في إشارة إلى أن السلطات جادة في إعادة التفكير في العلاقة الإستراتيجية، وفق ما نقلته وكالة أسوشيتيد برس عن مسؤولين عسكريين عراقيين بارزين.

وتضع هذه التطورات، إمدادات الولايات المتحدة للعراق مثل الأسلحة والتكنولوجيا العسكرية والطائرات التي كانت أساسية في التصدي لتهديدات مقاتلي داعش الذين يحاولون العودة في شمال وغرب العراق، على المحك.

واحتمال فقدان هذه المساعدة هو أحد الأسباب التي دفعت السياسيين العراقيين إلى التردد قليلا في توجيه مطالبهم للقوات الأميركية بالرحيل على الفور. أما كبار المسؤولين العسكريين العراقيين فيعارضون الانسحاب.

وقال جنرال متمركز في غرب العراق، تحدث شريطة عدم الكشف عن هويته، "بالنسبة إلينا، الوجود الأميركي يشبه وجود شبكة الكهرباء في أحد المنازل. إذا انطفأ النور، فالمكان كله يظلم".

المنعرج المنعطف

في أعقاب الضربة الأميركية التي قتلت قاسم سليماني وأبومهدي المهندس، نائب رئيس الحشد الشعبي، أصدر البرلمان العراقي قرارا غير ملزم يطالب الحكومة بطرد الأميركيين. وخرج عراقيون في مسيرة معادية للولايات المتحدة، بينما صرح رئيس الوزراء العراقي المستقيل، عادل عبدالمهدي، علانية بأن القوات الأميركية يجب أن ترحل.

كان على القوات الأميركية أن توقف العمليات المشتركة مع الجيش العراقي ضد داعش بعد الضربة، وهي فترة توقف تستمر لثلاثة أسابيع. وفي غضون ذلك، قامت القوات الأميركية بتحصين القواعد ضد الانتقام المحتمل من قبل إيران والميليشيات الشيعية العراقية الموالية لطهران- مثل البرج الجديد والحواجز المعززة في قاعدة بمدينة أربيل شمال العراق.

ويتمركز حوالي 5200 جندي أميركي في قواعد عراقية لدعم القوات المحلية التي تقاتل مسلحي داعش، وهي جزء من تحالف دولي أكبر دعت إليه الحكومة العراقية في عام 2014. لكن منذ ذلك الحين، يقول المسؤولون الغربيون إن السلطات العراقية لم تتخذ أي إجراءات ملموسة للتعجيل بخطة الانسحاب.

وقال أحد المسؤولين الأميركيين "أود أن أقول إنه مع كل قادة الأحزاب السياسية الشيعية تقريبا، كان هناك، خلف الأبواب المغلقة وفي الاجتماعات الخاصة، نهج أكثر موضوعية حول كيفية تعاملهم مع الموقف، كما عبروا كذلك عن رغبتهم في الحفاظ على علاقة وشراكة ائتلافية. وهذا أمر ضروري للعراق".

وفي جلسة مجلس الوزراء، قال عبدالمهدي إن الأمر متروك للحكومة القادمة للنظر في قرار البرلمان. ولم يعلن رئيس الوزراء المكلف محمد علاوي، وزير الاتصالات السابق، عن سياسته. وقيل للدبلوماسيين الغربيين إن العراق قد شكل لجنة لدراسة مسألة وجود القوات الأميركية في العراق، لكن اثنين من المسؤولين العراقيين قالا إنه لا توجد إشارة رسمية من عبدالمهدي بتشكيل هذه اللجنة رسميا. وقال جيمس جيفري، المبعوث الخاص للتحالف العالمي لهزيمة داعش، متحدثا عن اللجنة "لم يكن هناك أي ارتباط حقيقي"، في تصريحات للصحافيين في واشنطن في 23 يناير.

الضغط المباشر

قابلت واشنطن طلبات العراق ببدء سحب القوات برفض صريح، مهددة بفرض عقوبات قد تشل الاقتصاد العراقي. وبدلا من الضغط المباشر من أجل الانسحاب الأميركي، يبدو أن الحكومة العراقية تتردد الآن قليلا. ورغم أن الولايات المتحدة أعلنت عن استئناف العمليات المشتركة ضد داعش، إلا أن العراق لم يكن واضحا.

وأعلن الجيش العراقي انتهاء توقف العمليات في 30 يناير، لكن متحدثا عسكريا ألغى هذا الادعاء في تصريحات للتلفزيون الرسمي. ولم يتم توضيح هذا الادعاء. وفي مناسبتين على الأقل في يناير، قال المسؤولون الأميركيون إنهم يتوقعون إلغاء هذا التوقف المؤقت في وقت قريب. ولفت اثنان من المسؤولين العسكريين العراقيين وقائد ميليشيا إلى إن الحكومة طلبت من جيشها عدم طلب المساعدة من التحالف الذي تقوده الولايات المتحدة في عمليات ضد داعش وتقليل التعاون معها. وذكر مسؤول كبير في المخابرات العسكرية "حتى الآن، لم نطلب من الأميركيين تقديم المساعدة، بل نعتمد على قدراتنا على متابعة عناصر داعش. إن وجود الأميركيين في العمليات المشتركة هو مجرد أمر رسمي".

وقال مسؤول آخر، وهو قائد في قوات مكافحة الإرهاب العراقية المدربة من النخبة الأميركية في محافظة الأنبار الغربية، إن بعض التدريب مستمر، لكن "فيما يتعلق بالعمليات العسكرية وتنفيذ العمليات، لا يوجد أي دعم".

في المقابل أشار المتحدث باسم التحالف مايلز كاجينز إلى أنه لم يتم تنفيذ أي غارات جوية للتحالف ضد داعش منذ مقتل سليماني. لكنه تم تنفيذ 45 غارة في العراق في شهري أكتوبر ونوفمبر. وبيّن كاجينز أن "العراقيين لم يطلبوا المساعدة في الغارات الجوية في الأسابيع الأخيرة أثناء توقف عملياتنا".

والتقى الجنرال الأميركي في مشاة البحرية الأميركية فرانك ماكنزي، القائد الأعلى للقوات الأميركية في الشرق الأوسط، الثلاثاء بقادة عراقيين وأقر بأن العمليات العسكرية المشتركة والتدريب قد تم تقليصهما، رغم أنه قال إن قوات العمليات الخاصة الأميركية تقوم ببعض المهام مع القوات الخاصة العراقية. وأضاف "لا نزال في فترة الاضطراب".

سيؤدي الانسحاب الأميركي الشامل إلى حدوث نكسة كبيرة في القدرات العراقية لمحاربة داعش كما يعترف الضباط العسكريون العراقيون. وكانت الولايات المتحدة قد انسحبت من البلاد في عام 2011، فقط من أجل مشاهدة انهيار الجيش العراقي في مواجهة الحرب التي شنها تنظيم الدولة الإسلامية عام 2014 والذي اجتاح مدنا عراقية كثيرة في الشمال والغرب. وكنتيجة لذلك، دعت الحكومة الأميركيين للوقوف بجانبهم.

جنرال عراقي يصف الحضور العسكري الأميركي في بلاده بقوله: «الوجود الأميركي يشبه وجود شبكة الكهرباء في أحد المنازل. إذا انطفأ النور، يظلم المكان كله»

وقال مسؤول عراقي "القوات العراقية الموجودة في غرب العراق تحتاج إلى دعم جوي مستمر ودعم لوجستي. يتم توفير هذا الدعم لنا من قبل قوات التحالف، وخاصة الولايات المتحدة. إذا تم إخراجهم، فسنصبح مشلولين". وبدوره اعتبر مسؤول كبير في المخابرات العسكرية بأن المعركة ضد داعش أصبحت تقنية بشكل متزايد، ونحن لا نملك أيا من هذه التقنيات. الأميركيون وحدهم من يمتلكون مثل هذه التقنيات. ويعتمد العراقيون أيضا على الخبرة العسكرية الأميركية للحفاظ على طائراتهم المقاتلة الأميركية من طراز إف 16.

وفي تبرير تمويل البنتاغون في مارس 2019 للسنة المالية 2020، قالت وزارة الدفاع إنه إذا لم يتم تخصيص مبلغ 1.045 مليار دولار لمواصلة التدريب والمعدات المضادة لداعش، فإن ذلك "سيعرّض قدرة العراق على ترسيخ المكاسب التي حققها التحالف للخطر"، ومن المحتمل إجبارهم على "تعزيز العلاقات مع الجهات الحكومية الأخرى"، في إشارة إلى إيران.

وقال تقرير للمفتش العام غلين فاين في سبتمبر 2018، في شهادة أمام الكونغرس، إن قوات الأمن العراقية أبدت "ضعفا نظاميا" وكانت "سنوات إن لم تكن عقودا" بعيدة عن إنهاء الاعتماد على مساعدة التحالف. ويعارض الأكراد في العراق ومعظم الفصائل السنية الانسحاب الأميركي. حيث يعتبر الكثير من السنة الوجود الأميركي بمثابة حصن ضد كل من داعش والقوة الإيرانية.

وقال أبوأحمد، وهو صاحب متجر للبقالة في مدينة الموصل القديمة "إذا خرج الأميركيون، فستتعرض للهجوم من الجميع، وأعني الجميع داعش والحكومة والميليشيات والأحزاب. الأميركيون وحدهم هم من يمنعون هذه الفصائل من ابتلاع الموصل".

مؤتمرات أيوا الحزبية وقضايا الشرق الأوسط

راشمي روشان لال
كاتبة في صحيفة
العرب ويكلي

في 3 فبراير، انطلق موسم الانتخابات الرئاسية في الولايات المتحدة من ولاية أيوا، وهي ولاية ريفية تقع في الغرب الأوسط الأميركي. في جميع أنحاء الولاية، اجتمع المواطنون الأميركيون في مجالس انتخابية قُسّمت على 1700 قاعة.

نظريا، توفر ولاية أيوا مؤشرا مبكرا لقوة المرشح الرئاسي. وتقدم نبذة عن القضايا المهمة التي اختار المتنافسون على الرئاسة التركيز عليها. ويعتبرها المتابعون نقطة انطلاق لسباق البيت الأبيض الذي سيمتد إلى يوم الانتخابات المقررة في 3 نوفمبر.

مع ذلك، كانت هذه البداية مختلفة، حيث أشار استطلاع للرأي إلى شكوك بين الناخبين في ولاية أيوا. وقال حوالي 40 في المئة من المجيبين عن الاستطلاع إنهم كانوا غير متأكدين من المرشح الذي سيختارونه، وجاءت تصريحاتهم قبل فترة قصيرة من التصويت الأولي.

في محادثاتهم، يعترف أبناء الولاية بمشاعرهم التي يطغى عليها الشك والارتباك، حيث يبحث مؤيدو الحزب الديمقراطي عن مرشح يثبت قدرته على هزيمة الرئيس الأميركي الجمهوري دونالد ترامب.

لكن، هل يهتم سكان أيوا بالسياسة الخارجية الأميركية وحروب بلادهم المتعددة وبصمتها في الشرق الأوسط؟ هل يعدّ هذا العامل أساسيا في اختيار المواطن العادي لمرشح لانتخابه ودفعه لمواجهة الرئيس الحالي؟

يعتقد سكوت بونتيني ذلك، وهو رئيس الحزب الديمقراطي في مقاطعة بوتاواتامي التي تنتمي إلى ولاية أيوا. وتعدّ من المقاطعات الأكبر في الولاية حسب المساحة الجغرافية مما دفع جميع المرشحين الديمقراطيين البارزين (بمن فيهم نائب الرئيس الأميركي السابق جو بايدن، والسناتور الاشتراكي بيرني ساندرز، وإليزابيث وارين، وإيمي كلوبوشار، وبيت بوتيجيج الذي كان حاكم مدينة "ساوث بيند" بولاية إنديانا) إلى التركيز عليها في حملاتهم. وقال بونتيني "طرح الناخبون على المرشحين أسئلة حول الاتفاق النووي مع إيران لأنهم قلقون بشأنه. كما يهتم الموطنون بقضية السلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين".

محطة هامة

يبقى الشرق الأوسط والمخاوف من الضلوع في حرب أخرى فيه من المواضيع الملحة في أذهان سكان أيوا. فقبل أربع سنوات، توجه ترامب إلى مدينة دوبوك التي تقع شرق الولاية وعلى حدود ولايتين رئيسيتين (إلينوي وويسكونسن) ووعد بسحب قوات البلاد العسكرية من الحروب التي لا تنتهي. وشدد على ذلك في إشارة ضمنية إلى موقفه من غزو العراق سنة 2003. ووصف هذا التحرك العسكري بأنه أمر يفتقر للمبررات وقال إنه استنزف الجيش الأميركي.

ووعد بأن يبقى جيش البلاد "قويا جدا" لدرجة تدفع الأطراف الخارجية إلى تجنبه. وأكد على أن الولايات المتحدة لم تعد بحاجة إلى اعتماد سياسات تدخّلية والمشاركة في حروب لا تعنيها.

لم تكن مقاطعة دوبوك ذات أغلبية جمهورية منذ سنة 1956. لكن الأمر تغير في نوفمبر 2016، حيث وقف الناخبون في صف ترامب. كما نجح ترامب في اختراق ما يسمى "الجدار الأزرق" الذي يشمل الولايات المحسوبة على الديمقراطيين، وتمكن من حشد الدعم في ميشيغان وويسكونسن وبنسلفانيا ليفوز على المرشحة هيلاري كلينتون بفارق ضئيل لا يتجاوز 77 ألف صوت.

وذكرت دراسة أجراها دوغلاس كرينر، من جامعة كورنيل في مدينة ايثاكا في ولاية نيويورك، وفرانسيس شين، من كلية الحقوق بجامعة مينيسوتا، أن فوز ترامب يرجع إلى دعم المقاطعات التي أرسلت أبناءها وبناتها للحرب في السنوات التي تلت أحداث 11 سبتمبر بأعداد تجاوزت جل المناطق الأخرى في الولايات المتحدة. وأكد شين لجوء هؤلاء المواطنين إلى ترامب كمرشح وعدهم بإنهاء الحروب التي سرقت عائلاتهم منهم.

بعد القرارات التي اتخذها في ظل رئاسته للبلاد، لم يعد ترامب نموذجا للمرشح الذي يبحث عن السلم، حيث تصاعدت التوترات بشأن موقفه من إيران و"خطة السلام" التي تمنح مزايا غير عادلة للإسرائيليين على حساب الفلسطينيين.

قبل بضعة أسابيع، تحدث مدير المعهد العربي الأميركي، جيمس زغبي، في مدينة أيوا عن أهمية المؤتمرات الحزبية للأميركيين العرب والعالم العربي الأوسع. فمع استمرار التعصب ضد الأميركيين العرب في الولايات المتحدة، يجب على المرشحين أن يتناولوا هذه القضايا التي تعدّ هامة للمجتمع. ويرى أن هذه الإستراتيجية تؤثر على العملية الانتخابية في جميع الولايات، خاصة وأن نتائج انتخابات 3 نوفمبر الوطنية ستشكل اهتمامات السياسة الداخلية والخارجية التي تهم العرب الأميركيين. ويبدو هذا الموقف منطقيا.

أيوا أبرزت أهمية السياسة الخارجية التي يدعو المرشحون إليها في تحولها إلى التيار الجمهوري خلال الانتخابات السابقة

على الرغم من كل الانتقادات الموجهة إلى ولاية أيوا باعتبارها "منطقة لا يمكن أن تمثل أميركا في القرن الحادي والعشرين لقلة التنوع العرقي فيها"، تبقى المنطقة مهمة لموقعها الجغرافي ووزنها السياسي. وأبرزت أيوا أهمية السياسة الخارجية التي يدعو المرشحون إليها في تحولها إلى التيار الجمهوري خلال الانتخابات السابقة.

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

انعكاسات اقتصادية واجتماعية لفايروس كورونا تحيي نظرية المؤامرة

الأخبار القادمة من مدن الصين تعيد إلى الأذهان أفلام الخيال العلمي

حياة واقعية أشبه بأفلام السينما

التنافس المحتدم بين الولايات المتحدة والصين في شتى المجالات والاشتباك "الناعم" في أكثر من ملف نشطا الخيال البشري لتفسير كل حدث أو واقعة أو مستجد في البلدين بكونه "مؤامرة" تستهدف الطرف الآخر أو تدبيرا الغاية منه عرقلة الخصم في صراع الزعامة الكونية، وآخر ما أصبغ عليه نظرية المؤامرة هو فايروس كورونا الذي انتشر في المدن الصينية ما جعل الأجواء التي تنقل إلينا من داخلها أشبه ما تكون بأجواء أفلام الخيال العلمي، التي تروج عادة لهذه النظرية وتتحدث عن أخطاء علمية تتحول إلى أوبئة تصعب السيطرة عليها.

علي قاسم
كاتب سوري
مقيم في تونس

الأنفلونزا، أكثر من مجرد مرض يصيب الشعب التنفسية، فهي إلى جانب كونها القاتل رقم واحد للبشر، حتى بعيدا عن انتشارها على شكل وباء، تحمل تأثيرات اجتماعية واقتصادية عميقة، تطال الجوانب الثقافية والسياسية.

بعد أن برزت أولى علامات تأثر الأسواق بأنباء انتشار فايروس كورونا في قطاع الطاقة، كان طبيعيا أن تصدر صرخات ألم عن قطاع السياحة والطيران، محذرة من الدخول في دائرة الركود.

ومع نهاية الخميس 6 فبراير، ارتفع عدد الوفيات على مستوى الصين إلى 636 حالة، وارتفع إجمالي عدد المصابين بالفايروس فيها إلى 31 ألفا و161 حالة. وأكدت أكثر من 25 دولة وجود حالات إصابة على أراضيها.

وعلق آلاف الأشخاص على متن سفينتين سياحيتين في آسيا، فيما أظهرت الفحوص إصابة 20 شخصا بالفايروس على واحدة منهما.

ومع حظر عدد من الدول الرحلات الآتية من الصين، وتحذير الحكومات من السفر إلى هذا البلد، تفاقم الذعر في أنحاء العالم، فيما أوقفت شركات طيران رحلاتها إليها.

ويزداد عدد المدن الصينية التي تطلب من سكانها عدم الخروج من منازلهم. وعرض بعضها على الأهالي حوافز مالية للإبلاغ عن أشخاص يأتون من هوباي.

وفي بكين حيث يسود هدوء حذر في الشوارع فيما المتاجر مغلقة، حظر على المطاعم قبول حجوزات لحفلات. وفرض على الصيادلة إرسال تقارير للسلطات حول كل من يقوم بشراء أدوية لعلاج الحرارة أو السعال.

وتم الحجر على العاملين في مصنع شركة "فوكسكون" العملاقة للتكنولوجيا والتي تصنع هواتف آيفون، في مقاطعة هينان، بحسب ما أعلنت عنه الشركة.

ولم تنجُ عاصمة مكاو عاصمة القمار التي يقصدها أثرياء الصين من عاصفة كورونا، لتسارع نوادي القمار فيها إلى غلق أبوابها، مكبدة الشركات الست التي تدير نوادي القمار فيها خسائر تقدر بنحو 4.3 مليار دولار.

وانخفض حجم السياحة الوافدة من برّ الصين الرئيسي خلال عطلة رأس السنة القمرية بنسبة 80 في المئة، وكان ذلك قبل صدور قرار إغلاق نوادي القمار.

وفي صباح الجمعة 7 فبراير، توفي الطبيب الصيني لي وين ليانغ، الذي تحول إلى بطل في بلاده بعد أن أصدر تحذيرا مبكرا بشأن تفشي الفايروس الجديد.

وتسبب لي، وهو طبيب عيون يبلغ من العمر 33 عاما، في انطلاق موجة من الدعم عبر وسائل التواصل الاجتماعي. وكان لي قد بعث رسائل إلى زملائه لارتداء أقنعة وملابس واقية، بعد ملاحظته مرضى يعانون أعراضا شبيهة بالسارس.

وبعد أربعة أيّام، استُدعي مع ثمانية آخرين من قبل الشرطة لـ"ترويجهم شائعات"، وفقا لما نشره هو بنفسه على مواقع التواصل الاجتماعي من سريره في المستشفى بعد إصابته بالفايروس في منتصف يناير الماضي. وأجبرته السلطات على توقيع رسالة يعترف فيها باختلاق "تعليقات زائفة" أدّت إلى "زعزعة النظام الاجتماعي".

وأعرب مستخدمو الإنترنت في الصين عن غضبهم الشديد من المسؤولين، بسبب إضاعتهم الوقت واستجابتهم البطيئة لانتشار الفايروس الذي تحوّل إلى أزمة صحّية عالميّة. وأقرّت المحكمة العليا في الصين أن المُبلّغين عن الفايروس عوملوا "بطريقة غير لائقة".

> من المدهش حقا، ومن عجائب الحياة وغرائبها، أن تفتك فايروسات صغيرة بملايين البشر

وأثارت وفاة لي الحزن والغضب على وسائل التواصل الاجتماعي، حيث أشاد به مستخدمو الإنترنت باعتباره "شهيدا". وكتب مستخدم يعمل جرّاحا "إنّه بطل ضحّى بحياته لتحذير الآخرين".

وأصبح لي رمزا وطنيا لمحاولات الناس للحصول على إجابات بشأن الاستجابة الأولية للسلطات حول انتشار فايروس كورونا.

خيال علمي

الأجواء التي تنقل إلينا من داخل المدن الصينية باتت أشبه ما تكون بأجواء أفلام الخيال العلمي، التي تروج عادة لنظرية المؤامرة، وتتحدث عن أخطاء علمية تتحول إلى أوبئة تصعب السيطرة عليها.

في عام 2007 قدم المخرج الأميركي فرانسيس لورانس، فيلم "أنا أسطورة" عن قصة للكاتب ريتشارد ماتيسون، بطولة ويل سميث، يحكي الفيلم قصة خطأ وقع في أحد المختبرات الطبية أدى إلى نشوء فايروس معدٍ، وتحوّل إلى وباء محوّلا سكان المدينة إلى كائنات مشوهة مريضة، لم ينج منه سوى عالم فايروسات، يحاول أن يبقى على قيد الحياة مع كلبته التي تؤنسه في ظلامه الدامس، مصرا على اكتشاف مصل مضاد لإنقاذ البشرية.

نجاح الفيلم تجاريا شجع المخرج ستيفن سودربرغ، على تقديم فيلم "العدوى" بطولة مات ديمون، عام 2011. تدور أحداث الفيلم حول فايروس قاتل انتشر بمدينة شيكاغو، تشبه أعراضه أعراض الزكام، وانتقل منها إلى مدن أميركا والصين.

الجديد في الفيلم هو قيام بطلة الفيلم بمتابعة الوباء بدقة في مدونتها على الإنترنت، ورصد حقائق تآمرية مخفية حول نشأة المرض وانتشاره، على غرار ما نجده اليوم في العديد من المدونات الإلكترونية، التي تتابع تفاصيل انتشار الوباء في المدن الصينية.

أخطر تلك الأفلام كان للمخرج الإسباني خوان كارلوس فريسناديلو، وتم التصوير في بريطانيا، وهو فيلم "الغضب" وعرض عام 2007 أيضا، يتحوّل الناس فيه بتأثير العدوى إلى "زومبي" يهددون حياة الناجين، والمرعب في الفيلم هو الحل الذي لجأت إليه السلطات في النهاية، وقد تمثل في إبادة كاملة للمناطق التي انتشر فيها الفايروس. من حقنا أن نرتعب، فالعالم ما زال يتذكر، إلى جانب أفلام الخيال العلمي، الوباء الذي اجتاح أوروبا التي كانت قد خرجت لتوها من حرب عالمية أنهكتها عام 1918.

لم تكن أعداد الوفيات الهائلة التي أطاحت بالشباب قبل الكبار، الكارثة الوحيدة التي انجرّت عن الوباء، فقد استفاق العالم على حقيقة صادمة، بعد أن قضى الوباء على عائل الأسرة الوحيد، لتمتلئ المدن والأرياف بكبار السن، والأطفال اليتامى، الذين لا يجدون من يرعاهم. وكما اختار الوباء ضحاياه من بين الشباب، وغالبيتهم أيضا من الرجال.

أمراض عنصرية

يقال إن الأمراض لا تفرق بين فقير وغني، ولكن هذا ليس صحيحا؛ في عام 1918، فرق الوباء بينهما، لتكون احتمالات الوفاة أكثر ثلاثين مرة في آسيا وأفريقيا عنها في أوروبا.

الإحصائيات التي جاءت بعد سنوات من الكارثة عزت ذلك إلى عوامل اقتصادية واجتماعية؛ في العالم أجمع كان الفقراء والمهاجرون والأقليات العرقية أكثر عرضة للإصابة، فهم الأسوأ على صعيد التغذية، ويقيمون عادة في أماكن مكتظة، لا يجدون سبيلا للرعاية الصحية.

بحسب الإحصائيات التي أجريت آنذاك، أصاب الوباء 500 مليون إنسان حول العالم، وأدى إلى وفاة ما بين ما يقارب 50 مليون شخص، أي ما يعادل 5 في المئة من سكان العالم حينها.

لقد قتل الفايروس من البشر أكثر مما قتلت الحرب العالمية الأولى والثانية معا، وفي 24 أسبوعا قتل أكثر مما قتله الإيدز في 24 عاما، وفاقت أعداد ضحاياه عدد ضحايا الطاعون، الذي اجتاح أوروبا في العصور الوسطى.

ويقول خبير الأمراض المعدية ومؤلف كتاب "شبح الموت"، جيفري توبنبرغر، "إنه لمن المدهش حقا، ومن عجائب الحياة وغرائبها، أن تسبب فايروسات صغيرة، لا تكاد ترى حتى بالمجهر الضوئي، أمراضا وأوبئة تفتك بملايين البشر، وتشكل تهديدا وجوديا للحضارة الإنسانية، وتجعل الإنسان يقف أمامها حائرا مكتوف اليدين".

أرقام مثل هذه أغرت في الماضي عشاق نظرية المؤامرة للحديث عن مخططات شيطانية لتطوير فايروسات، ومنها الإيدز لتستخدم ضد البشر، وتساعد الشركات الكبرى على تحقيق أرباح خيالية. الربط بين إنتاج لقاح يوقف انتشار الفايروس، والأرباح التي يمكن للشركات جنيها من ورائه، يزيد من شكوك أصحاب نظرية المؤامرة.

وكان لظهور الوباء في الصين أولا، دور منعش في تحفيز المخيلة، ففي إشارة ضمنية للحرب الاقتصادية بين البلدين، ومذكرا بأنفلونزا الطيور وجنون البقر، رأى مسؤول روسي أن كورونا هي استفزاز أميركي لبكين.

ووضع فلاديمير جيرينوفسكي، وهو زعيم الحزب الديمقراطي الليبرالي، الفايروس في سياق الحرب فالأميركيون يخشون حسب رأيه عدم القدرة على تجاوز الصين، أو على الأقل البقاء على قدم المساواة معها.

يصعب حسم الجدل حول نظرية المؤامرة، التي نمت في ظل مناخ العولمة الاقتصادية وتبادل المعلومات، ويستمر التراشق بالاتهامات بين الشركات من جهة، وبين منظمات المجتمع المدني والأحزاب السياسية من جهة أخرى، بدءا من استهلاك السكر واللحوم الحمراء، وانتهاء بالتغير المناخي.

ليبقى الأمر الوحيد المؤكد اليوم هو أن عامل الربح والخسارة هو السائد، حتى وإن أطل العامل الأخلاقي برأسه من حين لآخر.

فيلم «العدوى».. النسخة الهوليوودية التي سبقت ظهور فايروس كورونا

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

ضابط أمني مهمته إعادة زمن الوصاية

محمد فهمي

وزير داخلية لبنان وفق النموذج السوري

● أول إجراءات فهمي بعد توليه حقيبة الداخلية، إصداره أوامره برفع جدران إسمنتية مزنرة بالأسلاك الشائكة تقضم مساحات كبيرة من وسط بيروت، وتغلق شوارع ودروباً ومفترقات تؤدي جميعها إلى مركزي السلطتين التنفيذية والتشريعية.

● فهمي الذي يحمل عقلية أمنية بامتياز ، سبق له أن تولى رئاسة فرع الأمن العسكري في مديرية مخابرات الجيش اللبناني لمدة تسع سنوات، قد يكون جواب الطبقة الحاكمة "الأكثر" عدائية للحراك في الشارع.

صلاح تقي الدين
كاتب لبناني

رست مفاوضات رئيس الحكومة اللبنانية حسان دياب أثناء خوضه "معركة" التشكيل على اختيار العميد المتقاعد من الجيش اللبناني محمد فهمي لتبوؤ منصب وزير الداخلية، بعدما عجز طيلة تلك المرحلة عن إيجاد اسم "سنّي" مقبول لتولي هذه الحقيبة الأمنية الحساسة، خصوصاً بعد "اعتذار" أو "رفض" كل الأسماء السنيّة الأخرى التي تم تداولها كبالونات اختبار لمعرفة من منها "الأقل" رفضاً من قبل المعنيين ومن قبل ناشطي الحراك الذين نزلوا إلى الساحات منذ الـ17 من أكتوبر الماضي.

عهد الرئيس ميشال عون يصل إلى مأزق كبير، راسماً حدود أفوله بنفسه، بعد أن سادت بين القيمين عليه قناعة بأن الأمور لا يمكن أن تستقيم إلا باستخدام القوة والعمل «ميدانياً» على محاصرة المنتفضين ضده والمعترضين عليه

غير أن هذا الضابط الأمني بامتياز والذي سبق له أن تولى رئاسة فرع الأمن العسكري في مديرية مخابرات الجيش اللبناني لمدة تسع سنوات، قد يكون بحد ذاته جواب الطبقة الحاكمة "الأكثر" عدائية للحراك في الشارع لقدرته المشهود لها في تولي "الضبط والسيطرة"، في ظل غياب أيّ حوار جدي أو بالحد الأدنى المقبول بين أركان السلطة والمنتفضين عليها، فَرَسَا الاختيار على فهمي لكي يتولى ليس مهمة "ضبط" الشارع وعدم انفلاته فحسب، بل ربما إلى حد الوصول إذا أمكن إلى "إخضاعه". فبعد وصول عهد الرئيس ميشال عون إلى المأزق الكبير، ورسم حدود أفوله بنفسه، سادت بين القيمين عليه قناعة بأن الأمور لا يمكن أن تستقيم إلا باستخدام القوة والعمل "ميدانياً" على محاصرة المنتفضين ضده والمعترضين عليه وإعلامياً على التشهير بهم و"مخابراتياً" على تفكيك قواعدهم بغية استعادة زمام المبادرة و"تقطيع" ما تبقى لهم من "زمن" في تولي السلطة بأقل الخسائر الممكنة. لكن الضرر وقع ولا سبيل لتجميله.

حل أمني آخر

هكذا بدا أن فهمي هو التجسيد الأنسب لعقيدة "الحل الأمني" الذي اشتهرت به بعض الأنظمة الدكتاتورية العربية وتحديداً النظام السوري، خصوصاً أنه خلال خدمته على رئاسة فرع الأمن العسكري في مديرية مخابرات الجيش اللبناني بين 1997 و2006، أي في الحقبة الأسوأ من "عهد الوصاية السورية" وهيمنة القمع ومناخ الترهيب المخابراتي، كان الجميع يعرف أن فهمي مقرّب جداً من النظام السوري، وخصوصاً من مدير مكتب الأمن القومي علي مملوك، كما كان في فترة معينة من خدمته، رئيسه المباشر نائب مدير المخابرات آنذاك اللواء جميل السيد.

وعقب تداعيات اغتيال الرئيس رفيق الحريري والاغتيالات الأخرى التي تلته في العامين 2005 و2006، وانسحاب الجيش السوري، وانهيار حكم إميل لحود، تمت إزاحة العميد فهمي من منصبه، فتسلّم عدة مواقع منها مكتب الألغام ثم قيادة منطقة جبل لبنان حتى تقديم استقالته من الجيش عام 2016، بعد أن حققت معه اللجنة الدولية 12 مرة.

وكان لافتاً خلال عملية التسلّم والتسليم بين وزيرة الداخلية السابقة ريا الحسن والوزير فهمي، ما قاله بالمناسبة، إذ حاول أن يرسم صورة مغايرة لما يتخيله الناشطون في الحراك أو المعترضون على كيفية تشكيل الحكومة الجديدة فقال "يمكنني أن أعد بالكثير وفق الأهداف التي أحملها ولكن بحكم السنوات العديدة التي قضيتها في مؤسسة الجيش وتعاطيّ مع المواطنين في كافة المناطق اللبنانية، فإنني متأكد بأن الوعود التي تبقى دون تنفيذ تنعكس سلبا على صاحبها وعلى من يستمع إليها. لذلك سأبتعد عن كلمة وعود وسأستعيض عنها بكلمة تمنيات لأنني مصمم على القيام بكل ما يمكن ويسمح لي به القانون والإمكانات لإحداث صدمة إيجابية تنعكس على لبنان وعلى مواطنيه".

وأضاف فهمي "لقد وضعت خطة عمل تسمح لي بإذن الله، بتحويل أغلب هذه التمنيات إلى واقع بالتعاون الشفاف والصادق مع الضباط الزملاء ومع كافة الموظفين"، مشدّداً "أضمن لكم أن قوى الأمن لن تعتدي على أحد وستبذل كل جهد ممكن من أجل حماية حق التعبير وحقوق الإنسان بالتوازي مع حماية المواطنين والقوانين المعمول بها بهذا الشأن، وسأعمل على إحالة أيّ مخالفة في حال حصولها إلى المعنيين لمعاقبة صاحبها، وفي المقابل لن أسمح بالاعتداء على القوى الأمنية التي تقوم بواجبها".

وفي أول تصريح صحافي له، قال فهمي إن إخماد الحراك ليس هدفه، لكنه شدد على مواجهة المتظاهرين غير السلميين. وأضاف أن هدفه "ليس إخماد الحراك بما يمثله من مطالب محقة، إنما حماية المواطنين والمتظاهرين السلميين ومنع أعمال الشغب وتخطي هذا الوضع الأليم"، مشيرا إلى أنه وضع "استراتيجية جديدة للتعاطي مع المتظاهرين غير السلميين".

ويؤكد فهمي أنه، بعكس كل ما تم الترويج له، فلا انتماءات سياسية أو حزبية له، يقول "أنا ابن المؤسسة العسكرية، كنت فيها على مسافة واحدة من الجميع، وسأبقى في وزارة الداخلية على مسافة واحدة من الجميع أيضا"، موضحا أن من اختاره لتولّي حقيبة وزارة الداخلية هو رئيس مجلس الوزراء حسان دياب.

صديق رستم غزالة

ناشطو الحراك ليسوا بعيدين عن متابعة الأجواء السياسية، لذلك فقد أدركوا مبكراً ما سيواجهونه مع وزير الداخلية الجديد فأعدوا العدة لمواجهته بدءاً من إطلاق شعارات جديدة مثل: "شوفو هالخبرية، جابولنا وزير داخلية، كان صاحبو لرستم غزالة، تربية البعثية"، و"جنّوا جنّوا الأمنية لمن طلبنا الحرية، هودي جنود الوصاية، تربية البعثية".

لكن فهمي يوضح هذه المسألة بالقول "حتى في مرحلة رئاستي لفرع الأمن العسكري في الجيش على مدى تسع سنوات حتى العام 2006 كانت علاقتي مع السوريين الند للند، وشابتها الخصومة مع ضباط سوريين كبار. وقد يكون حزب الله مرتاحا لوجودي هنا كوني من المؤسسة العسكرية وقانونيّ، مع العلم أني أقف إلى جانب كل من يقاتل إسرائيل وهذا في صلب عقيدتي الوطنية"، مضيفاً "إن من اختارني هو رئيس الحكومة حسان دياب حيث اتصل بي أحد الأشخاص من قبله، وقابلته في تلة الخياط لمدة نصف ساعة".

لكن يبدو أن ناشطي الحراك كانوا يتوقعون ما تعرضوا له من محاولات لخنق تحركاتهم، فلم يمض يومان على استلامه وزارة الداخلية، حتى أصدر أوامره برفع جدران إسمنتية مزنّرة بالأسلاك الشائكة تقضم مساحات كبيرة من وسط بيروت، وتغلق شوارع ودروباً ومفترقات تؤدي جميعها إلى مركزي السلطة التنفيذية في السراي الحكومي والسلطة التشريعية في ساحة النجمة.

وبناء على توجيهاته أيضاً، ظهرت الأنياب الجديدة لقوة مكافحة الشغب التابعة لقوى الأمن الداخلي والتي نصبت كميناً محكماً لمئات المتظاهرين في ساحة رياض الصلح وتم التعامل معها بشراسة من خلال إلقاء قنابل مسيلة للدموع وتوجيه خراطيم المياه واستخدام الهراوات لتفريق المتظاهرين.

تداعيات اغتيال الرئيس رفيق الحريري والاغتيالات الأخرى التي تلته، وانسحاب الجيش السوري، وانهيار حكم إميل لحود، تعتبر أسباباً مباشرة لإزاحة العميد فهمي من منصبه، بعد أن حققت معه اللجنة الدولية 12 مرة

اختباران

لا تفوت فهمي الإشادة بالتعاون الكبير بين قيادة قوى الأمن الداخلي الممثلة باللواء عماد عثمان وقيادة الجيش الممثلة بالعماد جوزيف عون، خصوصاً أن عناصر الجيش انخرطت في عملية قمع المتظاهرين في وسط بيروت.

غير أن فهمي حامل "الإضبارة" النظيفة في الجيش، تنقصه الخبرة في المجال السياسي والتعاطي المباشر مع المدنيين. هذا ما اعترف به علناً "لست مسيّسًا" في حديث صحافي، غير أنه أردف "لكن الأولويات واضحة. وسأسعى من موقعي لأطبّق القانون وألتزم بمسؤولياتي الأمنية والإدارية والمَدَنية والخدماتية باعتماد المسافة الواحدة مع الجميع من دون أيّ استثناء".

يشدّد فهمي على أنّ القضاء على الفساد، وليس فقط محاربته، يحتلّ مرتبة أساسية في لائحة أولوياته. يقول "لن أسمح بأيّ تجاوزات في وزارة الداخلية وكل ما يندرج تحت سلطتها"، مشيرًا إلى أنّ "الورشة بدأت في النطاق البلدي وستطال أوكار الفساد أينما وجدت، وهذا الأمرُ كفيلٌ بتنفيس جزءٍ من غضب الشارع".

فهميَ خضع لامتحانين "سياسيين" حتى الآن برزت من خلالهما قدراته في تجاوز الألغام. الاختبار الأول كان الشارع حين نزل وزير الداخلية بنفسه إلى الأرض حيث كان القرار باستخدام خراطيمَ المياه فقط وفرض تراجع المجموعات المتظاهرة بعدما دأبت على مهاجمة القوى الأمنية والتخريب والتكسير، والاختبار الثاني هو حادث كفرذبيان وإقدام نجل الوزير السابق وئام وهاب على إطلاق النار. فرغم صدور إشارة قضائية بإخلاء سبيله في الليلة نفسها، كان قرار وزير الداخلية بإبقائه موقوفًا "لو كان من أطلق النار أيّ شاب آخر لا سند سياسيًا له كان أوقف بحكم القانون. تواصلت مع من يجب التواصل معهم. وطلبت توقيفه ومصادرة المسدس وتحويل السلاح إلى المحكمة العسكرية. والآن القضية بعهدة القضاء". ويجزم، "لو ابني فعل ذلك كنت سأوقفه".

لا يمكن التنبؤ بما تخبئه الأيام المقبلة على الصعيد الأمني، لكن الحراك السلمي الذي لم يستسغ طريقة تشكيل الحكومة الحالية قرّر أن يواجهها أولاً بمنع مثولها أمام المجلس النيابي لمناقشة الميزانية التي وضعتها الحكومة السابقة، فنجح فهمي في منع خطتهم وانعقدت الجلسة وأقرّت الموازنة، والأنظار متجهة الآن إلى كيفية تعاطي وزارة الداخلية مع التهديد الثاني وهو منع انعقاد المجلس النيابي لمناقشة البيان الوزاري لحكومة الرئيس دياب ومنحها الثقة. فهل ستكون المواجهة حتمية، وهل سينجح فهمي في تجاوز هذا التحدي بأقل الأضرار الممكنة؟

● أنظار اللبنانيين تتجه الآن إلى كيفية تعاطي فهمي مع التهديد الجديد لحكومة دياب بمنع انعقاد المجلس النيابي لمناقشة بيانها الوزاري ومنحها الثقة.

فلسطينه لا تزال نضرة

سليمان منصور
رسام الأرض الذي استغاث بموادها

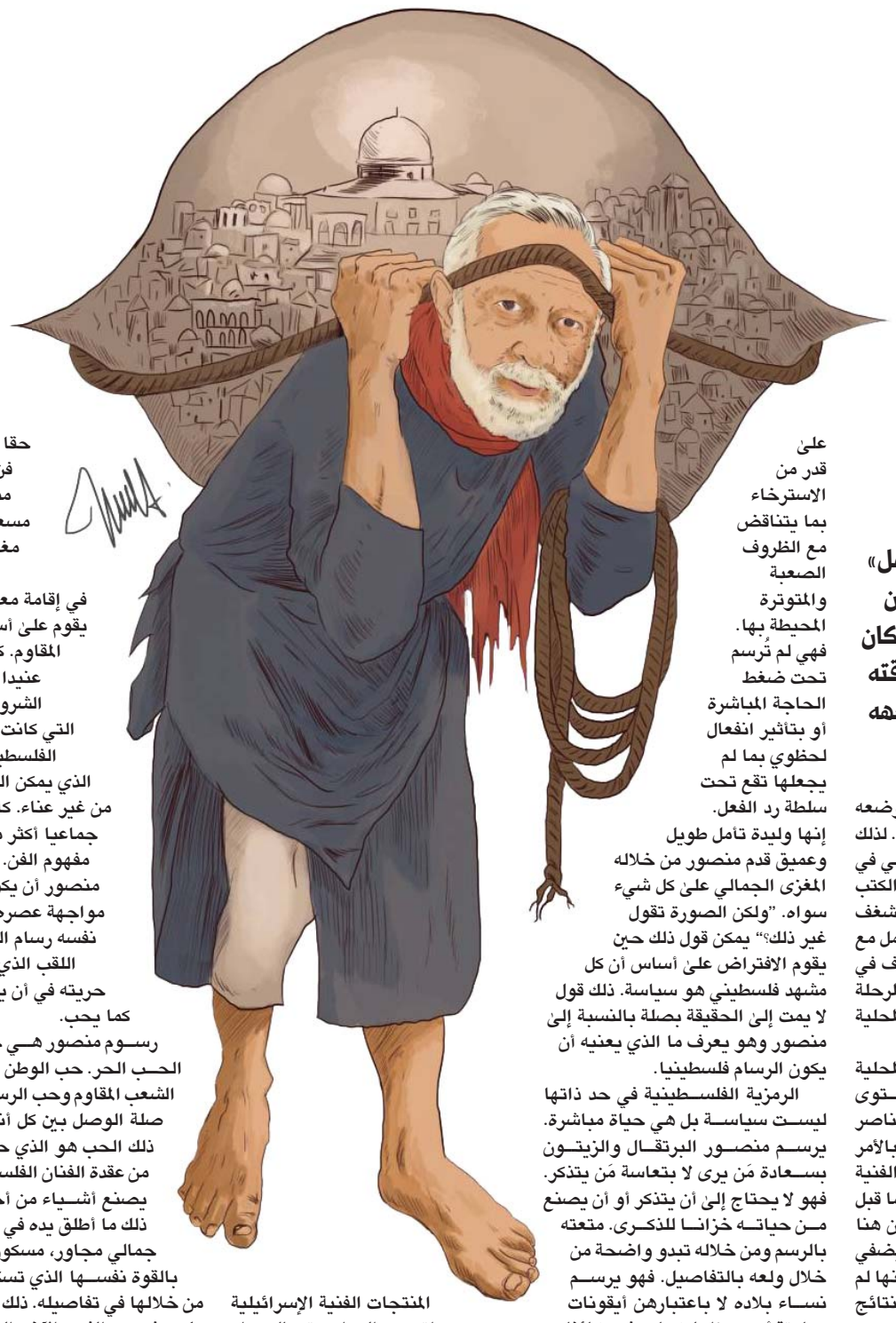

فاروق يوسف
كاتب عراقي

بدلا من أن يرسم الأرض التي شغف بها بصريا منذ طفولته صار يستعمل مادتها التي هي الطين في صناعة لوحاته. كانت الفكرة مبنية على مقاطعة مواد الرسم القادمة من دولة الاحتلال غير أنها انفتحت على خيال أكثر سعة. ذلك التحول التقني قاد سليمان منصور إلى العثور على مفتاح جديد من مفاتيح الرمزية الفلسطينية التي كان يفكر فيها باعتبارها فعلا كاملا لا يقبل النقصان. بمعنى اشتباك عناصر العملية الفنية، الفكرية والتقنية والأسلوبية، بعضها بالبعض الآخر لتقود النتيجة إلى القبض على جوهر الهوية. هناك حيث تقع خلاصة المسعى الجمالي.

خارج الوصفة الجاهزة

عاش منصور حياته كلها قريبا من الأرض. لذلك يحق له حين يغمض عينيه عن مشهد سيرسمه، أن يقول "هذه فلسطين". فهو يعرفها واقعيا عن طريق حياة عاشها ناقصة تحت الاحتلال وهو يهتدي إليها رمزيا عن طريق الفن في الوقت نفسه. فللفن طرقه المجاورة التي لا تخضع لسلطة الواقع.

منصور يحق له حين يغمض عينيه عن مشهد سيرسمه، أن يقول «هذه فلسطين». فهو يعرفها واقعيا عن طريق حياة عاشها ناقصة تحت الاحتلال وهو يهتدي إليها رمزيا عن طريق الفن

لم يكن منصور حين يرسم يتبع تعليمات وصفة فلسطينية جاهزة، كان مَن سبقه إلى الرسم من أبناء وطنه قد وضعوا معادلاتها. ذلك لأن مفرداته إضافة إلى أنها مستلهمة من البيئة المحيطة به فإنها تختزن في أعماقها طاقة حلم غير قابل للنفاد. حلمه الشخصي الذي لا يزال نضرا. ذلك الحلم الذي يبقي فلسطين كما هي، من غير أن يلحق بها أي وصف خارجي.

حين رسم لوحته الشهيرة "جمل المحامل" فإنه أنشأ أيقونة متحولة، يمكنها أن ترافق الفلسطيني في كل مكان وزمان، بغض النظر عن طريقته في التفكير السياسي أو توجهه العقائدي. فالأسطورة التي تبناها منصور كانت مستلهمة من واقع يومي عاشه الفلسطينيون وهم يسعون إلى تثبيت عناصر هويتهم في مواجهة مسعى عالمي عاصف لمحوها.

انتبه منصور في وقت مبكر إلى مسألة التربية الوطنية عن طريق الفن. فكان معلما من طراز خاص. لم يكن الرسم حينها وسيلة للتعبير فحسب، بل كان أيضا محاولة للتنقيب بحثا عن الجذور التي لا تزال حية. لذلك اهتم بالحرف اليدوية مركزا على فنون التطريز التي شعر بأنها تختزن ثقافة شعب.

رسام المواد المتصالحة

وبالرغم من أن منصور استغرق كثيرا في دراسة وتدريس مفردات التراث الشعبي الجمالية، غير أن الغريب في الأمر أن فنه لا يركز عليها بشكل كلي، بل هي جزء ثانوي منه، غير أنها لا تقل حضورا عن باقي الأجزاء.

ولد منصور في بلدة بيرزيت إحدى قرى رام الله عام 1947. ما بين 1967 و1970 درس الرسم في كلية الفنون بالقدس. عمل في تدريس الفن في دار المعلمات التابع للأونروا ما بين عامي 1975 و1982. كما ساهم في تطوير الصناعات الحرفية في جامعة بيرزيت.

لوحته الشهيرة «جمل المحامل» تعد أيقونة متحولة يمكنها أن ترافق الفلسطيني في كل مكان وزمان، بغض النظر عن طريقته في التفكير السياسي أو توجهه العقائدي

ما تعلمه منصور من الحياة وضعه في خدمة نضاله من أجل شعبه. لذلك فإنه رسم الكاريكاتير السياسي في الصحافة المحلية كما قام بتزيين الكتب التعليمية برسومه إضافة إلى أنه شغف بتعلم الصناعات التقليدية والتعامل مع النحاس والمينا والخشب والخزف في صناعة أعماله إلى أن انتقل إلى المرحلة التي صار يعتمد فيها على المواد المحلية في رسم لوحاته.

لقد كان التعرف على المواد المحلية بمثابة اكتشاف حيوي على مستوى التعرف على عنصر جديد من عناصر الهوية الوطنية. وهو ليس بالأمر اليسير. ذلك لأن التخلي عن المواد الفنية الجاهزة يعني العودة إلى مرحلة ما قبل تصنيع المادة الفنية المعلبة. الفنان هنا يقيم صلحا مع مواد مهجورة ليضفي عليها قيمة هي من أصلها، غير أنها لم تكن معروفة. ولا بدّ أن تكون النتائج الجمالية مختلفة وذات تأثير بصري مختلف.

من خلال صلته بمواده سعى منصور إلى الإعلان عن هويته الوطنية. هو ابن هذه المواد وهو خلاصة مزاجها التعبيري. ذلك ما انعكس إيجابا على لوحاته التي لم تكن مجرد صور بل كانت أيضا مجموعة متداخلة من المشاعر والأفكار التي اشتقت من الأرض وما أنتجته. هناك صلح لافت بين المشهد المرسوم ومواده. تبدو أعمال منصور على قدر من الاسترخاء بما يتناقض مع الظروف الصعبة والمتوترة المحيطة بها. فهي لم تُرسم تحت ضغط الحاجة المباشرة أو بتأثير انفعال لحظوي بما لم يجعلها تقع تحت سلطة رد الفعل. إنها وليدة تأمل طويل وعميق قدم منصور من خلاله المغزى الجمالي على كل شيء سواه. "ولكن الصورة تقول غير ذلك؟" يمكن قول ذلك حين يقوم الافتراض على أساس أن كل مشهد فلسطيني هو سياسة. ذلك قول لا يمت إلى الحقيقة بصلة بالنسبة إلى منصور وهو يعرف ما الذي يعنيه أن يكون الرسام فلسطينيا.

الرمزية الفلسطينية في حد ذاتها ليست سياسة بل هي حياة مباشرة. يرسم منصور البرتقال والزيتون بسعادة مَن يرى لا بتعاسة مَن يتذكر. فهو لا يحتاج إلى أن يتذكر أو أن يصنع من حياته خزانا للذكرى. متعته بالرسم ومن خلاله تبدو واضحة من خلال ولعه بالتفاصيل. فهو يرسم نساء بلاده لا باعتبارهن أيقونات صامتة أو رموزا بل كما عرفهن كائنات جميلة يهب مرورها الهواء عطرا مختلفا. هو رسام حياة لطالما تُقنا إلى التعرف عليها.

المقاومة عن طريق الفن

في عام 1987 أسس منصور مع فيرا تماري وتيسير بركات ونبيل عناني جماعة "نحو التجريب والإبداع" وهي الجماعة التي قامت بمقاطعة المنتجات الفنية الإسرائيلية واتجهت إلى استعمال مواد طبيعية مثل القهوة والحنة والطين في محاولة من أفرادها للمساهمة في انتفاضة شعبهم. ولكن الأهم من ذلك أن أفراد تلك الجماعة أعادوا النظر في البداهات التي كانت تحيط بالفن الفلسطيني المقاوم. وهي بداهات أقل ما يُقال عنها إنها سجنت الفن في قالب تعبيري واحد يغلب عليه الحس الدعائي المباشر. لم يكن رسم الانتفاضة في تلك المرحلة هو المهم، بل المهم حقا أن يتأسس فن فلسطيني منتفض. ذلك مسعى تجريبي مغامر ينطوي على الرغبة في إقامة معادلة جديدة يقوم على أساسها الفن المقاوم. كان منصور عنيدا في مقاومة الشروط الواقعية التي كانت قاعدة الفن الفلسطيني الجاهز الذي يمكن التعرف عليه من غير عناء. كان ذلك الفن جماعيا أكثر مما يتحمله مفهوم الفن. لذلك اختار منصور أن يكون فردا في مواجهة عصره ولم يعتبر نفسه رسام القضية. ذلك اللقب الذي يحرمه من حريته في أن يكون رساما كما يحب.

رسوم منصور هي خلاصة ذلك الحب الحر. حب الوطن الحي وحب الشعب المقاوم وحب الرسم باعتباره صلة الوصل بين كل أنواع الحب. ذلك الحب هو الذي حرر منصور من عقدة الفنان الفلسطيني الذي يصنع أشياء من أجل الذكرى. ذلك ما أطلق يده في ابتكار عالم جمالي مجاور، مسكون بفلسطين بالقوة نفسها الذي تسكن فلسطين من خلالها في تفاصيله. ذلك عالم ينفتح على مفهوم الفن الآخر الذي يرتقي من مستوى الخدمة الشعبية المباشرة إلى مستوى تطوير الذائقة الجمالية الوطنية. ما كان لتلك المعادلة أن تنضج لولا أن منصور ومعه رفاق رحلته في التجريب الفني قد تمكنوا من تدجين العصف السياسي ومنعه من الهيمنة على الفن. كان ذلك فعلا بطوليا يُحسب لفنان لم يغادر فلسطين وظل يقاوم من الداخل، مبتكرا وسائل معاصرة لتلك المقاومة.

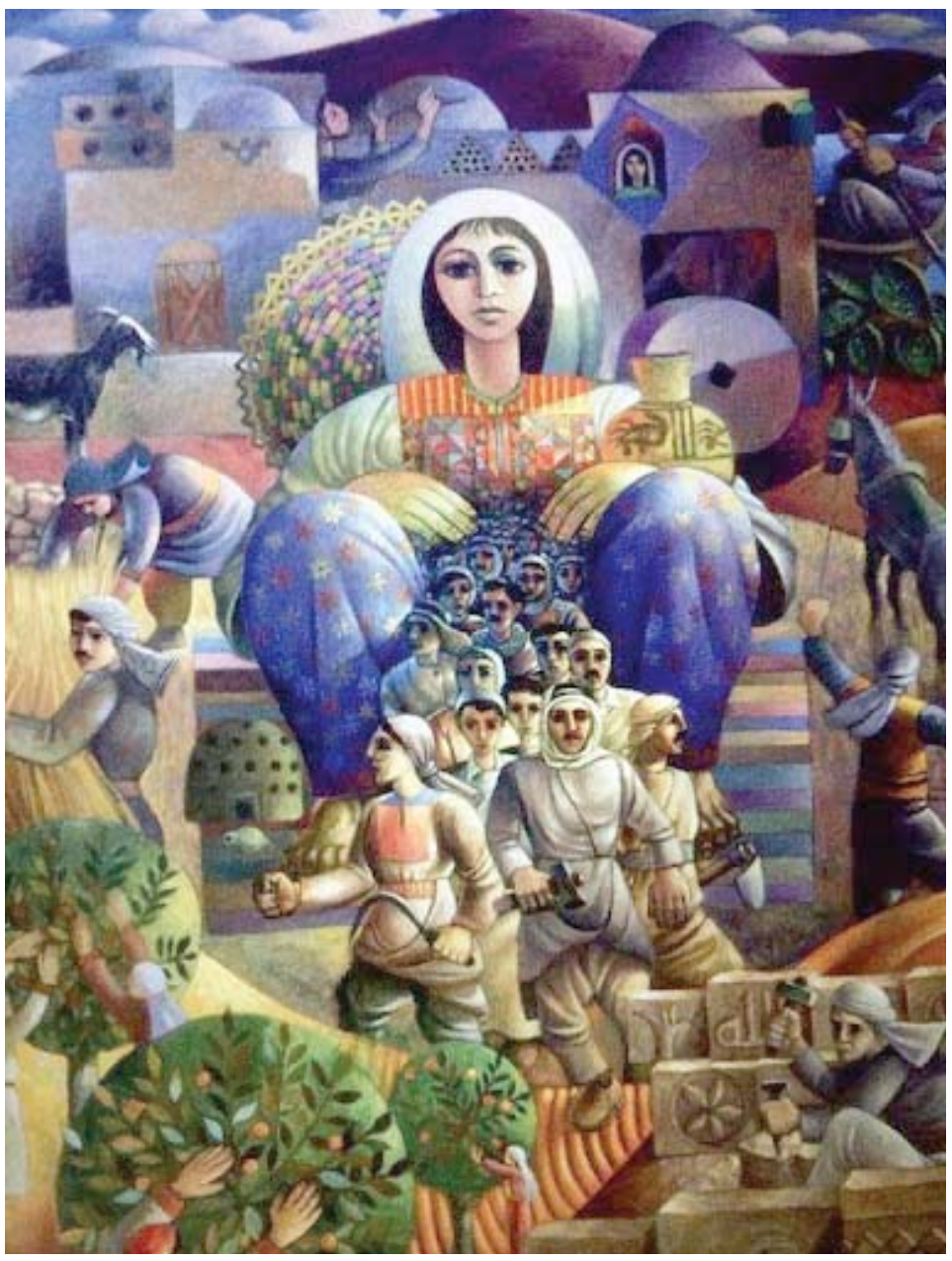

العرب الثقافي
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

التلاقح الحضاري

صوت العقل بلغتين أو أكثر

هيثم الزبيدي
كاتب عراقي

ثمة دراسات متزايدة عن الأشخاص متعددي اللغات. يولد الانسان في بيئة، فيكتسب لغتها. يولد في بيئة عائلية تعيش في بيئة اجتماعية مختلفة، فيكتسب لغة المنزل ولغة المدرسة والحي. يولد في بلد، ثم ينتقل، جبرا أو طوعا، إلى بلد آخر فيجد نفسه، خصوصا إذا كان في مقتبل العمل، وهو يتحدث لغة ثانية. يولد كرديا أو آمازيغيا في بيئة عربية، فيجد نفسه تلقائيا بلسانين. الكردي أو الأمازيغي نفسه ذي اللسانين يهاجر أو يدرس فيصير يتحدث بثلاثة ألسن. البعض موهوب تتوسع ملكات اللغة عنده، فيصبح موسوعة لغوية.

يبدو أن الدماغ يتفاعل بشكل إيجابي أكثر كلما ضغطنا عليه لزيادة خزينه من المفردات. كأن الدماغ يقول أريد أن أكون عقلا بلغتين لكي أعيش أطول

لا أريد أن أشير إلى معنى معرفة اللغة وأثرها في معرفة الثقافة. هذا كلام أكثر من كليشيه. لكن ما يهمني في الأمر يتجاوز هذا. لماذا نضيع هذه الفرصة المهمة للتلاقح الحضاري، ونتمترس خلف عنصرية ذاتية جاءتنا بالتنشئة أو الاختيار.

خذ مثلا المهاجر الآسيوي المسلم إلى الغرب. تخيل التلاقح بين أجمل ما في الشرق من حضارة وتاريخ وتراث، وأفضل ما في الغرب من تقدم ومنهجية. أو تخيل الانفصام بين أسوأ ما في الشرق من تشدد ورجعية، والأكثر اسودادا في الغرب من أوجه العنصرية والعنجهية. الخلطتان واردتان. وكل واحدة منهما يمكن أن تنتج شخصية تعيش في العالم الغربي وفق معطيات. ستجد الحاصل على جائزة نوبل للآداب ممّن مثل التلاقح الايجابي بين عالمين بلسانين مختلفين، وستجد الإرهابي الذي يطعن المارة من دون أيّ هدف وهو يصرخ بشعارات دينية.

تعدد اللغات يجب أن يكون ميزة وليس مشكلة. الأمر ليس القدرة على الترجمة، بل هو توفر فرصة الفهم. والذي يعيش بين الثقافات هو في موقع مثالي للقيام بهذا الدور.

ثنائيو اللغة، أو مشروع ثنائيي اللغة، ليسوا محظوظين دائما كما يعتقد البعض. عندما ينتقل طفل يتحدث العربية من سوريا إلى بلد غربي، سيعاني. يجلس أولا بين التلاميذ وهو غير مستعد. وعندما يلاحظ المعلم عليه عدم التجاوب، يعامل أسوة بالأطفال بطيئي الفهم أو من ذوي الاحتياجات الخاصة. هذا تأسيس سيء لشخصية الفرد الرابط بين ثقافتين. من مثل هذه المشاكل، تنشأ الاشكاليات بدلا من صنع الفرص. كان اللجوء إلى عالم الجريمة هو النتيجة الطبيعية فيما سبق. اليوم، الخطر الأكبر هو الإرهاب. ثنائية اللغة، أي ثنائية الثقافة، تنقلب ضدنا بدلا من أن تصنع الفرصة. بل في أحيان كثيرة تصنع خطيبا مفوّها بلغتين لخطاب الكراهية.

لا شك أن الحالات المتطرفة ليست القياس. البحوث الجديدة في رصد النشاط الدماغي تقول إن ثنائي اللغة يمارس ضبطا أكبر للسانه. ثنائي اللغة أو متعددها، يعتاد على لوك الكلمات قبل أن تخرج من فمه. باللاوعي، هو يخشى أن تهرب كلمة من لغة في ركن من عقله، إلى لسان آخر من الألسن التي يتقنها. باللاوعي أيضا، هو متريث ويعطي نفسه فرصة أكبر للتعبير.

هذا لا يعني أنه أكثر حكمة بالمحصلة، لكنه أهدأ نسبيا. وهذا شيء يستحق منا، نحن المهتمين بالتواصل بين الثقافات والحضارات، أن نستثمر فيه. الكردي غير الغاضب أو الأمازيغي المتصالح مع بيئته، هما طاقة إيجابية عموما في مجتمعاتهم العربية. العربي الذي يعيش في الغرب، من خارج دائرة المزايدين عرقيا أو دينيا، هو طاقة إيجابية بالعموم. البعض يشكل حالة متميزة حقا. سواء أكان طبيبا أم سائق سيارة أجرة، هو عنصر مفيد.

تعدد اللغات يجب أن يكون ميزة وليس مشكلة. الأمر ليس القدرة على الترجمة، بل هو توفر فرصة الفهم. والذي يعيش بين الثقافات هو في موقع مثالي للقيام بهذا الدور

المثقف الذي يتحرك بين الألسن واللغات، هو عربة التغيير والتواصل. أتحسر كثيرا عندما ألتقي بمثقفين أو مؤرخين أو سياسيين أو إعلاميين أغلقوا على أنفسهم باب لغة واحدة. بالحد الأدنى، نقرأ بلغة أخرى عن الكيفية التي نظر إلينا بها الآخر، وكيف ينظر. هذه مسألة لا علاقة لها بتوافر أدوات الترجمة، بل بالإحساس بالبيئة التي كُتبت فيها النصوص التي تتحدث عنا. وهذا لن يتم من دون هذا البعد اللغوي الجميل.

للمفارقة، فإن متعددي الألسن يصابون بالخرف مثلهم مثل الآخرين، لكن الخرف يتأخر عندهم بين أربع إلى خمس سنوات عن أمثالهم من أحاديي اللغة. الاستثمار في متعددي اللغة، بلغة المصالح، يعطي عائدا أكبر. هناك ربع مليون مفردة عربية. هناك نصف مليون مفردة إنجليزية. يبدو أن الدماغ يتفاعل بشكل إيجابي أكثر كلما ضغطنا عليه لزيادة خزينه من المفردات. كأن الدماغ يقول أريد أن أكون عقلا بلغتين لكي أعيش أطول.

ربما علينا أن ننصت لصوت العقل.

ثنائيو اللغة ليسوا محظوظين دائماً (غرافيك «العرب»)

ولادة الجمعيات والروابط الأدبية العربية وموتها

مئة عام على تأسيس الرابطة القلمية في نيويورك

نوري الجراح
شاعر سوري

هل انتهى زمن الاتحادات والروابط الأدبية في العالم العربي؟ بمعنى آخر هل استنفد هذا الشكل من أشكال التجمع واللقاء بين الأدباء إمكاناته، ولم يعد صالحا للحياة، بعد عقود من قيامه، لاسيما في ظل ما أخذت تشهده حركة التواصل والاتصال بين الأدباء والمثقفين من سبل جديدة أتاحتها لهم وأملتها عليهم التطورات التكنولوجية متعددة الأوجه التي دخلت على الحياة الثقافية؟

أطرح هذا السؤال والروزنامة العربية أمامي تؤشر على مرور مئة سنة على تأسيس أشهر الروابط الأدبية في الثقافة العربية، وأعني بها "الرابطة القلمية" التي أسستها نخبة أدباء المهجر الأميركي.

المظهر الغالب على وجود اتحادات الكتاب العربية هو العطالة الفكرية والأدبية لصالح النقابة المترهلة إطاراً للطامحين بالأدوار السياسية والاجتماعية والمغانم الشخصية صغيرة كانت أو كبيرة

منذ الربع الأول من القرن العشرين شهدت الثقافة العربية ولادة الروابط الأدبية، أولا مع "الرابطة القلمية" التي تأسست في نيويورك رسمياً سنة 1920، على إثر جلسات في بيت كل من عبدالمسيح حداد (صحافي كان يصدر صحيفة "السائح") وجبران خليل جبران، وضمت الاجتماعات كلاً من جبران، إيليا أبو ماضي، نسيب عريضة، رشيد أيوب، عبدالمسيح حداد، ندرة حداد، إلياس عطا الله، وليم كاتسفليس، وميخائيل نعيمة، وحسب الأخير في مذكراته فإن محضر التأسيس دوّن بقلمه.

اعتبرت الرابطة القلمية، في بيانها التأسيسي، إطاراً يجمع الكلمة ويوحّد المسعى "في سبيل اللغة العربية وآدابها". فالأساس في قيامها، من موقعها في نيويورك، كان أدبياً وفكرياً وجماليا، وليس نقابياً، كما ستؤول إليه أهداف معظم الروابط والاتحادات الأدبية التي ستتأسس لاحقاً في العواصم العربية، خصوصا تلك التي ظهرت في النصف الثاني من القرن العشرين.

ذكرت "الرابطة القلمية" لأنها لعبت دور الملهم في تأسيس جل الروابط الأدبية اللاحقة عليها.

ما نعرفه عن هذه الرابطة أنها عاشت 12 سنة فقط، آلت بعدها إلى التفكك وانصراف أعضائها كل إلى شأنه الأدبي، على إثر رحيل جبران خليل جبران عن عالمنا وقد كان صاحب فكرتها وأبرز أعضائها وأكثرهم شهرة أدبية وتأثيراً في الحياة الثقافية ليس في المهجر الأدبي وحسب، ولكن في دنيا الثقافة العربية مشرقا ومغرباً.

والسؤال الآن ما إذا كانت فكرة الرابطة التي تجمع أكثر من ذات أدبية على هدف أو فكرة أو مسعى، هي، عادة ما تكون مقترح شخص واحد حالم، يتطلع إلى إطار جامع يحقق من خلاله فكرته عن الأدب في علاقته بالمجتمع، وعن القلم المفرد بالجماعة الأدبية، فيلعب هذا الفرد دورا محوريا، ويحصل اللقاء بأدباء يورّطهم بما يفكر فيه ويجد صدى لديهم، ثم ما أن تتحقق الفكرة حتى تتضارب الأفكار وتختلف الآراء، وتبدأ المتاعب، فيعصف الخلاف وتفترق الطرق بالمجتمعين، فالإرادات المتعارضة لأفراد تشاركوا ووظفوا طاقاتهم في ظل وجود شخصية محورية طاغية الحضور (جبران في الرابطة القلمية) و(يوسف الخال في جماعة شعر) بعد نصف قرن من الزمن، فكان رحيل الأول، وانسحاب الثاني سببا في انفراط عقد الجماعتين، من قبل حتى أن ينتهي مبرر وجود الجماعة.

كانت الحاجة إلى وجود منابر ومنصات ثقافية من المسوّغات الكبرى لولادة الروابط الأدبية في كل من دمشق والقاهرة وبغداد وبيروت وغيرها من عواصم العرب، وذلك في ظل ندرة المنابر الأدبية. ونعرف من تاريخ الصحافة العربية أن عددا لا يستهان به من المجلات الأدبية إنما توالى صدورها على إثر ظهور جمعيات ونواد أدبية، فكانت صوتا لتلك الجمعيات والنوادي، كما هو الحال بالنسبة إلى مجلة "الرابطة الأدبية" التي تأسست في دمشق سنة 1921 وكانت المنبر الرسمي لأول رابطة أدبية ظهرت في بلاد الشام، والتي أعلن مؤسسوها وبينهم الناقد أحمد شاكر الكرمي والأديبة ماري عجمي والمترجم أبفانيوس زائد، والشاعر محمد الشريقي، وآخرون غيرهم، أنهم استلهموا في تأسيسها تجربة جبران ورفاقه، بل إنهم تلقوا رسالة تحية وتهنئة من "الرابطة القلمية" موقعة بخط جبران.

وفي هذا السياق، لا بد من الإشارة إلى أن نشوء "الرابطة القلمية" استدعى ولادة منابر أدبية وثقافية منها مجلة "الفنون" وناشرها نسيب عريضة، جريدة "السائح" وناشرها عبدالمسيح حداد، ومجلة "السمير" وناشرها إيليا أبو ماضي. والحال ينطبق على جماعة أبولو التي تشكلت في القاهرة سنة 1932، وهي جماعة شعرية رومانتيكية كان لسان حالها مجلة "أبولو" ومؤسسها هو الشاعر أحمد زكي أبوشادي وضمت أعلاما مصريين وعرباً من أمثال إبراهيم ناجي، وعلي محمود طه، وأبي القاسم الشابي، وآخرين.

بعد عام واحد من نشوء جماعة أبولو تأسست "العصبة الأندلسية" في مدينة ساو باولو بالبرازيل على يدي الشاعر اللبناني المهاجر ميشيل نعمان وشفيق معلوف، وعاشت زمنا أطول من رابطة جبران، وقد ترأسها بعد رحيل مؤسسها الشاعر القروي رشيد سليم الخوري وذلك بدءاً من سنة 1958. وكان من بين أبرز أعضائها الشعراء فوزي والمعلوف وإلياس فرحات.

مع منتصف القرن الماضي توقف تأسيس العصب والجمعيات الأدبية في المهجر وكان آخرها جمعية "النادي الفينيقي" التي أسسها عقل الجر، وكان من بين أعضائها ميشيل معلوف.

لعب أدباء المهجر بانفتاحهم على تجارب الثقافات الأميركية دوراً أساسيا في إلهام الأدباء العرب تأسيس الجمعيات والنوادي الأدبية. وسوف يشهد العالم العربي في النصف الثاني من القرن العشرين قيام عشرات الجمعيات والنوادي والجماعات الأدبية من دمشق إلى صنعاء ومن القاهرة إلى الدار البيضاء ومن بغداد إلى بيروت. ومما لا شك فيه أن هذه الجمعيات التي جمعت أدباء متعددي الاتجاهات الفكرية والمشارب الأدبية والسياسية، لعبت أدوارا بالغة الأهمية في نهضة الأدب العربي.

على أن التحولات السياسية العاصفة، وسياسة الانقلابات العسكرية وهيمنة الأيديولوجيا على المجتمع، والسلطة على الدولة، وظهور الدولة الشمولية العربية، ومعها النظم البوليسية، وما استتبع من تكميم الأفواه، وتحويل الأدباء إلى سجناء ضمير، أو لاجئين في بلدان أخرى أو كتبة تقارير، أو اشخاص معزولين ومنبوذين، حوّل الاتحادات والجمعيات الأدبية إلى مقرات إضافية للحزب الحاكم والجماعة الحاكمة. وأنهى بالتالي المسوّغات الحقيقية للمنتدى الأدبي والرابطة الثقافية. بل وأصاب بالأمراض نفسها الروابط الأدبية الحرة التي لم ترتبط مباشرة بالسلطة.

واليوم فإن المظهر الغالب على وجود اتحادات الكتاب العربية هو العطالة الفكرية والأدبية لصالح النقابة المترهلة إطاراً للطامحين بالأدوار السياسية والاجتماعية والمغانم الشخصية صغيرة كانت أو كبيرة.

ولم يبق ما يقال في حال كهذه إلا الترحم على براءة الفكرة وطفولتها المضيئة.

لعب جبران دور العراب في «الرابطة القلمية» وبوفاته تفككت وانفرط عقدها

كانت الحاجة إلى وجود منابر ومنصات ثقافية من المسوّغات الكبرى لولادة الروابط الأدبية في كل من دمشق والقاهرة وبغداد وبيروت وغيرها من عواصم العرب

الرواية تسابق التاريخ

استلهام التاريخ في الأدب

قديمة هي علاقة الأدب بالتاريخ، ويظلّ السجل التاريخي عبر العصور ملهم الثقافات، وخزّانا أثيرا يستقي منه الروائيّون أعمالهم، ينهلون منه حوادث شكّلت منعطفات هامّة في مرحلة من مراحله أو أكثر، يتّخذونها متكآت لهم ينطلقون من خلالها إلى عوالمهم الروائيّة الشاسعة، يبنون عالما متخيّلا على أساس نقاط علام لهم، بحيث يهندسونها بطرائقهم الخاصّة وأساليبهم المبتكرة، حتّى لتكاد تنافس التاريخ المفترض، أو المدوّن، وتتقدّم باعتبارها تاريخا لا تخييلا، وهنا قوّة الخلق والابتكار والتخييل. في هذا الملفّ الذي ننشر جزءا منه بالاتفاق مع مجلة "الجديد" مقالات تفتح الباب للتنقيب في سبل استلهام الروائيّين لاعمالهم وقائع من طيات التاريخ أو عتماته، وتتقصى المقالات كيف نسج الروائيون بصياغاتهم الخاصّة تلك الوقائع، وذلك من خلال عدّة دراسات تخوض في العلاقة بين الرواية والتاريخ، وأساليب الروائيّين ومغامراتهم، والكيفية التي بلوروا وفقها أعمالهم وممارسة الإسقاط على الراهن، والدفع إلى الاعتبار من الدروس التي يشتمل عليها هذا التاريخ، بنوازله وكوارثه، أو بمحطاته المفصليّة التي رسمت مسارات أزمنة تالية عليها. هل أصبح الروائيّ مؤرّخ العصر الحديث؟ إلى أيّ حدّ نجح الروائيّون بكتابة تاريخ متخيّل مبنيّ على وقائع تاريخيّة معلومة؟ هل يأتي الاشتغال على التاريخ من باب الهروب من الواقع أم لمحاولة فهم هذا الواقع أكثر فأكثر؟ يغامر هذا الملف بتقديم إجابات عن العديد من الاسئلة المتصلة والناجمة عن علاقة الرواية بالتاريخ وانشغال الروائيين بهذه الموضوعة، وتضيء المقالات المنشورة هنا جوانب أساسية من العلاقة الدرامية بين الرواية والتاريخ، وحول طبيعة التجديد الذي يلازم التاريخ روائيّا، وكيف أنّ الرواية التاريخية تتحوّل إلى روايات إبداعية تنفتح على آفاق جديدة على أيدي حائكين؛ حكّائين، ماهرين يجيدون اللعب في هذا الميدان الثريّ، الساحر والشائك.

العلاقة بين عالمين

زياد الأحمد
كاتب سوري

نبدأ بالتفريق بين التّاريخ والتأريخ: فالتأريخ بالهمز: هو الكتابة عمّا حدث أمّا التّاريخ فهو إعادة قراءة ما حدث، وإعادة كتابته بصورة أخرى أقرب إلى الحقيقة التاريخيّة ومن هنا كان الإشكال بين الرواية والتاريخ وليس التّأريخ (بالهمز) لأنّ الأديب يقرأ الأحداث بعينين: الأولى واقعية والثانية تخييلية ويعيد كتابتها في بنية فنية.

الرواية مصدرا تاريخيا

بما أن الرواية تتناول ظواهر اجتماعية، وكل ظاهرة اجتماعية هي ظاهرة تاريخية كما يقول باختين، نستطيع القول بإمكانية اعتبار الرواية مصدرا غير تقليدي للتاريخ؛ لأنّها الأقدر على التغلغل في طيات المجتمع وخبايا النفوس والأقدر أيضاً على إنطاق المسكوت عنه في الخطاب الثقافي والسياسي والاجتماعيّ العام.

> فمن خلال تتبعنا لها عالمياً وعربياً، وجدنا من ينسبها في الغالب إلى الروائي الأميركي ستيفن كراين برواية «شارة الشجاعة الحمراء»، ولكن تكامل العناصر الفنية فيها تنسب إلى والتر سكوت الأسكتلندي

وكثيرون من ذهبوا إلى أن الرواية هي كتابة التّاريخ غير الرسمي أو التّاريخ المنسي، فهي التي تتغلغل في تفاصيل ينساها ذلك التّاريخ الذي ينشغل بتدوين الأحداث الكبيرة والأسماء العظيمة، وينسى تداعيات تلك الأحداث على الأرض والبشر الضحايا، الذين يعيشون في الظل بعيدا عن شموس قيادة الحدث، كما أنّه يدون حياة تلك الشخصيات المرمية على هامش الحياة والتاريخ وأعمالها، وما كان لنا أن نعرفهم لولا الرواية .وهذا ما أكده كارلوس فونتيس حين قال "أعتقد أن الرواية تمثل الآن تعويضا للتاريخ، إنّها تقول ما يمتنع التّاريخ عن قوله.... نحن كتاب أميركا اللاتينية نعيد كتابة تاريخ مزور وصامت، فالرواية تقول ما يحجبه التّاريخ" (مجلة الكرمل العدد 18).

ولا ننسى أن المؤرخين كانوا يتعاملون مع التّاريخ على أنّه نوع من الأدب، ويؤكد قاسم عبدة قاسم في مقالته "التاريخ والرواية" (مجلة العربي العدد 557) بأن العلاقة بين التّاريخ والرواية هي علاقة تكامل واعتماد متبادل، فالرواية هي وثيقة للمؤرخ الذي يريد أن يفهم مجتمعا في حقبة معينة، والرواية التي لم تكتب بقصد أن تكون تاريخاً تظل من أهمّ المصادر التاريخيّة لمعرفة النظام القيمي والأخلاقي، والعادات والتقاليد والمشاعر والأحاسيس ورؤية الناس لدورهم وعلاقتهم بالآخرين داخل مجتمعهم وخارجه. فضلا عن أنواع الملابس والطعام ورأيهم فيما يدور حولهم من أحداث وفي من يحكمونهم، وهي كلها أمور لا يجدها الباحثون في المصادر التاريخيّة التقليدية التي كتبت بقصد أن تكون تاريخا ولا يمكن لباحث أن يزعم أنّه فهم مجتمعا في فترة تاريخية ما دون أن يكون عارفا بآدابه وفنونه ومن بينها الرواية بطبيعة الحال.

ولهذا اعتبر الروائي الفرنسي بلزاك نفسه مؤرخ العصر، وإميل زولا هو مؤرخ للحياة الاجتماعية في القرن التاسع عشر، ونجيب محفوظ يؤرخ للقاهرة في الأربعينات، وكذلك عبدالرحمن منيف في مدن الملح، ثمّ في أرض السواد يؤرخ للجزيرة العربيّة والعراق. كما يمكن للرواية أن تكون مصدراً من مصادر التاريخ، ويمكن للتاريخ أن يكون مرجعا للرواية ومنهلاً تستقي منه موضوعاتها، ومكوناتها كما تؤكد سليمة عذراوي أنّ هناك ارتباطاً فطرياً بين التّاريخ والفنّ الروائي، إذ أنّ كليهما يتضمن سرد الأحداث بشكل قصصيّ، ولوجود هذه العلاقة بين الفن والتاريخ اتّجه الكتّاب إلى قراءة هذا المصدر الثري، وهضم صوره وصياغة موضوعاته صياغةً حيّةً نابضةً لتغدو وسيلةً للتعبير من خلالها عن أنفسهم باعتبار أنها ذوات تحسّ وقلوب تنبض.

هذا التداخل والتكامل بين الرواية والتاريخ دفع النقاد إلى التمييز بين كتابة التّاريخ والرواية التاريخيّة والرواية الأدبية، فالرواية التاريخيّة تشترك مع الرواية الأدبية في وجود بنية تاريخية تتأسس عليها (أشخاص وفضاء وشخوص كما في الواقع) لكنّ الرواية التاريخيّة تنطلق من ذوات وأحداث حقيقية وتشكل جزءاً من التّاريخ.

ولعلّ منبع الإشكالية بين التّاريخ والرواية كما يرى مفيد نجم (صحيفة العرب العدد 10353) يأتي من دلالة المصطلح الذي لا يقيم أيّ تمايز بين الرواية التاريخيّة التي تقوم على سرد وقائع وأحداث جرت في الماضي متتبعة في سردها التسلسل الزمني الطبيعي، والرواية التي تتخذ من التّاريخ فضاءً لها مستخدمة بذلك أدوات الخطاب التخييلي

كما يفرّق نجم بين الروائي والمؤرخ بقوله "ليس على الروائي أن يقوم بدور المؤرخ إذ لكل منهما أسلوبه ولغته في التعامل مع الواقع والأحداث، كما أنّ الزمن الروائي هو زمن تخيلي قبل كلّ شيء؛ على الرغم من محاولة الكاتب الواقعي أن يخلص للواقع من خلال تمثّله ولكن وفق ما تمليه رؤيته إليه وحاجات الخطاب المسرود، بينما يبقى المؤرخ أسير الحدث لغة ومنهجاً، وإذا كان التّاريخ هو ما كان فأنّ الرواية هي ما يمكن أن يكون".

وإذا رجعنا إلى جورج لوكاتش في كتابه "تاريخ الرواية" رأينا أنّه يعرّف الرواية التاريخيّة بأنّها رواية تاريخية حقيقية؛ أي رواية تثير الحاضر، ويعيشها المعاصرون بوصفها تاريخهم السابق للذات، "فهي عمل فني يتخذ من التّاريخ مادة له؛ لكنها لا تنقل التّاريخ بحرفيّته بقدر ما تصوّر رؤية الفنان له وتوظيفه لهذه الرؤية للتعبير عن تجربة من تجاربه أو موقف من مجتمعه يتخذ من التّاريخ ذريعة" كما يرى عبدالحميد القط في كتابه "بناء الرواية" (ص 23).

مسيرة الرواية التاريخية

لعلّ الإجابة عن تساؤلات تلك العلاقة الإشكالية بين الرواية والتاريخ تتوضح من خلال متابعة سيرورة ما عرف بالرواية التاريخية ومضامينها.

فمن خلال تتبعنا لها عالمياً وعربياً، وجدنا من ينسبها في الغالب إلى الروائي الأميركي ستيفن كراين برواية "شارة الشجاعة الحمراء"، ولكن تكامل العناصر الفنية فيها تنسب إلى والتر سكوت الأسكتلندي (1771 –1832) أبي الرواية التاريخيّة وأشهرها رواية "إيفانهو" (1819) و"الطلسم" (1825) وقد كتب أكثر من 55 رواية جسّد فيها التّاريخ الأسكتلندي بطريقة فنية أكثر تأثيراً من كتب التّاريخ الجافة، حتى ساد اعتقاد الكتاب والباحثين على أنّ روايات سكوت أقرب إلى الحقيقة التاريخيّة من كتب المؤرخين ثمّ سار على نهجه بالورليتون وجورج إليوت. وإلى بلزاك ينسب فضل إدخال العادات والتقاليد إلى الرواية التاريخيّة. وانتقل تأثير سكوت إلى أوربا كلّها فكتب في فرنسا ألكسندر ديماس الأب (1802–1870) التّاريخ الفرنسي ابتداء من عصر لويس الثالث عشر حتى عودة الملكية وتبعه في فرنسا فكتور هيجو فكتب "نوتردام دوباري" (1831) و"كاتر فان تريز" (1873) ومن ثمّ انتقل اللون الروائي التاريخي إلى سائر الآداب العالمية وكانت "الحرب والسلام" لتولستوي من أعظم الروايات التاريخيّة.

أما القصة والرواية التاريخيّة عند العرب فعُرفت في كتابات سليم البستاني وجورجي زيدان وأنطون فرح ويعقوب صروف وأمين ناصر وغيرهم من الجيل الأول، فقد كتبوا التّاريخ في سياق حكايات تكون أكثر تسلية وتشويقا، وقد قدّم جورجي زيدان 23 رواية تاريخية (1861– 1914) سماها "روايات تاريخ الإسلام" والرواية عنده وسيلة لتقريب التّاريخ وانتُقد زيدان بافتقاد روايته للحقيقة التاريخيّة وتزييفه للتاريخ الإسلامي، كما اتّهم من قبله والتر سكوت بتزييفه للتاريخ الأسكتلندي، وهي تهمة يعاني منها أكثر كتاب الرواية التاريخيّة حيث يتهمون بالتزوير والتشويه والعمالة.

ثمّ تبعهم الجيل الثاني، ومنهم علي الجارم الذي قدّم أعمالاً تاريخية تهدف إلى التعريف ببعض الشعراء العرب؛ كابن زيدون وابن عباد وأبي فراس الحمداني والوليد بن يزيد. ومحمد فريد أبوحديد الذي عاد إلى ما قبل الإسلام ليستمد منه أعمالا روائية كعنترة والمهلهل والملك الضلّيل.

يمكن للرواية أن تكون تاريخاً (غرافيكس «الجديد»)

العلاقة بين التاريخ والرواية أكثر من وطيدة وأكثر من جدلية فهما ينتميان لمنظومة حكائيّة واحدة يستحيل فصلهما، لا تاريخ بلا فعالية سردية روائية ولا رواية بلا فضاء تاريخيّ، يغذّي أحدهما الآخر على نحو أكيد وأصيل وفعّال ومنتج، فالتاريخ ركيزة أساسيّة تختزن تجارب وحكايات وشخصيات وأزمنة وأمكنة وخبرات لا يمكن التغاضي عنها أو إغفالها، حين يريد الكاتب لعمله الروائيّ أن يحصل على الخصب المطلوب والحجاج القادر على إقناع المتلقّي بصدق ما يروي، ليس الصدق التاريخي الواقعي الاجتماعي الأخلاقي بل الصدق السردي الفني الجمالي الذي يخلق إحساساً في منطقة التلقّي بأهمية ما يروى لها وفائدته، إذ أشار كثير من الروائيين الكبار إلى ضرورة هذه العلاقة وخطورتها في ميدان الإبداع الروائي مؤكّدين أن لا مناص من استثمار التاريخ روائياً، على ما في هذه المحاولة الاستثمارية من أخطار محدقة لا بدّ للروائي أن يتحسّب لها ويتفادى ما وسعه ذلك مغبة الوقوع فيها، فعامل الوعي وحساسية الاستبصار السردي هما من أشدّ العوامل الواجب حضورها في توظيف التاريخ روائياً كي لا يقع الروائي في حالة التنازل للتاريخي على حساب السردي الروائي، وهذه قضية في غاية الدقّة والخطورة لأنّ ثمّة خيطاً دقيقاً جداً بين التوحّل والتورّط في التاريخي بلا منقذ، والعبور من فوقه نحو التخييليّ بلا حدود، فينبغي أن يكون التاريخيّ في الروائيّ أداة ووسيلة وليس هدفاً وغاية للوصول إلى الكيان السردي الروائي المطلوب.

وجهان ووجهتان

محمد صابر عبيد
ناقد وشاعر عراقي

رواية التاريخ رواية مقصديّة ومصلحيّة تبتغي إيصال رسائل أيديولوجيّة في الدرجة الأساس لا يعنيها مطلقاً أن تكون فنيّة جماليّة، وراويها يتوجّه نحو هذه الغاية بما يمتلك من إمكانات على تحشيد قوّة الحادثة، وأسطرة الشخصيّة، وتوسيع حجم الفضاء السرديّ، لأجل تمكين الرؤية من بلوغ مراميها على أفضل سبيل ممكن ومتاح ومناسب، لذا لا يألو راوي التاريخ جهداً في استثمار طاقة المتخيّل على نحو ما كي يرتفع بروايته إلى المقام الذيّ يريد، ولكن في حدود ضيّقة ومحسوبة بدقّة متناهية، إذ لا يوجد تاريخ واقعيّ حقيقيّ ينقل الأحداث التاريخيّة الواقعيّة كما جرت فعلاً نقلاً فوتوغرافياً حرفياً صافياً ونقياً، بل تعتمد رواية التاريخ وتدوينه على وجهة نظر الراوي "المؤرّخ" ومرجعيته المنهجيّة في طبيعة المرويّ وتحولاته وقضاياه، وفي انتمائه لما يرويه سياسةً وعقيدةً ورؤيةً، وهو غالباً ما يخضع لأيديولوجية معيّنة لها أهداف وغايات ومقاصد خاصّة سواء أكانت هذه الأيديولوجيا ذاتية أو موضوعية، فيسخّر لها ما يمتلك من أسلوب تعبيريّ وصناعة خبريّة روائيّة لتحقيق ما يصبو إليه من صورة سردية تستجيب لمنطلقاته وطموحاته، ولا تتطابق ضرورةً مع ما جرى فعلاً على أرض الواقع.

وهذا ما يفسّر اختلاف الروايات التاريخيّة حول حادثة تاريخيّة واحدة تتباين رواياتها بين راوٍ وآخر، بحسب المنهج التاريخيّ الذي يعتمده كلّ منهما في انتخاب زاوية الرؤية التي يسرد الحدث منها، واللقطات المحدّدة المنتخبة التي يلتقطها ويعنى بها العناية الكاملة من بين كلّ لقطات الحادثة كما جرت فعلاً، ومقدار الضوء الذي يسلّطه على أجزائها وبناياتها وطيّاتها وظلالها واحتمالاتها، وحجم العناية التي يوليها لقسم منها على حساب القسم الآخر، حتى ليبدو وكأنّ الراويان يرويان حادثتين مختلفتين تمام الاختلاف مع أنّ الحادثة واحدة.

الرواية بوصفها فناً سردياً متخيّلاً على هذا النحو لا تبتعد كثيراً عن التاريخ من حيث اعتمادهما على مرويّ/ رسالة يقوم على وجهة نظر الراوي، لكنّ راوي التاريخ يتلاعب ويتصرّف بالحدث الواقعيّ وفق رؤية تخدم منهجه في التعبير والتدليل والتصوير، في حين يشتغل الروائيّ داخل فضاء متخيّل يستعير التقاطات وعلامات وإشارات ومعطيات في سيرته الذاتية والاجتماعية والثقافية والرؤيوية في مرجعيتها الواقعية، ويسرّبها بذكاء محسوب داخل نسيج متخيّله كي ينجح في صناعة نصّه الروائيّ على النحو المطلوب، ولا يمكن قطعاً استبعاد السيرذاتي التاريخي من أمام قاطرة العمل الروائي السائرة على سكّة التخييل، وليس من المصلحة الفنية مثل هذا الاستبعاد إن حصل لأنّ الروائيّ يكون حتماً أكثر براعة في رواية وتدوين ما يخصّه وما مرّ به وجرّبه أفضل ممّا يستعيره من تجارب أخرى أو يصنعه في مخيّلته، ومن ثمّ يعشّق ذلك بأسلوبيته الخاصة مع تجربة الرواية ليصوغ نسيجاً سردياً خاصاً تشتبك فيه ملامح من التجربة السيرذاتية مع فضاء التجربة الروائية في عالمها التخييليّ.

> راوي التاريخ يتلاعب ويتصرّف بالحدث الواقعيّ وفق رؤية تخدم منهجه في التعبير والتدليل والتصوير، في حين يشتغل الروائيّ داخل فضاء متخيّل

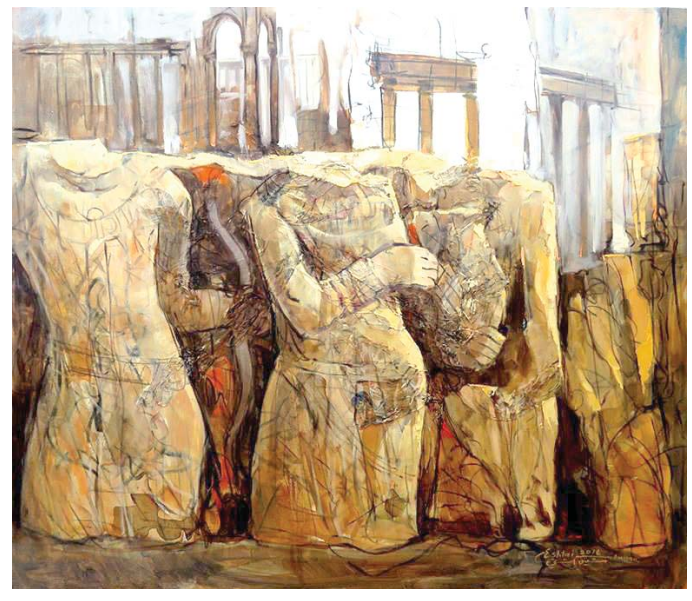

لوحتان لشفيق أشتي

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

الرواية التاريخية

لا يمكن الحديث عن الأدب إلا من خلال أجناسه. كما أنه لا يتأتى لنا تناول أيّ جنس منها بدون الانطلاق من أحد أنواعه. يتقاسم الإحساس بنوعية الأجناس الأدبية كل من القراء والكتاب، ضمنا أو مباشرة. فحين يقرر كاتب ما إبداع عمل أدبي، فهو ينتجه في نطاق القصة أو الرواية أو القصيدة مثلا، ضمن تصور عام للأدب تلتقي فيه كل الأشكال الأدبية. وفي الوقت نفسه، يبدع ذلك الأثر في نطاق النوع الخاص الذي ينشغل به، مراعيا في ذلك القواعد الخاصة بهذا النوع على وجه الإجمال. ويمكن قول الشيء نفسه عن القارئ. فالذي يتجول بين الأروقة الخاصة بالأدب في مكتبة خاصة أو عامة، يختار منها ما يتلاءم مع ميولاته. إن عاشق الرواية البوليسية غير المهتم بالرواية العاطفية، أو التاريخية. وقس على ذلك. وكل قارئ لأيّ نوع تتشكل لديه خطاطات عامة لقواعد أيّ نوع فيمكنه ذلك، عبر التفاعل مع ما يقدمه له الإنتاج الأدبي، من تحقيق المتعة أو الفائدة المراد تحصيلها من وراء عملية القراءة.

سعيد يقطين
ناقد مغربي

الدراسة الأدبية تختلف باختلاف الاتجاهات والمدارس والحقب التاريخية. فالناقد غير العالم، وهما معا غير المربي، أو الإعلامي. فالناقد، حين يدرس الرواية يكون أحد اثنين: إما أنه يؤمن بنظرية الأجناس، ويفرض عليه ذلك التعامل مع العمل وفق إجراءات ومقتضيات النوع لغايات ومقاصد ينشدها من وراء هذا الاهتمام. وحين يكون العكس يشتغل بأيّ نص سردي بغض النظر عن انتمائه النوعي، وتكون لذلك أهداف أخرى.

الأدب ونظرية الأجناس

لا يمكن الاشتغال بالنوع السردي إلا من عنده تصور عام عن الجنس السردي، وفي نطاقه يتعامل مع أيّ نوع. لذلك نجد الدراسات التي تهتم بالأجناس ونظريتها قليلة بالقياس إلى الدراسات النقدية. إن أول أثر عمل على تأسيس نظرية متكاملة لأجناس القول والإبداع تحقق مع أرسطو في كتابه "البويطيقا". وظل هذا الكتاب يمارس تأثيره في تصنيف الأعمال إلى القرن العشرين. بل إن أثره امتد إلى الدراسات العربية التي ظلت تنطلق منه في تصنيفها، ولا سيما في العصر الحديث تحت تأثير الدراسات الأدبية الغربية. لا ريب أن هناك محاولات كثيرة حاولت القيام بهذا العمل لكنها لم تصل قط إلى "القانون" الذي سطره أرسطو. ولعل أهم إعادة قراءة بويطيقا أرسطو من حيث تركيزها على البعد الجنسي تتجلى فيما قام به جيرار جنيت في كتابه "معمارية النص".

وفي العصر الحديث، وبسبب تغير أشكال التعبير وتعددها، بدأت تظهر محاولات جديدة، لكنّ أيّا منها لم يصل إلى المنتهى الذي يمكن أن يقدم صورة متكاملة وشبه نهائية لما يمكن أن تكون عليه الأجناس والأنواع وقد تنوعت بتنوع الوسائط، وتعددت بتعدد التجارب الإبداعية. فكان أن بدأت تظهر قناعات باستحالة التمييز بين الأجناس والأنواع لزئبقيتها، وتداخل بعضها مع بعض. ومع هيمنة مقولة النص تحت تأثير الدراسات اللّسانية، بدأ يقع التسليم بلا أهمية الجنسية والنوعية. هذه الدعوى تلقفها التجريبيون من الكتّاب، ودافع عنها ثلة من النقاد. لكن ذلك لم يمنع من استمرار التمييز بين الجنس والنوع، لدى الكثيرين من القراء والمبدعين في الغرب، وأغلب الدراسات الأدبية المعاصرة تتعامل مع الأدب من خلال أجناسه وأنواعه. بل إن العديد من الاختصاصات قصرت اهتمامها على جنس معيّن (السرد مثلا)، أو التركيز على نوع خاص منها (الرواية البوليسية مثلا). أما في الوطن العربي بسبب غياب الاهتمام بالدراسة الأدبية من مختلف جوانبها، فقط تم تعطيل الوعي الجنسي والنوعي، فكان عدم التمييز واقعا يشهد به الإبداع والنقد معا.

الرواية العربية بلا أنواع؟

لقد تطورت الرواية العربية منذ منتصف القرن الماضي، وصار لها حضور يفرض نفسه على غيرها من الأجناس والأنواع، ولا سيما الشعر الذي ظل يحتل المكانة الأساسية في الإبداع العربي. وإذا كان الحديث عن الأنواع الروائية العربية ممكنا قبل هذا التاريخ (رواية تاريخية، واقعية، رومانسية، رمزية، رواية جديدة...) فإنه منذ هيمنة مفهوم النص في الأدبيات العربية تقلص الاهتمام بها، وصار ادعاء كتابة "رواية" كافيا للدلالة على عمل له شرعيته الإبداعية.

إن عدم التمييز بين الأنواع الروائية العربية جعل كل عمل سردي، أيّا كانت طبيعته "رواية" ما دام الكاتب يضعها مُناصّا لعمله. لا فرق في ذلك بين رواية في تسعين صفحة، وأخرى في مئتين، وثالثة في ثلاثية أو خماسية. كما أنه لا فرق بين الرواية حسب الموضوع أو الطبيعة أو الوظيفة. كل شيء رواية. كما أن الدراسات الأدبية العربية، وهي تهمل البحث في أنواع الرواية التاريخية، أو في تغييب أيّ قراءة للرواية وهي تتصل بالتاريخ مثلا ظلت حبيسة تحليل نصي، بغض النظر عن قيمته، لا يبحث إلا في ما تشترك فيه الروايات المختلفة، فكان ذلك حائلا دون التوقف عن خصوصيتها في تعاملها مع التاريخ.

> لقد تطورت الرواية العربية منذ منتصف القرن الماضي، وصار لها حضور يفرض نفسه على غيرها من الأجناس والأنواع، ولا سيما الشعر الذي ظل يحتل المكانة الأساسية في الإبداع

حين نتجاوز هذا الواقع المعطى في الوطن العربي نجده مختلفا عما تعرفه الآداب العالمية المتطورة حيث الأنواع الروائية متعددة، وهي تثري بجديد الأنواع المستحدثة، ولا أدل على ذلك من الرواية التاريخية التي ما تزال تحظى بمكانتها السردية، بل إنها ازدادت وتضاعفت منذ أواخر القرن الماضي، وسط الأنواع الروائية الأخرى، وقد عرفت تطوّرات كبيرة في صيرورتها جعلتها تختلف عمّا كانت عليه منذ تشكلها في الآداب الغربية.

إذا أخذنا الرواية التاريخية نجدها قد تأسّست في الوطن العربي على يد جورجي زيدان في بدايات القرن العشرين، على غرار الرواية التاريخية الغربية، وكتب في نطاقها الكثير من الروائيين العربي إلى خمسينات القرن الماضي مشددين بشكل أو بآخر على أنهم يكتبون الرواية التاريخية. لكن منذ الستينات صار التأفف من اعتبار روايات تنطلق من مادة تاريخية محددة رواية تاريخية. وظل هذا المنوال ساريا، إلا فيما ندر إلى الآن. ونجد ترجمة لذلك على مستوى الدراسات الأدبية في إقدام الباحث عبدالله إبراهيم على استبدل "الرواية التاريخية" بما أسماه "التخييل التاريخي" بحجة أن ذلك "سوف يدفع بالكتابة السردية المتصلة بالتاريخ إلى تجنب ما يثار حولها من خلاف كلما نوقشت قضية الأنواع (الأجناس) الأدبية، وحدودها، ووظائفها، وسيتولى فضلا عن ذلك، ردم ثنائية الرواية والتاريخ".

إن اقتراح هذا الاستبدال لا مبرّر لها منهجيا ولا نظريا. ولعل السؤال حول قيمته المضافة إلى التحليل يمكننا من معاينة أن تجنب ما يثار حول قضية الأجناس الأدبية لا يضيف شيئا بل إنه يكرس تصورا يناقضه واقع الحال. إن نظرية الأجناس مبحث مركزي في الدراسات الأدبية كيفما كان اتجاهها. كما أن ردم ثنائية الرواية والتاريخ يجعلنا نتساءل ما معنى هذا الردم؟ فالرواية رواية، والتاريخ تاريخ. ولا يمكن إلا أن تقام بينهما علاقات متعددة الأبعاد، والأشكال. إنّ بوسع الرواية أن تقيم علاقات مع الجغرافيا، والاجتماع، والنفس... دون أن تفقد خصوصيتها لأن المسألة تتعلق بكيفية التعامل مع الاختصاصات والموضوعات.

وهذه الكيفيات هي التي تحدد الأنواع الروائية، وتؤكد إمكانية تطورها.

إن استعمال "التخييل التاريخي" محل "الرواية التاريخية" يعني استبدال مصطلح نوعي بآخر. وأيّ نوع، كيفما كان، إذا ما أتيح له أن يتطور في الزمان، ويستقطب الاهتمام الإبداعي، لا يمكنه إلا أن يعرف تحولات على مستوى بنياته ووظائفه، فيصبح بذلك متضمنا لأنواع فرعية، تماما كما وقع مع الرواية التاريخية الغربية والعربية أيضا.

ومعنى ذلك بكلمة أخرى، أن التخييل التاريخي قابل لأن يتضمن أنواعا فرعية مع الزمن، وإلا كيف تتساوى الروايات في تعاملها مع التاريخ؟ فهل استبداد المماليك هي السائرون نياما؟ وهل معا هما الزيني بركات أو العلامة؟ وقس على ذلك. إن العلاقة بين الرواية والتاريخ لا ينبغي أن تردم، ولكن علينا أن نعمل على استكشافها لمعاينة كيف يبني الروائي علاقته بالتاريخ؟ ولماذا؟ وبأيّ طريقة؟ ولأيّ مقاصد؟ ويمكننا الجواب عن هذه الأسئلة من تحديد الفروقات بين الروايات وهي تتعامل مع التاريخ من خلال الوقوف على نوعياتها.

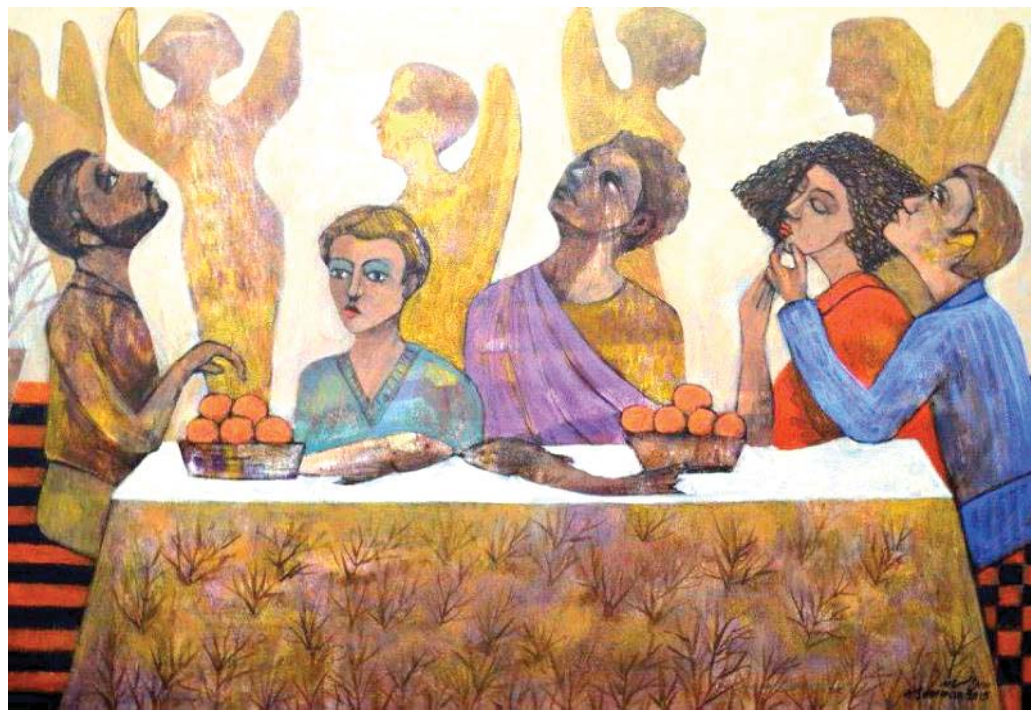

لوحة نبيل السمان

فعل مضاد للتاريخ

خيري الذهبي
روائي سوري

التاريخ، وكم يعشق العرب التاريخ وكم تعلقوا به في جميع نواحي حياتهم، حتى بات وحشاً التهم مستقبلهم. التاريخ هو روايةَ المنتصرين الذين أرادوا أن يسجلوا للأجيال التي تليهم روايتهم عما حصل وجرى معهم من أحداث وتفاصيل، ومن هنا تتضارب سير التاريخ وتفاصيله بين المنتصرين والمهزومين، ومن هنا خرجت في القرن العشرين المجموعات البحثية التي سمت نفسها بالـ"المراجعين" أي أولئك الذين رفضوا التاريخ الذي وصلنا كما هو وقرروا البحث في حقائقه وتفاصيله ليعيدوا كتابته كما لو أنه لم يكن، تصحيحاً وبحثاً نحو الحقيقة.. وحينما نتحدث عن الحقيقة.. فالسؤال الأهم.. هل هناك حقيقة في عالمنا هذا؟ هي وجهات نظر.. هناك من يرى العرب فاتحين.. وهناك من يراهم غزاة، وهناك من يرى تيمورلنك مجرما وسفاحا.. وهناك من يراه والد الأمة وقائدها، وقس على ذلك.

التاريخ هو تلك الرواية الجمعية التي اتفق عليها المنتصرون وفرضت على من تلاهم، وتبناها من اتبعهم، تبنوها لدرجة العبادة والتقديس.

أما في عصرنا الحديث فصراع الإنسان مع ذاته ومع عالمه المحيط جعله وعيه يطور أساليب سردية غاية في المهارة والإبداع، جعلت وتجعل من كل فرد "منتصر" بينه وبين نفسه على القدر، ويحق له بالتالي أن يروي للآخرين تاريخه كما يراه، وكانت بالتالي "الرواية" كفن سردي، توثيقي، تخييلي، مواز للحقيقة، وربما مجاور لها.

الرواية هي التاريخ حينما يتحول إلى فن، هو صنعة النجار الفنان الذي يدخل إلى غابة من الأخشاب المقطوعة وغير المقطوعة، فيعمل عليها الراوي محوّلاً إياها إلى أعمال فنية غاية في الروعة، تنسي النظارة ما هو أساسها، ولكنها تبقى في النهاية خشبا من تلك الغابة التي اسمها التاريخ، ولربما تكون الرواية تاريخا شخصيا كما فعل باتريك وزسكيند في "العطر"، وربما تكون تاريخا لعائلة كما فعل نجيب محفوظ في ثلاثيته وكما فعل خيري الذهبي في ثلاثيته "التحولات" أيضاً، ولربما كانت تاريخ مدينة كما فعل أورهان باموق في "إسطنبول" أو ربما كانت تاريخا لهذا العالم الذي نعيش فيه كما فعل أنووريه دو بلزاك، وربما كانت تاريخاً لعالم نتوقعه، عالم بشع نخشاه كما فعل ألدوس هكسلي في روايته "عالم جديد شجاع"، أو رواية لعالم نحنّ إليه ونتمناه كما فعل يفيغيني زمياتين في رواية "نحن".

الرواية فعل مضاد للتاريخ، يكتبه "المراجعون الجدد" المنتشرون في أصقاع الأرض، ممن يودّون أن يسردوا رواياتهم التي نبذها التاريخ الرسمي التي حقرها التاريخ الرسمي، والتي لم يعترف بها ذلك التاريخ الرسمي، فحينما كانت سلطات الاتحاد السوفييتي على سبيل المثال تسيطر على روح المجتمع السوفييتي وتصادر حرية تعبيره، كان بولغاكوف يسرد في روايته "المعلم ومارغريتا" تاريخاً مضاداً مشفراً ومرمزاً، كي يستطيع المرور عبر آليات الرقابة والمصادرة والاعتقال، استطاع بولغاكوف أن يتحدث عن كل شيء في تلك الرواية، عن جيله ومشاكله وعن حالته الشخصية وعن الكنيسة والإيمان والشيوعية والإلحاد، وعن المجتمع الروسي والكي جي بي، ممرراً تاريخه كما تفعل الطوائف الدينية الصغرى في نصوصها المقدسة من ترميز وتلغيز ومواربة، فقال التاريخ الذي لم يقله المنتصر ستالين آنذاك، بل روى تاريخه كمهزوم، وسجل لنا وللشعب الروسي تاريخ فترة من أصعب فترات حياته.

مصطلح علم التاريخ مصطلح غريب ودخيل على العربية، أو على البدو الذين كانوا يؤرخون شفهياً، وفي كثير من الأحيان حسب رغبتهم لمستجدات الصراع بين القبائل العربية، وليس من يعرف متى دخل مصطلح التاريخ "كعلم" إلى العربية، وفي زمن مَنْ من الخلفاء دخل إلى العربية؟ وكان العلم ما يزال تعلماً يحبو على طريق المعرفة، ولكن استخدام هذا العلم ولو بطريقة بدائية كان واضحاً جداً، فلقد تم التعرف على بدايات علم التاريخ من الكهنة في الأديرة والذين كانوا متفرغين لكتابة التاريخ، أو من المعلمين الذين أسرهم العرب في فتوحاتهم، وكانوا حريصين على استكمال كتابة التاريخ، وهذا له معنى واحد، أي أن التاريخ العربي كعلم بدأ منذ خروج القبائل العربية من الجزيرة، وانتصارهم على الروم وطرد الفرس عن العراق العربي ثم الأعجمي.

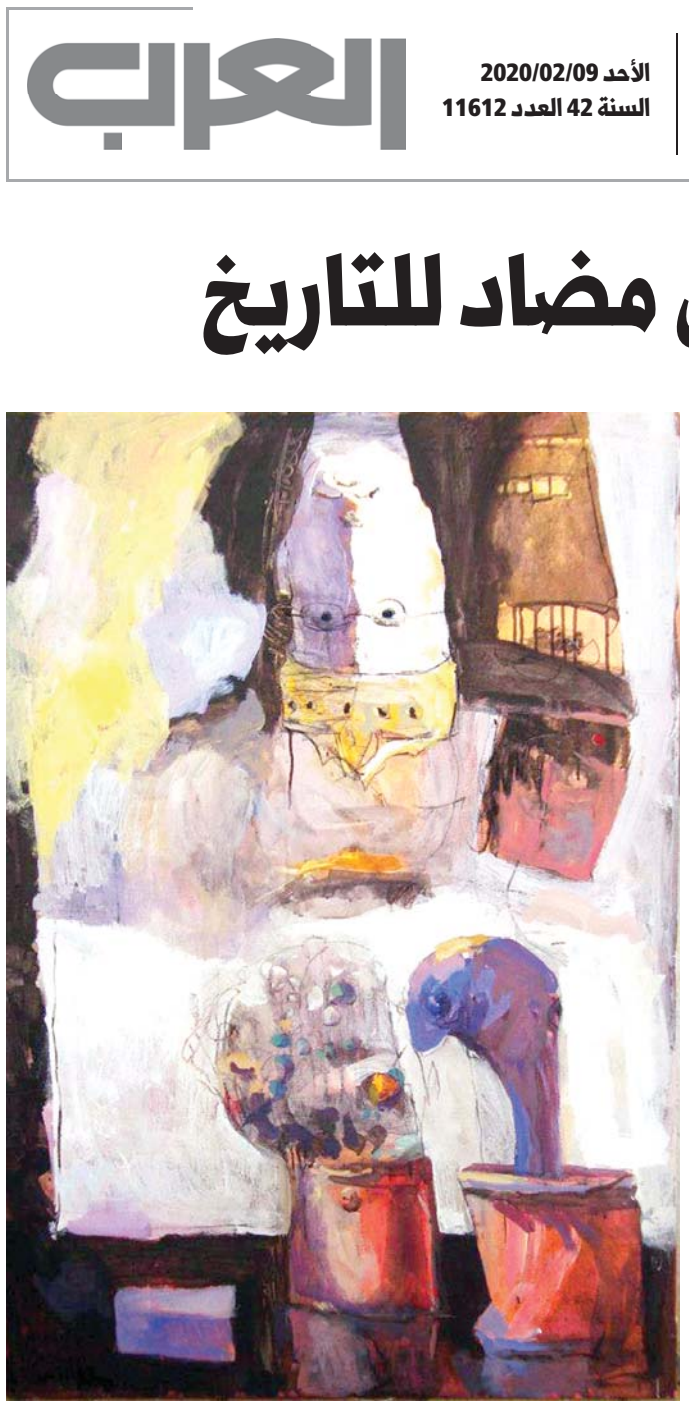

لوحتان لعدنان حميدة

> الرواية فعل مضاد للتاريخ، يكتبه «المراجعون الجدد» المنتشرون في أصقاع الأرض، ممن يودّون أن يسردوا رواياتهم التي نبذها التاريخ الرسمي التي حقرها التاريخ الرسمي، والتي لم يعترف بها ذلك التاريخ الرسمي

وبالاختصار احتلالهم أو تحريرهم "حسب رأي القارئ والكاتب في حركة التاريخ" عن البلاد التي كان هنالك مشترك لغوي وربما قرابيّ بينهم وبين الجزيريين الخارجين من عالم التقشف إلى كل شيء حضاري، بل، وربما تأخروا بعض الشيء في استخدام العلم الجديد حتى أواخر العصر الأموي، فهم لم يعرفوا قبل ذلك عن استخدام العلم الجديد عليهم أعني علم التاريخ، وليس عن عبث اضطراب الفكر التاريخي لدى القبائل العربية قبل الخروج الإسلامي الكبير إلى بقايا الإمبراطوريتين "الفارسية" والتي قضوا عليها قضاء مبرماً بحيث لم يتركوا للفرس إلا مضغ الحقد على مدمر دولتهم الإمبراطورية، وتسبب في تفكيكها لقرون طويلة، والإمبراطورية الرومانية التي حملت اسم اللاتينية أولاً ثم البيزنطية بعد الانشقاق بين الشعبين واللغتين والحضارتين، وطردها خارج العالم العربي وربما لم يكن يتسمى علم التاريخ بالعربية علم "تاريخ" قبل الفتوح الإسلامية بلغة عربية أو بصوتيات عربية مأخوذة عن اللغات المشرقية السابقة للعربية.

وعودا إلى كلمة التاريخ والذي اشتقته العربية وما قبل العربية "الساميّة" من كلمة يرخو، والتي تعني القمر، أو مرور الأحداث على الأرض "كل يرخو"، أو "قمر"، أو بالتعبير المعاصر "في كل شهر قمري"، ولما كان العرب في خروجهم من جزيرتهم قد روضوا أنفسهم على التأقلم مع الحداثة والعصر، فلقد أعادوا صياغة "يرخو" لتدخل في العربية على شكل "أرّخ يؤرخ" ثم اشتقوا منه اسم الـ"تاريخ" أو "التقمير" لمن القمر تصبح الدلالة أن هذا الحدث أو ذاك قد وقع في هذا الظهور للقمر في السماء! والتاريخ كصنعة لا يقبل التورية والألعاب الأدبية، بل يفترض الدقة والتتابع، ولكنه عند العرب وأهل المشرق، طرّزّ وزركش، وباتت الصنعات الأدبية تدخل عليه حتى صنعوا تاريخاً ربما ليس بتاريخ، وربما كان يوميات، وربما كان قصاً وحكايات، وتاريخاً أسطورياً للمنتصرين، كما فعل الظاهر بيبرس.

بيبرس كان يعيش منذ طفولته في معسكر للعبيد في دمشق، يستمع إلى القصاصين والحكواتية، يتحدثون عن بطولة الترك وهزيمتهم للفرس، وكان يعرف أن الفرس قد صنعوا ملاحم لقتالهم الترك والمغول والبخاريين، كما فعل الفردوسي في كتابه " الشاهنامة".

وحينما صار المملوك الصغير قائداً حقيقياً ومنتصراً أيضاً، قرر أن يدخل التاريخ مثل أتيلا، الذي هدم أوروبا قبل أن يموت، فاستدعى المنادين وأعلن عن جائزة نقدية كبيرة لمن يستطيع وضع كتاب عن انتصارات الظاهر بيبرس على الصليبيين في بلاد الشام، وتقدم الكثير من الفطاحل من الكتّاب في عصره، لكتابة المأثرة الإسلامية، في هزيمة الفرنجة والفرس، فقدم ابن شداد للظاهر بيبرس نسخة لم تصلنا، يجيب بها على كل أسئلة الظاهر بيبرس في الخلود والمجد وتغيير التاريخ، أو كتابة التاريخ كصنعة تفاخر بها الأمة المنتصرة الصاعدة تلك الأمم التي كتبت الشاهنامة والإلياذة وغيرها- واستمع بيبرس البندقداري منه حتى سئم، ورفض ما كتبه له، فليس هذا هو الحلم الذي تخيله بيبرس لتاريخ سيروى عنه في انتصاراته التي رآها لا مثيل لها في التاريخ، ثم تقدم ابن عبدالظاهر في كتابه عن انتصارات الظاهر على بقايا الأيوبيين والصليبيين، ولكنه استمع إليه بينما كان يشرب البوظة ورفض كل ما سمع في ملل.

النكبة والرواية

فخري صالح
ناقد ومترجم أردني

اشتغل المتن الروائي العربي، والفلسطيني خاصةً، منذ احتلال فلسطين وقيام الدولة الصهيونية عام 1948، على إنجاز نص سردي متخيل ينطلق من نكبة فلسطين والأحداث المصاحبة لها، من عمليات تطهير عرقي وتهجير قسري وشتات دفع الفلسطينيين إلى جهات الأرض الأربع. وبغض النظر عن مستوى المدونة الروائية، الفلسطينية، وكذلك العربية، التي سعت إلى القبض على لحظة النكبة في الزمان والمكان، أو فيما يسميه ميخائيل باختين "الكرونوتوب الروائي"، فقد استطاعت الرواية العربية، وكذلك الروايات التي كتبها فلسطينيون بلغات أخرى غير العربية، أن تقدم رواية مختلفة عن الرواية الصهيونية لاحتلال فلسطين وقيام الدولة العبرية.

تشترك معظم السردية الروائية الفلسطينية في تقديم مشهد الحياة المستقرة، وحياة ما قبل العاصفة، أو الفردوس أو الجنة الفلسطينية، من خلال بناء عالم يستقى بعضه من المادة التاريخية المتوافرة

صحيح أن الرواية ليست تاريخاً، لكنها سعت إلى تقديم رواية مغايرة، رواية قادرة على سرد الحكاية الحقيقية للاستعمار الصهيوني الكولونيالي الإحلالي. وبهذا المعنى تراكمت لدينا نصوص أساسية يمكن النظر إليها بوصفها المدونة السردية المتخيلة لاحتلال فلسطين ونكبتها التي يمر عليها الآن سبعون عاما.

إن غايتنا هي النظر في المدونة الروائية حول النكبة، لا بوصف تلك المدونة تاريخاً، فلدينا الكثير من المصادر التاريخية التي سعت إلى نقد المدونة التاريخية الصهيونية وتفكيكها، وإثبات زيفها وأغراضها الأيديولوجية الفاقعة والدعائية الكاذبة، بل من أجل تحليل اللحظة السردية التي استطاعت أن تقدم نصوصاً روائية متخيلة حول النكبة. فالأدب، والمدونة السردية بشكل خاص، يمكن أن يقوم بنفسه كرواية مضادة تدفع القارئ إلى اكتشاف ما سعت الرواية الصهيونية إلى ترسيخه في العقول، الأجنبية على الأخص، وقدرة هذه المدونة على تغيير النظرة السائدة حول النكبة. ودور الرواية لا يقل عما أحدثته الكتابات التاريخية الفلسطينية والعربية حول النكبة، والتي سبقت عمل المؤرخين الإسرائيليين الجدد في فضح الرواية الصهيونية للنكبة.

ما قبل النكبة: إعادة بناء فلسطين

تسعى الرواية الفلسطينية، والرواية العربية التي تدور حول القضية الفلسطينية، إلى استعادة فلسطين التي كانت وجرى تدميرها ومحوها عام 1948، وإحلال إسرائيل محلها، من خلال عملية التدمير والاقتلاع الممنهج. وتستخدم الكتابة الروائية المصادر التاريخية، وكتب الرحالة، والوثائق، والشهادات الشخصية للفلسطينيين الذين عاشوا قبل النكبة، والتجارب الشخصية للروائيين أنفسهم، من أجل بناء مادتها السردية التي تعمل من خلال التخييل وابتداع الشخصيات وتصوير الأحداث، على تركيب صور الحياة الفلسطينية التي انقطع تسلسلها وتدفّقها بفعل حدث النكبة. وتعود بعض الأعمال الروائية إلى الفترة التي امتد خلالها حكم العثمانيين للمنطقة العربية، وصولاً إلى فترة السفر برلك وتجنيد الفلسطينيين في الجيش العثماني للمشاركة في الحرب مع القوات التركية في الحرب العالمية الأولى، لتتولى، من خلال عملية التخييل واصطناع الأحداث، وصفَ الحياة الممتدة على أرض فلسطين. وهذا ما نعثر عليه بصفة خاصة في رواية "زمن الخيول البيضاء" لإبراهيم نصرالله التي تغطي مساحة واسعة من الزمن الفلسطيني وصولاً إلى لحظة السقوط وتفرق الفلسطينيين "أيدي سبأ" بتعبير إميل حبيبي. فغاية مشروع إبراهيم نصرالله الروائي في "زمن الخيول البيضاء" هو تقديم سردية مضادة للرواية الصهيونية، التاريخية والتخييلية، حول الوجود الفلسطيني. ولهذا تبدأ سردها من لحظة في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، حيث يربض الاحتلال التركي لفلسطين، والمشرق العربي عامة، ويعاني سكان قرية الهادية، التي تبدو في السرد موازيًا لفلسطين، من ظلم العثمانيين وقهرهم، لتنتقل الرواية بعدها إلى زمن الانتداب وصولاً إلى لحظة سقوط فلسطين التي دافع فيها أهالي الهادية عن قريتهم رغم خيانة الزعامات العربية وفشل الزعامات الفلسطينية التقليدية، ومساعدة الإنكليز اليهود للاستيلاء على فلسطين بعد انتهاء الانتداب (يعود نصرالله إلى لحظة سابقة في التاريخ الفلسطيني، إلى نهايات القرن السابع عشر ومعظم القرن الثامن عشر في "قناديل ملك الجليل").

وتشترك رواية حسن حميد "أنين القصب" مع "زمن الخيول البيضاء" في تصوير الحياة الفلسطينية قبل النكبة، وفي زمن يبدو، رغم سرمديته، أقرب إلى الحياة الفلسطينية في جريانها قبل انفجار الصراع بين العرب واليهود خلال فترة الانتداب البريطاني. الأمر نفسه نعثر عليه في رواية عبدالله تايه "قمر في بيت دراس" التي تبدأ سردها من لحظة انهيار القوات العثمانية على مشارف مدينة غزة، وعودة أحد أبناء قرية بيت دراس، الذي كان جنديًا في الجيش العثماني، إلى قريته مهزوماً حالماً بالذهاب إلى إسطنبول مع قائده التركي. ويفعل جمال ناجي الشيء نفسه في روايته "غريب النهر" التي تحكي عن عائلة هاجرت من قرية العباسية عام 1948 والتجأت إلى منطقة غور الأردن. لكن الرواية تعود بنا إلى زمن العثمانيين ساردةً حكاية أحد أبناء العائلة الذي ضاع في السفر برلك وعاد أبناؤه باحثين عن جذورهم ووطنهم. أما ليلى الأطرش فتعود في روايتها "ترانيم الغواية" إلى زمن الدولة العثمانية وظهور التوجهات القومية بين مواطني الخلافة العثمانية من العرب، وازدياد بطش القائد التركي جمال باشا السفاح، حيث تقدم صورة فلسطين ما قبل النكبة من خلال سرد تاريخ عائلة مسيحية مقدسية.

غرافيكس «الجديد»

تسعى الأعمال الروائية الفلسطينية، التي تبدأ سردها من نقطة سابقة على زمن الانتداب البريطاني، إلى تصوير الحياة الفلسطينية، رغم متاعب الحياة اليومية والصراع مع الدولة العثمانية، في أواخر أيامها، إلى التهيئة لكتابة لحظة الخروج الكبير للفلسطينيين من بلادهم. وتحضر في المتن الروائي عناصر الطبيعة والحياة المستقرة وجريان العادات والتقاليد الممتدة، وارتهان الإنسان الفرد للجماعة، وسيادة نمط من الإقطاع الزراعي الذي يتفاوت وصفه في الروايات ما بين نمط الإقطاع الذي يمتلك أجساد الفلاحين وقوة عملهم، والإقطاع الذي يقوم على حيازة ملكية الأرض دون ظلم الفلاحين الذين يعملون عليها (كما يروي أنور حامد في روايته "يافا تعد قهوة الصباح"). وبغض النظر عن المواقف الأيديولوجية التي تتخذها الأعمال الروائية المكتوبة عن مرحلة ما قبل النكبة، أو التي تفتتح روايتها بوصف الزمن الممتد الواسع، أو القصير، الذي يسبقها، فقد حرصت على بناء مشهد فردوسي للحياة الفلسطينية، أو على الأقل مشهدٍ تجري فيه الحياة في زمن لا تقطعه سوى عثرات الحياة اليومية المعتادة.

تشترك معظم السردية الروائية الفلسطينية في تقديم مشهد الحياة المستقرة، وحياة ما قبل العاصفة، أو الفردوس أو الجنة الفلسطينية، من خلال بناء عالم يُستقى بعضه من المادة التاريخية المتوافرة، بأشكالها المختلفة، من كتابات تاريخية ومذكرات الرحالة وسير الأفراد الفلسطينيين والأجانب الذين عاشوا في تلك الفترة، حيث يسعى الروائيون إلى تصوير مأساة الخروج والشتات والدفع العنيف باتجاه المنفى.

هكذا تبدو الحياة، رغم متاعبها اليومية وصراعاتها وهزائمها الفردية، في نصوص تعيد بناء الحياة الفلسطينية قبل صدور وعد بلفور وحلول الانتداب البريطاني محل الدولة العثمانية الراحلة.

إنها الحياة الطبيعية التي يحياها البشر في أوطانهم التي عاش فيها أجدادهم منذ مئات السنوات وزاولوا فيها أعمالهم اليومية التي قاموا بها على مدار الزمان.

انتصار التخييل وانهزام الواقع

محمد الأمين بحري
ناقد جزائري

من بين أكثر العلاقات الفنية توتراً هي تلك التي وصمت بآثار عميقة؛ تلك العلاقة المتوترة القائمة بين التاريخ وأبنائه العرب. ومن وجهة نظر أدبية، نجد أن كل ابن يرسم صورة أبيه من زاويته المخيالية والفكرية المغايرة أسلوباً وطرحاً ورؤية فنية عن الآخرين، فمنهم من كتب عن أبيه ملاحم للتغني والتمجيد، ومنهم من خلده في مآثر السرديات الكبرى، ومنهم من هجاه وشجب فعله. ومن شرنقة هذه العلاقة الأوديبية المعقدة، يحق لنا التساؤل؛ كيف خيّل العربي روائياً، أباه الذي لم يمنحه سوى الهزائم والخيبات والخذلان؟

حينما تحدث جورج لوكاتش عن علاقة الواقع بالمتخيل؛ لاحظ أن الروائي يشكل انسجام عالمه السردي من صلب التفكك الذي يعايشه في الواقع، ولعلنا إن بنينا فكرتنا حول الرواية التاريخية العربية على هذا الانعكاس الإيجابي؛ سنجد بأن سلوكية الاستجابة السردية تقتضي أن تكون كتابة التاريخ وبنائه المخيالي في الرواية العربية، هي عملية إعادة بناء لما عايشه الروائي في عالمه من جور التاريخ ووقائعه، وما تلقاه في مساره من هزائم لم تعد معالم مرجعية لهذا التاريخ وحسب، بل صارت معالم مشهودة للسردية العربية التي بلغت من شعرية تخييل الهزيمة في نصوصها، مسافات تضاهي عمق الجراحات التي تركها التاريخ في الذاكرة الجماعية، والاستلاب الذي سمم اللاوعي الفردي للمثقف الروائي.

● أولا- مفارقة التخييل الروائي

بين المسافتين يلتقي التاريخ بكل مفاهيمه الحوادثية والتوثيقية وشخصياته الاعتبارية، بفن الرواية بزخمها التخييلي الذي يستوحي قوته من طاقة التسريد التي تذيب في مصهرها كل ما دب على وجه التاريخ من فواعل، تشكل الموقف السردي من تبئير بعضها، وتسجيل أبرزها أثراً وأكثرها إثارة ووخزاً لذائقة الروائي وذاكرته، ومن بين تلك المثيرات الواقعية يتشكل فنياً ما يسمّى الخيارات السردية، التي تشكل الموقف والرؤية الإبداعية من العالم، والتي يطرح حولها النقد الكثير من الاستفهامات:

– هل يمكن للرواية بطاقتها التسريدية أن تمنح فنياً صورة موضوعية لأيّ شخصية أو واقعة تاريخية يستدعيها خطابها؟

– هل يملك التخييل في حبكاته وتوجيه مصائره السردية مبررات لما لم يتفق حوله الناس في الواقع ولم يبرره التاريخ؟

– في لحظة التسريد هذه؛ هل يفي روائي التاريخ للتاريخ الذي يستدعيه في نصه، أم لموقفه السردي منه؟ أم لفن الرواية والتخييل الذي يشرع أبواب التاريخ على كل المكاشفات والشكوك والألاعيب السردية، بما هي السمة التي تجعل من كل عمل امتلك زمامها، عملاً روائياً؟

– هل يمكن تحقيق الالتقاء بين صفحات السرد، بين ما تناثر من شتات على صفحات التاريخ؟

إننا أمام إشكالية يشبه الجميع فيها بين التاريخي والروائي، فكرة اختلاق فضاء برزخي يلتقي فيه الكائن المتحقق والممكن الافتراضي، في لحظة تقاطع وانسجام لا تتحقق خارج فرصة التخييل السردي التي يقتنصها روائي مصاب بتاريخه، وفي طبعته العربية، مهزوم في تاريخه.

● ثانياً- التأسيس العربي ومساءلة تاريخ الأسلاف

عاج أب الرواية التاريخية جورجي زيدان، يشرع بوابات التاريخ العربي الإسلامي، على أسئلة عصرها وعصرنا معاً، ويبث في زخمها الحوادثي مؤوّلات شتى من صلب منطق التخييل، مقيماً حوارات عدة مع التراث العربي الإسلامي، ووضع في مضامين رواياته التاريخية، بنوداً استشفها النقاد بحصافة؛ لصياغة خصوصيات الرواية التاريخية العربية، والتي رسمت الحدود الفنية بين هذا النوع الأدبي وليد المجتمع الحديث، وبين أنماط سابقة عملت أدبياً على أرخنة بعض الظواهر التراثية، كالمقامة والقصة والأدب والكتابة الملحمية، إذ لم تعد الرواية التاريخية في معالجتها للماضي، تهدف -كما الملحمة- إلى التغني به وتمجيده، بل إن استدعاء الماضي إلى زمن الحاضر يطرح أمام الأديب والأدب والقارئ معاً، قضايا تجعل من مخاطبة التاريخ، ذات وظيفة فنية وفكرية ونقدية، وتمنحه أهمية استراتيجية في مساءلة الحاضر، كون الماضي قد جاء ليقرأ الحاضر، ويلامس قضاياه الراهنة، ويتجه برؤياه إلى المستقبل، وليس الماضي المستعاد كما يعتقد.

فالتاريخ في الرواية تموقف لراهن الكتابة، وهدف من أهدافها الفنية، كما يمكن أن يكون في أيدي بعض الروائيين وسيلة لتحقيق غايات أيديولوجية، ومكاسب انتمائية أو تكتلية تخدم بعض القطبيات في العالم، وهي بهذا تتجاوز في رسائليتها، أدبية الأدب، وروائية الفن الروائي، إلى مواطن وغايات استراتيجية في حياة من جعلوا الكتابة وسيلة للاصطفاف الأيديولوجي، والاستغلال المصلحي، وكلها غايات خارج روائية، لكنها تُنجز باسم الرواية التاريخية، حينما يوظف التاريخ باعتباره وسيلة، وليس غاية فنية وفكرية راجعة، وقيمة مضافة إلى الأدب والفن والتموقف منهما.

على شتات الغايات المختلفة من استحضار التاريخ في الرواية، تفرّق الروائيون العرب في تناولهم لهذه التيمة فمنحوها تشكيلات وألوان وأساليب تجريبية تجاوز الابتكار فيها المحاكاة، وقد احتد التاريخ وتغوّل في الكتابة الروائية بعد هزيمة (1967)، أو النكبة العربية، التي أخذت بثورها تستشري في جسم الرواية التي عبّرت عن الوطن المهزوم بعديد الصور والمشاهد والأساليب، تسجيلية وواقعية ورمزية. حيث لم يعد الروائي العربي بعد هذه الرزية التاريخية قادراً على إخفاء ندوبه، أو مواقفه السردية فيما يكتب.

وبعد تمظهر التاريخ المهزوم في كل مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية، برز من بين أبنائه من الروائيين العرب؛ من وظّف التاريخ الحوادثي في أعماله بصورة تسجيلية لخدمة قضية وطنية، وقومية في صورة أعمال غسان كنفاني، التي لم تكن تاريخية محضة، بقدر ما كانت أدباً للقضية، التي تسكن الكاتب، بأسلوب بوليسي تراوح بين البوليسي والرمزي. بمسحة قومية وسمت كتاباته كما وصمت عصره. لتتعدد بعده النماذج والصور السردية في التعبير المخيالي عن الهزيمة التاريخية، في الرؤى السردية لأبرز الروائيين العرب.

تهميش الأحداث في الرواية التاريخية

بعد تمظهر التاريخ المهزوم في كل مظاهر الحياة السياسية والاجتماعية والفكرية والفنية، برز من بين أبنائه من الروائيين العرب؛ من وظّف التاريخ الحوادثي في أعماله بصورة تسجيلية لخدمة قضية وطنية، وقومية

● ثالثاً- التخييل التاريخي المقَنّع (مُدُن عبدالرحمن منيف)

بتوالي الهزائم، أخذت الرواية العربية طرقاً أخرى مختلفة في استقصاء العلل والبحث والعزاءات، ولو تخييلياً، وفردها أمام القارئ. في بداية الثمانينات، يأتي جهد عبدالرحمن منيف في خماسيته "مدن الملح": (التيه- الأخدود- تقاسيم الليل والنهار- المنبت- بادية الظلمات)، التي لا تعتبر رواية تاريخية أيضاً لكنها وظفت التاريخ الرمزي المشير بأكثر من إصبع سردي موجه إلى تاريخ السياسات والممالك العربية، ولعل قوة هذا العمل تنبع من القدرة الهائلة في توظيف الرمز والقناع، في وظيفة مزدوجة، بل وضدية؛ قوامها الحجب الذاتي للمقاصد الإشارية شكلاً، والتعرية السياسية الغيرية مضموناً، وفي كلا الشقين، يوغل الروائي في التنكيل بتاريخ الفساد السياسي والاقتصادي والأنظمة القبلية المتخلفة.

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

حوار الرواية والتاريخ

مشكلة المصطلح

مفيد نجم
ناقد سوري

تطرح العلاقة الملتبسة بين الرواية والتاريخ جملة من الأسئلة المنهجية والبنيوية حول طبيعة هذه العلاقة وحدودها، نظرا للتداخل الحاصل بينهما على مستوى الشكل والوظيفة من جهة، وعجز هذه الثنائية عن تقديم هوية سردية جامعة من جهة ثانية. يتم التعبير عن هذه الإشكالية من خلال الجدل المستمر حول المصطلح الدال على هذا النوع من الرواية بين كتاب الرواية والنقاد والدارسين.

يتنازع مصطلح الرواية التاريخية طرفان مختلفان في الرؤية والمفهوم هما الرواية والتاريخ، فالرواية التي هي عمل ذاتي وفني وتخييلي يتميز عن الكتابة التاريخية التي تدعي الموضوعية وتعمل على تفسير التاريخ. من هنا كان الجدل وما زال مفتوحا بين النقاد والدارسين حول هذا المصطلح الملتبس والإشكالي وقدرته على التعبير عن واقع الرواية التي تظل محكومة بتأثير التاريخ عليها. إن هذه الإشكالية تتركز في جانب هام وأساسي منها في مستوى العلاقة مع الزمن بوصفه الفضاء الحيوي لأيّ نشاط إنساني كان أو ما سيكون، فإذا كانت الرواية كما يقول الأخوان فونكور هي تاريخ ما كان يمكن أن يكون، فإن التاريخ هو رواية ما كان أو حدث في الماضي، ولذلك قيل عن الروائي بأنه مؤرخ الحاضر والرواية هي سرد ما كان يمكن أن يقع. وستتضح دلالة هذه العلاقة أولا في الانتقال الذي حدث من كتابة التاريخ إلى الرواية، وهو ما جعل الروائي الفرنسي بلزاك يصف نفسه بأنه مؤرخ العصر الذي كان يعيش فيه، في حين اعتبر أندريه مالرو كاتب الرواية التاريخية المعاصرة التي تستمد أحداثها من الزمن الذي تستمد وقائع مادتها الروائية منه.

> إن ما يجمع بين الرواية والتاريخ من مشتركات على مستوى الأحداث والزمان والأمكنة والشخصيات والشكل والوظيفة هو ما يثير الالتباس في هذه العلاقة، خاصة أن الرواية هي أقرب الفنون إلى التاريخ

إنّ ما يجمع بين الرواية والتاريخ من مشتركات على مستوى الأحداث والزمان والأمكنة والشخصيات والشكل والوظيفة هو ما يثير الالتباس في هذه العلاقة، خاصة أن الرواية هي أقرب الفنون إلى التاريخ والأكثر تأثيرا للتاريخ عليها، ما يجعل من الصعب عليها أن تتحرر من هذا الأثر، إلا أن ذلك لا يمنع من وجود اختلافات تتجلى بصورة أساسية في أن الرواية هي قبل أي شيء آخر عمل تخييلي فني يتخذ من التاريخ فضاء له أو هو يستلهم منه أحداثه، ولهذا يتسم الكاتب الروائي بأنه هو من يقوم بفعل الحكي وتحويل التاريخ إلى حكاية يتولى الراوي مهمة روايتها، بينما يقوم المؤرخ على خلاف ذلك بمهمة تفسير هذا التاريخ.

إن هذا التداخل القائم بين الرواية والتاريخ وما ينجم عنه من التباس على أكثر من مستوى هو الذي جعل الجدل يظل يدور بين النقاد والدارسين، ويتخذ دلالته ما نجده في تعدد المصطلحات التي ينحتها كل طرف منهم باعتبارها الأكثر دلالة على توصيف هذه العلاقة وتعبيرا عنها. ويعدّ مصطلح الرواية التاريخية الذي ينطوي على التباسات واضحة في المصطلح والمفهوم من أكثر هذه المصطلحات إثارة للجدل، لكن البعض من كتاب الرواية اعتبره انتقاصا من قيمة العمل الروائي باعتباره مصطلحا نشأ مع بدايات الكتابة الروائية.

إن التاريخ الذي هو رواية لأحداث ووقائع جرت في الماضي يحاول المؤرخ تفسيرها وإبراز دلالاتها، تختلف عن الوظيفة التي يقوم بها الروائي، لأن الرواية التي تتخذ من التاريخ وأحداثه خلفية لها تظل تعكس في بنية أحداثها وعي الحاضر بالماضي. لذلك لا يدعي الروائي واقعية ما يقدمه من أحداث وشخصيات روائية، نظرا لأن الرواية هي عمل فني تخييلي يقوم الروائي فيه بإعادة بناء وقائع التاريخ في سياق بنية حكائية سردية تقوم على الترابط وإنتاج الدلالة والمعنى.

إن مصطلح الرواية التاريخية كما يراه خصومه يقوم على الإيحاء بالمطابقة بين الرواية والتاريخ انطلاقا مما يقولونه حول الترابط العضوي القائم بين التاريخ والرواية. لكن الرواية بوصفها عملا يقوم على التخييل لا تسعى لاستنساخ التاريخ وتفسير أحداثه والبحث عن الحقيقة فيه كما يفعل المؤرخ ذلك، بل هي تتخذ من أحداثه خلفية لها أو فضاء تظل تتحرك فيه وهي تعيد بناء وقائعه على نحو دال ووفقا للاحتياجات الفنية للعمل الروائي. ويذهب بعض الدارسين إلى القول بأن الرواية على خلاف التأريخ تظل معنية بالبحث في الفجوات الموجودة بين أحدث التاريخ أو في المسكوت عنه، إضافة إلى المغيب أو المهمل في هذه السردية للتاريخ.

ويعد مصطلح التخييل التاريخي الذي اقترحه الناقد العراقي عبدالله إبراهيم بديلا عن مصطلح الرواية التاريخية محاولة لتفكيك ثنائية الرواية والتاريخ من خلال دمجهما معا في هوية سردية جديدة، تعمل على إزاحة مقدار الخضوع الذي يمكن للتخييل السردي أن يعاني منه تحت ضغط سلطة المرجعيات التاريخية عليه. ويبرر الناقد طرح هذا المصطلح على أساس أنه يمثل تخطيا لمشكلة التجنيس الأدبي وتجاوزا لحدودها ووظائفها، إضافة إلى أنه يعمل على تحرير ذاكرة المصطلح مما علق بها من مفاهيم ظهرت مع روايات جورجي زيدان وأمثاله، خاصة وأن مصطلح الرواية التاريخية استنفد طاقته الوصفية الدالة. ويجمل الناقد دلالة المصطلح الذي صكه بأنه مادة تاريخية انفصلت عن سياقاتها الحقيقية عندما تشكلت بواسطة السرد وتحولت إلى وظيفة جمالية ورمزية.

لوحة لنبيل السمان

لوحتان لسهير السباعي

أكثر من وجه واحد للتاريخ

المثابات المصطلحية والمناحي التمثيلية

أن ليس من الغريب أن يزاول المؤرخ السرد وهو يوثق لواقعة من وقائع الماضي أو يؤرشف حادثة من حوادث الحياة، وهذا هو بالضبط عمل الروائي الذي يمارس الكتابة السردية برغبة الفيلسوف ونزعة المؤرخ. وما ذلك إلا لأن الثلاثة الفيلسوف والروائي والمؤرخ ما برحوا يكترثون بالزمان، فهو القاسم المشترك بينهم، متعاملين معه تعاملا سرديا يتعدى حدود الوقت الفيزيقي إلى فضاءات مديدة زمانية لا زمنية تعارض التقييد ولا تقر بالتحييد أساسها الانسياح في التخييل. فتغدو الصلة بين السرد والتاريخ رؤيوية فلسفية وهي تغوص في الفعل الإنساني.

نادية هناوي
ناقدة وأكاديمية عراقية

والعلاقة بين الكتابة التاريخية والكتابة الروائية قديمة قدم الفلسفة، ولعل مبتدأها عند هيرودتس الذي ألف أول كتاب في التاريخ فكان الأب الشرعي له. وبالرغم من التطورات التي شهدتها البشرية على طول تاريخها؛ فإن تلك العلاقة ظلت قائمة بدعائم مهمة وأكيدة تجعل أيّ عملية لتوصيفها أو التعريف بها متجهة صوب التناظر الذي به يصبح تسريد التاريخ أو ترخنة السرد واحدا، فيمسي الروائي مؤرخا والمؤرخ روائيا وبوعي فلسفي بالاثنين الإنسان والزمان.

ولعل السر في قوة هذا التعالق بين التاريخ والسرد والفلسفة يكمن في الإنسان نفسه الذي أدرك أن لا غنى لحياته عن السرد وهو يؤرخ لحوادثها، كما أن لا استبعاد للتاريخ والإنسان يبصر واقعه بعين راصدة توثق ما فيه من عجائب وغرائب، فيزداد تمسكه بالتاريخ ويتوثق وعيه بالسرد حتى لا مجال للتنازل عن أيّ منهما.

ولكل من السرد والتاريخ فلسفته الخاصة. ومن طروحات الفلسفة التاريخية المعاصرة أن التاريخ ليس واحدا، فهناك التاريخ الرسمي الذي هو أكثر أنواع التاريخ سيادة، وما ذلك إلا لأنه اهتم بالآحاد كعظماء ومنتصرين ليكون لسان حالهم الذي يصب في خدمة مصالحهم، غير مكترث بالتوثيق للعموم الكادح ولا آبه بتسجيل تضحياته وآلامه. ولذا وصف فالتر بنيامين كل وثيقة من وثائق هذا التاريخ أنها وثيقة من وثائق البربرية.

وقد عبر تودوروف عن هذه المغالطة، فالتاريخ الذي اكتسب وجوده من وجود الإنسان بوصفه كائنا ناطقاً وفاعلاً هو التاريخ نفسه الذي لم يعر أهمية إلى أن يكون المكتوب فيه ناطقا بالحقيقة كون الشيء المهم عنده هو أن يكون المدون التاريخي مقبولا، ولذلك لم تعد لفكرة الزيف أهمية في تدوين التاريخ (ينظر: فتح أمريكا ومسألة الآخر، تزفتان تودوروف، ترجمة بشير السباعي، تقديم فريال جبوري، سينا للنشر، القاهرة، ط1، 1992، ص 62).

هكذا غدا التاريخ الرسمي هاضما لحقوق المجموع الذي جعله متداريا في الآحاد ومسحوبا في ذيله. ليس ذلك حسب؛ بل إنه جعل هذا المجموع مسؤولا وملوما حين ينتكس هؤلاء الآحاد أو يخسرون، وهذه هي الغرابة في فلسفة التاريخ.

ومن التاريخ أيضا التاريخ التبريري والتاريخ الطبيعي والتاريخ النسوي والتاريخ العالمي وتاريخ العائلة وتاريخ الأمومة لباخوفن والتاريخ الجديد لجاك لوغوف والتاريخ الآني لجان لاكوتور وتاريخ الذهنيات لفيليب أرياس وغيرها من التواريخ التي بها تتوكد العلاقة المنطقية التي تجمع الفلسفة بالتاريخ حياتيا وتدعم صلة الإنسان بالزمان سرديا. ولأهمية هذه العلاقة اختلف المنظرون والنقاد الحداثيون وما بعد الحداثيين في الاصطلاح على الإنتاج الكتابي الذي يُمثل به جماليا على تعالق فلسفة التاريخ بالتخييل السردي.

ولأن في التاريخ سعادة تكمن في لا إساءة استعمال فينومينولوجيا الذاكرة التي هي اللحظة الموضوعاتية للذاكرة، اعتمد بول ريكور مفهوم الرواية الكلاسيكية مطبقا منظوره ما بعد الظاهراتي للتاريخ على الروايات: "مسز دالاوي" لفرجينيا وولف و"الجبل السحري" لتوماس مان و"البحث عن الزمن الضائع" لمارسيل بروست. ولعل الذي جعل ريكور ينحاز إلى الرواية الكلاسيكية هو الزمان الذي هو فيها سيرورة لا منتهى لها، واقفا في وجه الموضات الأدبية مدافعا عن الحدث التاريخي في وجه كل المدارس التي قللت من شأن التاريخ الفردي أو الاقتصادي أو الاجتماعي (ينظر: الذاكرة التاريخ النسيان، بول ريكور، ترجمة وتقديم وتعليق د. جورج زيناتي، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، ط1 ، 2009، ص 32 و243).

وفي إطار النسيان والذاكرة ومسألة المحو والغفران طرح ريكور ما سماه "تقاطع الإحالة" بين التاريخ والقصص في الرهان على تصوير الزمان، مبينا أن التاريخ بالمفهوم الكوني للعالم هو الزمان الذي يضعف الأشياء ويوهنها وأن الأشياء جميعا تشيخ عبر الزمان وكل شيء يتلاشى بمروره (ينظر: الزمان والسرد، الزمان المروي الجزء الثالث، بول ريكور، ترجمة سعيد الغانمي، بيروت، ط1، 2006، ص25). وهذا التصور للزمان جعله يرى الأجناس غير منغلقة قائلا "إن عناوينها المؤقتة لا تلزمني مقدما بأيّ تصنيف مطلوب للأجناس الأدبية" (الزمان والسرد، الجزء الثاني، التصوير في السرد القصصي، بول ريكور، ترجمة فلاح رحيم، 2006، ص21).

وعدّ السرد القصصي مع السرد التاريخي فروعا تنضوي في خانة المحاكاة والكفاح ضد الأعراف السائدة الإليزابيثية والكلاسيكية (الزمان والسرد، الجزء الثاني، ص 33). واستعمل سيرج دوبروفسكي مصطلح "التخييل الذاتي" ووضعه على غلاف روايته "خيوط" عام 1977 كجنس فرعي ردا على فيليب لوجون الذي استبعد أن يكون في تاريخ الرواية نص روائي قائم على ميثاق تخييلي، لكن فانسا كولونا فرّق بين التخييل الذاتي والسيرذاتي (ينظر: معجم السرديات، محمد القاضي وآخرون، إشراف محمد القاضي، دار الفارابي، بيروت، ط1، 2010، ص78، 79).

واجترحت ليندا هتشيون مصطلح 'ميتاخرافة التاريخية" 1989 والذي ترجم أيضا بـ"الميتارواية التاريخية"، وفضل الناقد فاضل ثامر تعريبه بـ "الميتاسرد التاريخي". ويقوم عمل هذا المصطلح على إخضاع "التمثيل القصصي -الخرافي والتاريخي- لفحص تدميري مشابه في الشكل ما بعد الحداثي التناقضي" (سياسية ما بعد الحداثية، ليندا هتشيون، ترجمة د. حيدر حاج إسماعيل، المنظمة العربية للترجمة، مراجعة ميشال زكريا، بيروت، 2009، ص 87)، والميتاخرافة التاريخية تعني أيضا العودة النقدية للتاريخ أو القراءة التفنيدية للماضي بوعي ذاتي ميتاخرافي في شكل نصوص ساخرة (بارودية) هي شكل من أشكال الاعتراف التي تعيد تقديم الماضي بشكل يجرد التاريخ من كليّته. ومن خلال الشك والنقض والتصوير سننظر للوثائق والسجلات على أنها نصوص ازدواجية فيها إساءة استعمال للتاريخ.

ولا ترى هتشيون أن نظرية الكتابة السردية هي وحدها التي فككت سياسة التمثيل القصصي، بل التفكير النسوي عمل على ذلك أيضا (ينظر: سياسية ما بعد الحداثية، ص141).

> لعل السر في قوة هذا التعالق بين التاريخ والسرد والفلسفة يكمن في الإنسان نفسه الذي أدرك أن لا غنى لحياته عن السرد وهو يؤرخ لحوادثها، كما أن لا استبعاد للتاريخ

وتبنت برندا مارشال مصطلح هتشيون، متأثرة بمنظور هايدن وايت عن "الميتا تاريخ" وعرفت "الميتارواية التاريخية" بأنها "صيغة قوية ممكنة من صيغ الرواية..إنها توحي للقارئ بأنه طالما هو متورط في قراءتها.. يتم تنبيه القارئ أن هذه القصة شأنها شأن كل القصص سوف تحرّف، ثم يطلب منه أن يبقى على وعي بالانحراف وأن يوجه الحكاية المحرّفة نحو نهاية معترف بها" (تعليم ما بعد الحداثة المتخيل والنظرية، برندا مارشال، ترجمة وتقديم السيد إمام، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ط1، 2010، ص201). وقد اعتمدت هذا المصطلح في تحليل أعمال ثلاثة روائيين هم فرجينيا وولف وفيندلي وسلمان رشدي.

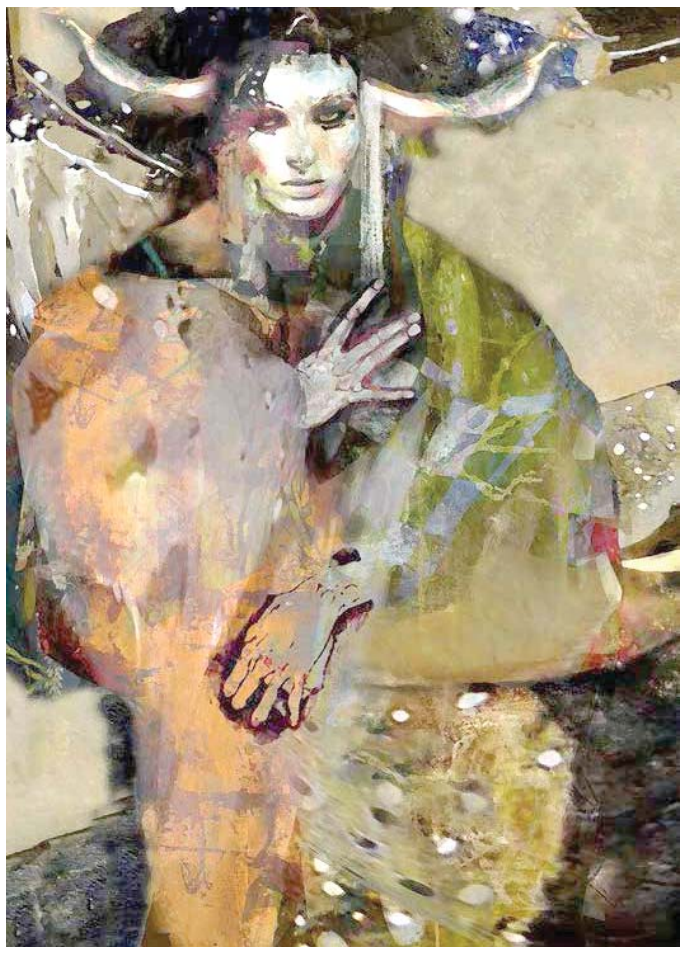

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

أيقونة هوليوودية وصهيوني حتى الرمق الأخير

كيرك دوغلاس أو إيغور دانيلوفيتش الذي ودع الحياة عن 103 سنوات

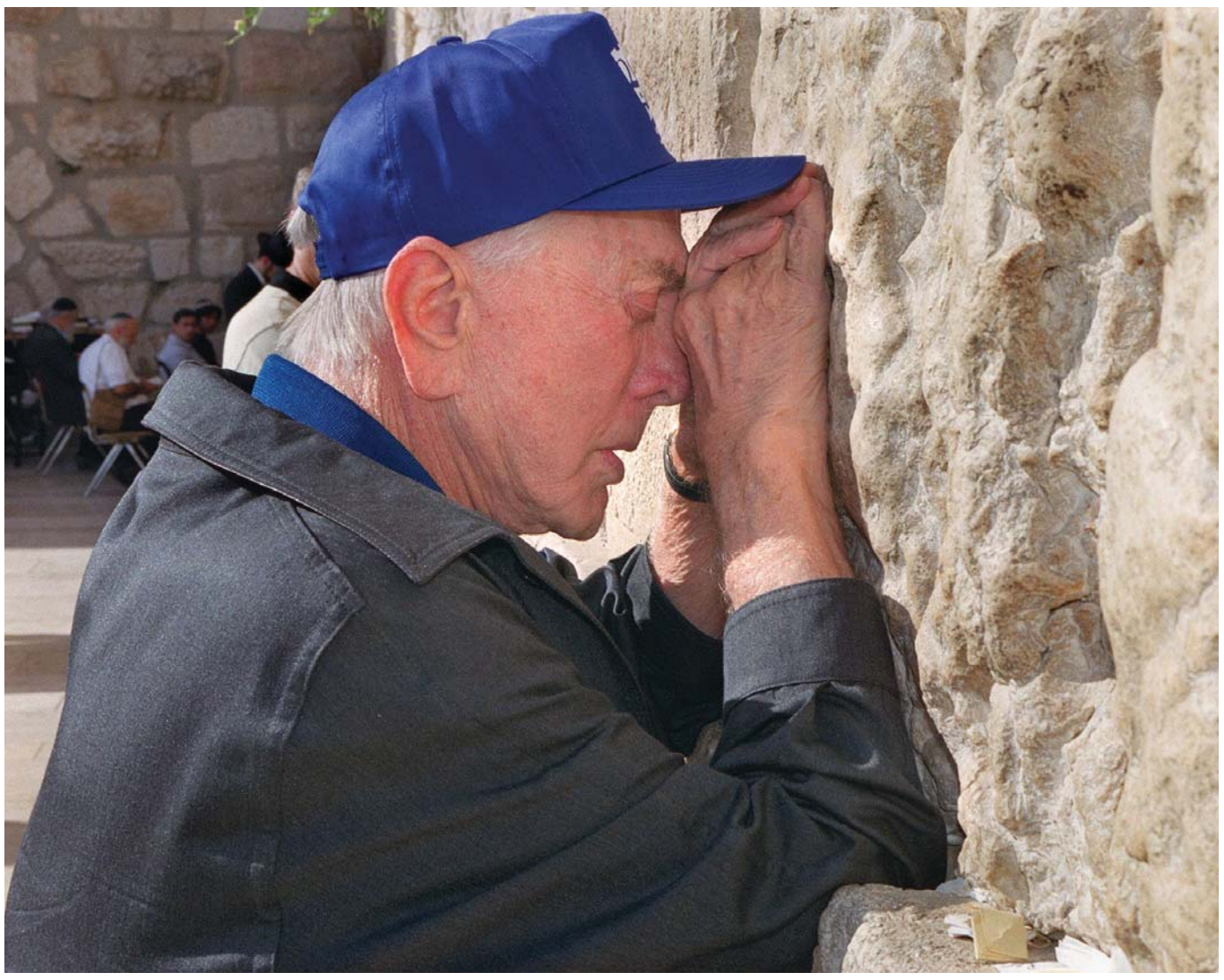

عرف عن كيرك دوغلاس كثرة زياراته إلى إسرائيل والوقوف عند حائط المبكى

أمير العمري
كاتب وناقد سينمائي مصري

أخيرا فارق النجم السينمائي الأميركي الشهير كيرك دوغلاس الحياة بعد أن تجاوز المئة بأكثر من ثلاث سنوات، فهو من مواليد التاسع من ديسمبر 1916، لعائلة من المهاجرين اليهود الروس. وكان دوغلاس الوحيد الباقي على الحياة من بين كوكبة من نجوم عصره وكبار السينمائيين الذين منحوا فن السينما ملامحه الأساسية الباقية حتى الآن.

يعتبر كيرك دوغلاس، واسمه الحقيقي إيشور دانيلوفيتش، من أكثر الممثلين نشاطا، وقد شارك في أكثر من 90 فيلما، كما عمل في التلفزيون والمسرح. وقبل التحاقه بالبحرية الأميركية خلال الحرب العالمية الثانية، قام بتغيير اسمه إلى كيرك دوغلاس جريا على ما كان يفعله الكثير من أقرانه اليهود الذين التحقوا بصناعة السينما الأميركية، وذلك بغرض إخفاء يهوديتهم، والاندماج في أوساط الطبقة الوسطى الأميركية، ولكن أساسا من أجل الحصول على القبول من جانب جمهور السينما. ولعل من المميز في تكوين دوغلاس أن ملامحه الشكلية الخارجية لم تش بيهوديته شأن كثيرين غيره من نجوم السينما ذوي الأصول اليهودية مثل وودي آلين أو والتر ماتاو مثلا، فهو ينتمي إلى ما يعرف بـ"يهود اخزر" أي اليهود القادمين من القوقاز والذين اعتنق جدودهم اليهودية وليس اليهود الأصليين الذين ينتمون إلى الشرق.

ظهر كيرك دوغلاس لأول مرة في السينما في فيلم «الحب الغريب لمارتا إيفرز» عام 1946. أما أهم وأكثر أفلامه بقاء في ذاكرة المشاهدين العرب فهو فيلم "سبارتاكوس" (1960) الذي أخرجه ستانلي كوبريك. وفيه يقوم بدور زعيم العبيد الذي يقودهم للثورة على الإمبراطورية الرومانية، لكن الثورة تنتهي بمقتله والسيطرة على العبيد الثائرين.

عن "سبارتاكوس" كتب هنري شيهان في مجلة "سايت آند ساوند" عدد أغسطس 1991: عندما بدأ ستانلي كوبريك في إخراج "سبارتاكوس" كانت هناك خلافات حول المخرج الذي يصلح لإخراج ذلك الفيلم الكبير الذي رصدت له ميزانية من 12 إلى 15 مليون دولار. وكانت الشركة المنتجة للفيلم قد طردت المخرج المخضرم مايكل مان بعد أن أكمل إخراج المشهد الأول الذي يصور سبارتاكوس، العبد الذي سيتزعم التمرد في ما بعد، وكان يعمل في خدمة الرومان في الصحراء الليبية. ولا تزال أسباب طرد مايكل مان غامضة حتى اليوم، ولكن من خلال المشهد الذي أخرجه بلقطاته الحية والذي ظل في مكانه في بداية الفيلم، يمكننا القول إن تمسكه الشديد برؤيته للفيلم أزعج زملاءه ورؤساءه.

وقد امتد ذلك الإحساس إلى النجم كيرك دوغلاس الذي اشترك مع شريكه إدوارد لويس في إنتاج الفيلم من خلال شركة «برينا» التي أسساها سويا، فقد كانت لدى دوغلاس رؤية محددة عن الفيلم وعن الشخصية الرئيسية فيه، وهي رؤية لم يتردد في الإفصاح عنها أو حتى فرضها. وبسبب الميزانية الكبيرة للفيلم، فرض مديرو الإنتاج في شركة يونيفرسال إشرافا دقيقا على تنفيذ الفيلم، وكانوا يواجهون مشكلات أخرى في ذلك الوقت، فقد كانت ملكية الشركة في مهب الريح، إلى أن استقر الوضع في ما بعد خلال التصوير، بعد أن قامت وكالة «إم.سي.إيه» بشراء شركة يونيفرسال، وهنا أصبح ليو واسرمان الذي كان وكيلا لبطل الفيلم ومنتجه كيرك دوغلاس، رئيسا له.

وإذا كان هذا كله يأخذنا بعيدا عن الأسماء الأهم التي ساهمت في صنع «سبارتاكوس» فلعل هذا يوضح إلى أي مدى وصل صراع القوى في ذلك الوقت.

أما المضمون السياسي للفيلم فهو يرتبط بإثنين من أعضاء القائمة السوداء في هوليوود هما هوارد فاست مؤلف الرواية وناشرها، ودالتون ترومبو كاتب سيناريو الفيلم.

وكان ترومبو وهو يقضي عقوبة السجن لمدة عشرة أشهر بسبب رفضه التعامل مع لجنة النشاط المعادي إبان الحملة المكارثية، قد بدأ حملته ضد القائمة السوداء، فقام بتهريب سيناريو باعه سرا باسم مستعار. أما مع سيناريو «سبارتاكوس» فقد قرر ترومبو استخدام اسمه الحقيقي للمرة الأولى منذ عشر سنوات لتحقيق هدفين: الأول تحدي القائمة السوداء (وقد شجعه على ذلك ما أعلنه أوتو بريمنجر من أنه سيضع اسمه الحقيقي على فيلم «الخروج») وثانيا، إعادة الخط اليساري الليبرالي إلى صناعة السينما الشعبية في هوليوود.

رغم ما يتمتع به كيرك دوغلاس من شعبية، ورغم أنه معروف مع أبنائه وأشهرهم مايكل دوغلاس بمواقفهم الليبرالية المؤيدة للحزب الديمقراطي، ورغم ذلك كان كيرك دوغلاس دائما صهيونيا متحمسا، ولم يجد أي تناقض بين رفض الفاشية وتأييد إسرائيل استنادا إلى يهوديته.

وقد كتب رسائل إلى السياسيين الديمقراطيين من أصدقائه. وهو يقول في مذكراته التي أصدرها بعنوان "دعونا نواجه هذا" (2007) إنه شعر بأنه مضطر للكتابة إلى الرئيس الأسبق جيمي كارتر في عام 2006 للتأكيد على أن "إسرائيل هي الديمقراطية الوحيدة الناجحة في الشرق الأوسط، وأنها كانت دائما تواجه المخاطر، وإذا خسرت إسرائيل حربا واحدة، فسنخسر إسرائيل".

زار كيرك دوغلاس إسرائيل مرات عدة، وشارك بالتمثيل في عدد من أهم الأفلام الصهيونية التي أنتجتها هوليوود منذ بداية تأسيس إسرائيل. وموقفه من العرب معروف وسافر، وقد أدلى بتصريحات معادية للعرب قبل وأثناء حرب عام 1967، وقام بالتبرع بالمال لإسرائيل مرات كثيرة أشهرها خلال الحملة التي بدأت في أميركا بعد اندلاع تلك الحرب لدعم المجهود الحربي الإسرائيلي، واستمر في كل الأوقات يوظف قدراته ومواهبه وشهرته لخدمة إسرائيل.

> رغم ما يتمتع به كيرك دوغلاس من شعبية، ورغم أنه معروف مع أبنائه وأشهرهم مايكل دوغلاس بمواقفهم الليبرالية المؤيدة للحزب الديمقراطي، كان هذا الفنان دائما صهيونيا متحمسا

من الأفلام الصهيونية التي شارك فيها كيرك دوغلاس: «الحاوي» عام 1953، وكان أول فيلم يصور في إسرائيل ويحتفل بتأسيس الدولة الصهيونية، و«الظل العملاق» عام 1966، و«نصر في عنتيبي» عام 1977، و«تذكر الحب» عام 1983.

التقى كيرك دوغلاس مرات عدة بزعماء إسرائيل وظهر في برامج تلفزيونية في التلفزيون الإسرائيلي، وفي العشرات من الصور واللقطات التي استخدمها الصهاينة في الدعاية السياحية، ومنها صورة له مع مدير فندق «هيلتون» تل أبيب، وصور أخرى مع تيدي كوليك عمدة القدس الأسبق. ورغم ذلك فقد حاول بعض الصحافيين العرب التقرب منه وإقناع الرأي العام العربي بأن كيرك دوغلاس «فنان أولا وأخيرا». ومثال على ذلك ما نشرته مجلة «المستقبل» التي كانت تصدر في باريس في عددها رقم 86 الصادر في 14 نوفمبر 1978، أي بعد أشهر قليلة من الاحتفال الإسرائيلي بالذكرى الثلاثين لتأسيس إسرائيل التي شاركهم فيها كيرك دوغلاس بطريقته الخاصة. فقد نشرت المجلة المشار إليها، مقابلة أجراها رغيد الشماع بعنوان «كيرك دوغلاس: أنا نادم على اشتراكي في فيلم 'عملية عنتيبة' (والمقصود فيلم نصر في عنتيبي)". وفي المقابلة أشار كيرك دوغلاس إلى أصله اليهودي الروسي، وكرر أنه فنان قبل كل شيء. وعندما سأله الصحافي الذي أجرى معه المقابلة عن الفيلم الصهيوني الذي اشترك فيه عن عملية عنتيبي، قال دوغلاس «أعتبر أنني لعبت دورا جيدا في فيلم جيد لا أكثر ولا أقل.. أنا لم أشترك في عملية دعائية. أنا مثلت دورا ولم أبشر بعقيدة». وبعد حوار طويل قال إنه نادم على اشتراكه في الفيلم المشار إليه. ومع هذا فقد قام بعد ذلك ببطولة فيلم آخر صهيوني في إسرائيل هو فيلم «تذكر الحب».

سبارتاكوس.. الفيلم الذي صنع نجومية كيرك دوغلاس

وفي عام 1983 وبمناسبة الذكرى الخامسة والثلاثين لتأسيس «إسرائيل»، وجه كيرك دوغلاس رسالة تحية إلى إسرائيل مليئة بعبارات الحب والغزل، واستخدم الصهاينة هذه الرسالة في الدعاية لإسرائيل سياحيا وسينمائيا ونشرتها مجلة «سكرين إنترناشيونال» البريطانية ضمن ملحق دعائي مدفوع عن السينما الإسرائيلية. وقال فيها:

«لقد حققت فيلمي الأول في إسرائيل 'الحاوي' قبل ثلاثين عاما. في ذلك الوقت كان الطعام في إسرائيل قليلا، وكان الجميع يقتصدون في الطعام باستثناء طاقم العاملين في الفيلم.

واقتضى الأمر مرور شهر إلى أن أدركت أنني بينما كنت أتناول كل صباح عجة البيض، كان الإسرائيليون يحصلون على بيضتين فقط شهريا. الآن هناك مطاعم فاخرة أنيقة تقدم مختلف أنواع الطعام في أرجاء تلك الدولة الصغيرة. وقد رأيت هذا كله عندما كنت هناك مؤخرا أثناء حرب لبنان (يقصد الغزو الإسرائيلي للأراضي اللبنانية في عام 1982) وبالمناسبة، نصحني كثيرون بعدم الذهاب إلى إسرائيل في ذلك الوقت، وقالوا لي إن الوضع قد أصبح محفوفا بالمخاطر. على العكس، فقد شعرت وشعر معي كل العاملين في فيلم 'تذكر الحب' بالأمان التام. إن القيام بجولة على الأقدام في المساء لتجربة استرخائية جميلة".

ظل دوغلاس نشطا رغم تقدمه الكبير في العمر، وكان يتمتع بالقدرة على المشي والحديث بل ظل يكتب مدونات على الإنترنت. وقد كتب دوغلاس 10 كتب في السيرة الذاتية والرواية من أهمها كتاب "أنا سبارتاكوس: إنتاج فيلم، واختراق القائمة السوداء"، وفيه يكتب عن الفيلم الشهير الذي قام ببطولته مع تونى كيرتس ولورانس أوليفييه وتشارلز لوتون وجين سيمونز. وقال"كان هناك ضعف في جميع أنحاء البلاد. كانت لجنة مجلس النواب المعنية بالأنشطة غير الأميركية تبحث عن الشيوعيين الذين كانوا يعتقدون أنهم سيسقطون حكومتنا. لقد اتهم العاملون في السينما بوجه خاص ولاسيما الكتاب. لقد كان وضعا مروعا في هوليوود بعد أن أصبحت قائمة سوداء".

تزوج مرتين، وكانت زوجته الأولى الممثلة ديانا ديل، والدة ابنيه مايكل وجويل. وقد استمر الزواج سبع سنوات، وبعد الطلاق استمرت الصداقة بينهما حتى توفيت ديانا عام 2015. وأنجب دوغلاس من زواجه الثاني من آن بويدينز الألمانية المولد، ولدين آخرين هما إريك وبيتر. وفي عام 2004، توفي إريك بسبب جرعة مخدرات زائدة، وهو ما أحزن دوغلاس كثيرا وظل طويلا يزور قبر ابنه كل أسبوع. في عام 1988، حصل كيرك دوغلاس على أعلى جائزة مدنية في أميركا، وسام الحرية، لجهوده الإنسانية كسفير أميركي غير رسمي في جميع أنحاء العالم. وكان يشعر بالفخر وهو يرى ابنه مايكل يسير على خطاه. وفي كتاب سيرته الذاتية الذي أصدره عام 1988 بعنوان ابن راغمان، يتذكر قائلا "قبل سنوات، حاولت أن أنسى أنني كنت يهوديا"، لكن في وقت لاحق من حياته المهنية بدأ "يسيطر على ما يعنيه أن يكون يهوديا" "وأصبح هذا موضوعا مهما في حياته". وفي مقابلة أجريت معه عام 2000 شرح مغزى الانتقال الذي مر به من إنكار يهوديته أو إخفائها، ثم إعلانها والتباهي بها. وهو ما حدث مع سينمائيين كثيرين من أمثال سبيلبرغ وكلود ليلوش وبولانسكي.

> كيرك دوغلاس ظهر لأول مرة في السينما في فيلم «الحب الغريب لمارتا إيفرز». أما أكثر أفلامه بقاء في ذاكرة المشاهدين العرب فهو فيلم «سبارتاكوس»

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

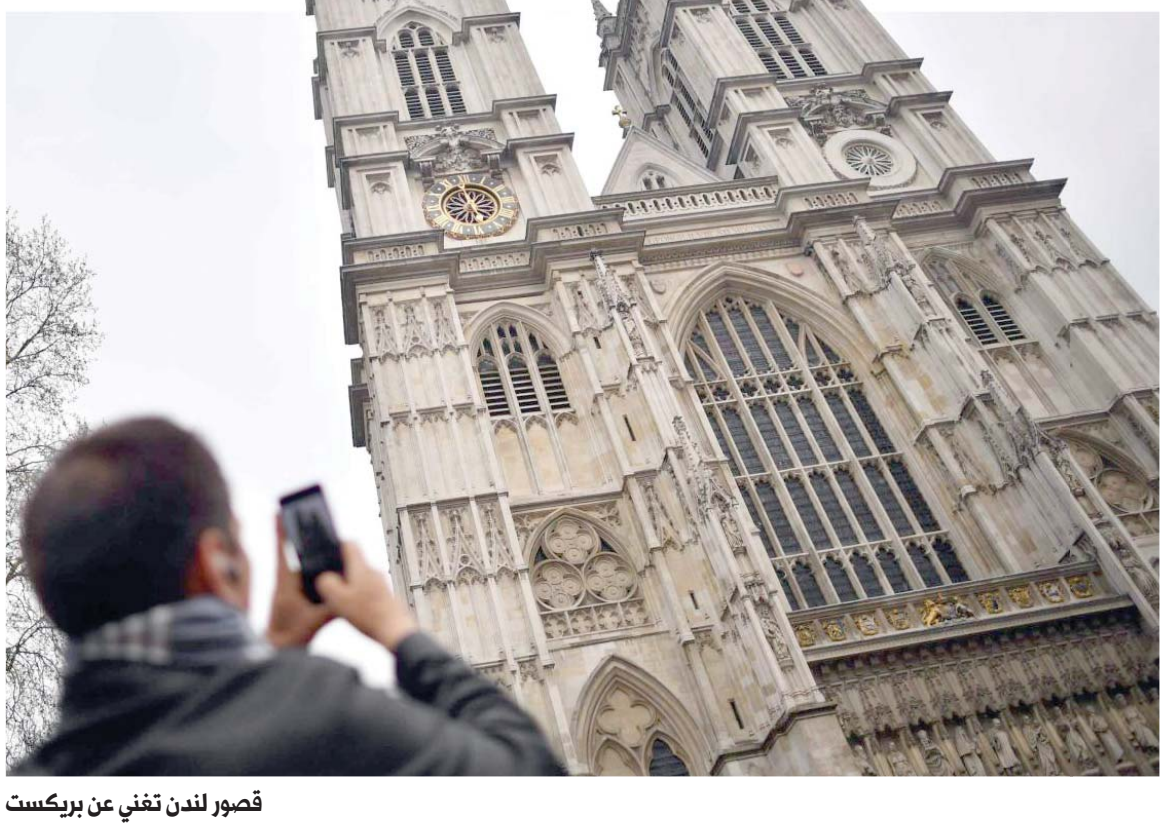

قصور لندن تغني عن بريكست

لعلنا لا نعود

السياحة في زمن بريكست

إن لم تستفد بريطانيا فسيستفيد البريطانيون

مثلما خلّف بريكست الحيرة لدى الخبراء وتوقعاتهم في المجالات الاقتصادية، فإنه خلف أيضا حيرة بالنسبة لعشاق السفر من البريطانيين وحتى السياح الذين يخططون لزيارة لندن، فهم لا يعرفون بعد إن كانت الإجراءات الجديدة ستسمح لهم بالسفر دون تعقيدات، كما لا يعرفون أيضا كيف سيكون حال الجنيه الإسترليني.

لندن – ينتظر البريطانيون الذين اعتادوا قضاء عطلهم السنوية خارج بلادهم في أحضان الشمس والبحر ما ستؤول إليه أوضاعهم الاقتصادية بعد خروج بلادهم من الاتحاد الأوروبي، كذلك ينتظر السياح الذي يخططون في قادم عطلهم لزيارة لندن إحدى أيقونات السياحة في العالم والاستمتاع بالطبيعة في الريف الإنجليزي، إذا ما كانت ميزانية عطلهم التي يدخرونها طيلة عام ستكفيهم بضعة أيام لرؤية البيغ بان وقصور وأبراج ومتحف العاصمة البريطانية التي يتهافت الأغنياء ومتوسّطو الدخل على زيارتها، أما الفقراء فيكتفون بمتابعة جمالها على المواقع الافتراضية.

المؤسسات العاملة في القطاع السياحي من وكالات أسفار وشركات طيران وفنادق تتوقع سيناريوهات مختلفة متفائلة مرّة، ومتشائمة مرات، خاصة وأن قيمة قطاع السياحة عبر حدود المملكة المتحدة تقدر بمليارات الدولارات، وتعد تلك الرحلات أساسية للملايين من العاملين في قطاع السياحة.

ويتوقع المتفائلون استمرار عمل الرحلات الجوية والقطارات والطرق البرية والبحرية، خاصة وأن تأشيرات الدخول إلى الاتحاد الأوروبي لن تكون عائقا أمام البريطانيين بحسب تصريحات المسؤولين السياسيين. وحاليا، يمكن لمواطنين من عدد من الدول بما فيها كندا والولايات المتحدة وأستراليا ونيوزيلندا واليابان السفر إلى المملكة المتحدة دون تأشيرة.

وقال سائح فرنسي في لندن واكب أجواء خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، "لا يعنيني بقاء المملكة المتحدة في الاتحاد الأوروبي أو خروجها، كل ما يعنيني في هذه الرحلة أن أوثق الأجواء التي فوجئت بها لدى زيارتي محيط قصر وستمنستر، لأنها ستكون جزءا من الذكريات".

المتشائمون يتوقعون اضطرابات كبيرة في السفر من وإلى المملكة المتحدة، ومن المحتمل حسب رأيهم أن تتأثر كل المجالات العاملة في القطاع السياحي من طيران وتأمين، وغيرها من ضروريات السفر.

وكان المجلس العالمي للسياحة والسفر قد أشار في وقت سابق إلى أن سوق العمل في أوروبا قد يفقد نحو 700 ألف وظيفة في قطاعي السياحة والسفر بعد بريكست إذا لم يتم توضيح العلاقات المستقبلية بين الطرفين.

وأوضح المجلس أن 308 آلاف وظيفة ستكون مهددة في بريطانيا و399 ألفا في أماكن أخرى في أوروبا.

على عكس السفر إلى بلدان مثل الولايات المتحدة الأميركية وكندا ونيوزيلندا والصين وغيرها، في الوقت الحالي، لا يحتاج السياح البريطانيون بجوازات سفرهم الجديدة ذات اللون الأزرق الداكن إلى تأشيرة للسفر إلى أوروبا.

ولا تزال بطاقة الهوية أو جواز السفر بالنسبة للأوروبيين القاصدين بريطانيا كافيين لإقامة قصيرة لا تتجاوز ثلاثة أشهر، كما تم تنفيذ الضوابط الحدودية قبل خروج بريطانيا من الاتحاد الأوروبي، لأن بريطانيا لم تكن جزءاً من منطقة شنغن.

> **البريطانيون يشعرون بالارتباك بسبب بريكست في ما يتعلق بالسفر، إذ يعتقدون أن عطلهم ستكون أكثر شيء تتأثر به بريطانيا**

ووفق الموقع الإلكتروني التابع للحكومة البريطانية، فإن "الوثائق التي يحتاجها المسافرون الأوروبيون لدخول المملكة المتحدة لن تتغير حتى عام 2021".

يقول تريسي إيدجنتون من هيئة السياحة البريطانية، "إن أوروبا ما زالت تمثل سوقاً مهمة لنا"، مضيفا، "يمكن لمواطني الاتحاد الأوروبي حجز رحلاتهم دون أي قلق". ويؤكد أنه لن يتغير أي شيء في الأشهر الـ11 القادمة، ولا يزال بإمكان المسافرين الدخول باستخدام بطاقة الهوية ودون الحاجة إلى تأشيرة، ولا يتعين عليهم التسجيل، كما يمكنهم الذهاب إلى الطبيب مجانا.

حالة التشاؤم هذه خلّفها خروج المملكة من الاتحاد وتوقعات انخفاض قيمة الجنيه الإسترليني إلى مستوى غير متوقع، وهذه أخبار جيدة للزوار القادمين إلى المملكة المتحدة الذين سيستفيدون بالطبع من هذا الانخفاض.

صحيفة "إكسبريس" البريطانية، أشارت إلى أن البريطانيين يشعرون بالارتباك جراء بريكست، في ما يتعلق بالسفر، حيث قال 15.6 مليون شخص في استطلاع أجرته شركة "ويسواب" إنهم يعتقدون أن عطلتهم ستكون أكثر شيء تتأثر به بريطانيا بعد خروجها من الاتحاد الأوروبي.

في المقابل يتوقع خبراء الاقتصاد أن تظل مكانة الجنيه الإسترليني بين العملات مستقرة ولو إلى فترة، ولن تعرف العملة البريطانية انهيارا مشطا أو العكس، وهذا أيضا خبر جيد لسكان المملكة المتحدة الذين يعشقون السفر واكتشاف العالم، فاستقرار عملتهم أو ارتفاعها سيمكنهم من توفير بعض المال للقيام برحلات إلى الدول والمدن التي اعتادوا زيارتها أو إلى اكتشاف مناطق جديدة لم يزوروها من قبل. وتعد أوروبا الوجهة الأولى للمسافرين في المملكة المتحدة بمعدل يزيد على 58 مليون رحلة إلى الخارج كل عام، وقد أكدت الحكومة البريطانية والاتحاد الأوروبي، أن الناس سيظلون قادرين على السفر من وإلى دول الاتحاد الأوروبي بعد خروج بريطانيا من الاتحاد.

أمام حالة الارتباك هذه، يتوقع الخبراء أن تكون بعض الدول العربية الأكثر استفادة من هذا التحول المحتمل، حيث أظهر مسح جديد أن 85 في المئة من السائحين البريطانيين قد يفضّلون زيارة وجهات خارج الاتحاد الأوروبي في حال فشلت المفاوضات مع بروكسل بشأن التنقل، وذلك خشية اضطرارهم لدفع رسوم تأشيرة الشنغن الأوروبية البالغة 52 جنيها والتي لا تطبّق على البريطانيين حاليا. وازداد عدد السياح البريطانيين في الأردن وتونس ومصر والمغرب ودبي وإمارة الشارقة التي تستهدف جذب 10 ملايين زائر بحلول عام 2021.

ويتوقع خبراء السياحة أن بريكست يمكن أن يوفر فرصة هامة لتنمية تدفق السياح البريطانيين على الدول العربية مع الفوارق بين العملات العربية والجنيه الإسترليني.

كوم أمبو مدينة التماسيح في مصر

الأقصر (مصر) - تعد مدينة كوم أمبو التاريخية جنوبي مصر، إحدى المدن السياحية الشهيرة الواقعة شمالي محافظة أسوان، والتي يزورها الآلاف من السياح خلال رحلاتهم النيلية على متن الفنادق العائمة في رحلاتها الأسبوعية، بين مدينتي الأقصر وأسوان الغنيتين بمقابر ومعابد ملوك وملكات ونبلاء مصر القديمة.

وتدين المدينة ببقاء آثارها، للرمال التي حمت أحجارها وأبقتها لامعة لآلاف السنين، وتضم كوم أمبو بقايا مدينة نوبت المصرية القديمة، وعرفت باسم مدينة "التماسيح"، وبها معبد يوناني روماني يُعد من أجمل المعابد المصرية.

> **الاكتشافات الأثرية المهمة التي عثر عليها في مدينة كوم أمبو، شملت أقدم ورشة لصناعة فخار الدولة القديمة**

ويتفرّد معبد كوم أمبو، الذي تم بناؤه عام 180 قبل الميلاد، بأنه معبد مزدوج جرى تكريسه لعبادة إلهين من آلهة قدماء المصريين، هما سوبك، الذي يتجسد في شكل تمساح، وحورس الكبير ذو رأس الصقر.

وبحسب الباحث الثقافي بإقليم جنوب الصعيد في الأقصر محمد إمام، فإن ازدواج نظام العبادة في المعبد للإلهين سوبك وحورس، جعل المعبد وكل مكوناته من بوابات وممرات مزدوجة.

وبجانب المعبد الرئيسي، يوجد معبد صغير لعبادة الإلهة حتحور، معبودة الحب والسعادة والموسيقى والرقص في مصر القديمة، بجانب بيت للولادة، ونظام مائي يوصف بالبديع، وهو مكون من آبار وسلالم وأحواض للماء.

يقول إمام، إن معبد كوم أمبو يضم بداخله متحفا للتماسيح جرى تشييده في عام 2012، ويعرض المتحف لزوّاره من السياح 22 من التماسيح المحنطة التي عثر عليها بالمعبد.

وخضع معبد كوم أمبو لمشروع مصري أميركي، استهدف خفض منسوب المياه الجوفية أسفل معالمه الأثرية، وهو المشروع الذي مولته الوكالة الأميركية للتنمية الدولية، بمبلغ 3.2 مليون دولار أميركي، واستغرق تنفيذه قرابة ثلاث سنوات.

وتضم كوم أمبو أيضا، منطقة محاجر جبل السلسلة، والتي تعد من أكبر وأهم المحاجر المستخدمة لقطع الحجر الرملي بمصر القديمة، حيث بدأ استخدامها على نطاق واسع منذ بدايات عصر الأسرة الـ18 واستمر استخدامها حتى العصور الحديثة، وقد تم قطع أحجار معظم المعابد من تلك المحاجر مثل معابد الكرنك، والأقصر، وهابو، ومعبد كوم أمبو، وإدفو، وإسنا، ودندرة.

ويقول خبير الآثار المصري، إبراهيم سليمان، المدير العام الأسبق لآثار الأقصر، إن مدينة كوم أمبو كانت معروفة منذ عصور ما قبل التاريخ، وتضم الكثير من الجبّانات والآثار القديمة، كما حظيت بأهمية اقتصادية كبيرة، وارتبطت تجاريا مع مدينة "قفط" التاريخية في محافظة قنا. ويضيف أن كوم أمبو صارت اليوم مدينة للاكتشافات الأثرية، إذ شهدت المدينة ومعبدها اليوناني الروماني، الكثير من الاكتشافات الأثرية المهمة والمتتالية خلال الفترة الماضية.

وعثر في كوم أمبو على الميناء الرئيسي الذي كان يستخدم لنقل الأحجار من منطقة محاجر جبل السلسلة عبر نهر النيل لبناء المعابد والمسلات.

رحلة في حضارة قديمة

والميناء الذي توصلت إليه البعثة الأثرية المصرية العاملة في المدينة، كان مطمورا بالرديم وطمي النيل والحشائش، وبعد أن قامت البعثة بإزالتها وتنظيفها ظهرت العديد من العلامات والنقوش وأماكن ربط المراكب والقوارب تمهيدا لتحميل الأحجار عليها.

ونجحت البعثة الأثرية المصرية العاملة بمشروع تخفيض المياه الجوفية بمعبد كوم أمبو، في الكشف عن رأس تمثال للإمبراطور ماركوس أوريليوس، وتوصف رأس التمثال بأنها من القطع الأثرية الفريدة لذلك الإمبراطور، وذلك نظرا لندرة التماثيل الخاصة به في مصر، وهي تمثل الإمبراطور بشعر كثيف ومجعد وله لحية.

كما تم العثور على الجزء الأعلى من لوحة مصنوعة من الحجر الجيري، والتي تعيد معبد كوم أمبو إلى عصر التحرير، وقد وجدت على اللوحة صور شخصين يقدمان القرابين للملكة تيتي شيري والملكة أحمس نفرتاري وعليها نصوص للملكة تيتي شيري تلقبها بأم الملك وسيدة الأرضين.

وترجع أهمية ذلك الكشف إلى أنه يُرجعُ تاريخ معبد كوم أمبو إلى تاريخ أقدم مما كان معروفا من قبل. كما عثر بمعبد كوم أمبو على تمثال منحوت من الحجر الرملي لأبوالهول، يرجّح أن يرجع إلى العصر البطلمي، حيث تم العثور عليه في الجهة الجنوبية الشرقية من معبد كوم أمبو، كما عثر في ذات المنطقة على لوحتين من الحجر الرملي للملك بطليموس الخامس.

وكما يقول خبير الآثار إبراهيم سليمان، إن الاكتشافات الثرية المهمة التي عثر عليها في مدينة كوم أمبو، شملت العثور على أقدم ورشة لصناعة فخار الدولة القديمة، ويرجع تاريخها إلى فترة الأسرة المصرية الرابعة (2613 – 2494 قبل الميلاد) وهي فترة بناة الأهرام.

وحسب سليمان، تتكون الورشة من حفر نصف دائرية لصناعة الفخار بطريقة القوالب (مدقات الفخار)، تم تصميمها بشكل متجاور في أرضية الورشة، كما يوجد بداخل الحفر كتل حجرية دائرية الشكل لدق وضرب الطين المراد تشكيله في هيئة أوان. ولفت إلى أنه تم العثور داخل الورشة على أقدم عجلة حجرية لصناعة الفخار في مصر القديمة في هيئة قرص دوار من الحجر الجيري، وقاعدة مجوفة، وهي تعد من أنواع العجل التي كانت تدار باليد وأطلق عليها العلماء اسم العجلة البسيطة.

رحلة إلى عهد جديد في صناعة الطيران (الصورة شركة إيفييشن)

عهد الطيران الكهربائي قد يكون أقرب مما نتوقع

شركات ناشئة تنتزع آفاق المستقبل من عمالقة صناعة الطائرات

سلام سرحان
كاتب وإعلامي عراقي

تؤكد متابعة الاختراقات التكنولوجية التي تحققها شركات ناشئة صغيرة أن عهد الطائرات التي لا تخلق أي انبعاثات، قد لا يكون حلما بعيد المنال وأن تلك الشركات قد ترسم مستقبل صناعة الطيران، بعيدا عن دور الشركات العملاقة مثل بوينغ وإيرباص.

فرغم القناعة الشائعة بأن الوتيرة الحالية لتطوير البطاريات تحتاج لعقود كي تصل إلى تسيير طائرات عملاقة لمسافات طويلة، إلا أن الاختراقات العلمية المفاجئة يمكن أن تقلب تلك التوقعات.

النقلة النوعية حدثت العام الماضي حين عرضت شركة إيفييشن Eviation في معرض باريس للطيران أول طائرة كهربائية يمكن أن تقتحم الاستخدام التجاري وسرقت معظم الأضواء والاهتمام الإعلامي في المعرض.

وقد استوحت الشركة اسم الطائرة من قصة "أليس في بلاد العجائب" وأطلقت عليها اسم "أليس" في خروج لافت عن تقاليد صناعة الطيران، التي تهيمن عليها الحروف والأرقام مثل طائرات إيرباص "أي 320" أو طائرات بوينغ 737 ماكس المنكوبة.

بالطبع هناك طائرات كهربائية كثيرة لكنها بعيدة عن مواصفات الطائرة أليس، التي يمكنها أن تحمل 9 ركاب والتحليق على ارتفاع 10 آلاف قدم لمسافة تصل إلى 1046 كيلومترا وبسرعة 481 كيلومترا في الساعة.

يقول المظلي السابق عمر بار يوهاي المؤسس المشارك لإيفييشن إن فكرة تأسيس الشركة بدت جنونية حين راودته مع شريكه الطيار السابق أفيف تزيدون في إحدى أمسيات شهر نوفمبر من عام 2016.

قبل ذلك وفي ذات العام كانت الطائرة سولار امبلس 2 التي تعمل بالطاقة الشمسية قد أكملت رحلة تاريخية حول العالم انطلقت من أبوظبي وعادت إليها، لكنها لم تكن تحمل في كل مرحلة سوى أحد طيارين اثنين تناوبا على قيادة الطائرة. لكن لم يكن أحد يتخيل حينها أن تصل الطائرات التي لا تقذف أي انبعاثات كاربونية إلى تخوم الطيران التجاري في المستقبل المنظور، إلى أن حلقت تلك الطائرة في سماء باريس بعد 3 سنوات.

حلم أم سراب؟

يقول تريستان كندي في تقرير في موقع فايس إن ما ساهم أيضا في لفت الانتباه إلى الطائرة، تصميمها الفريد بنوافذها الكبيرة وخطوطها الأنيقة وتصميمها الذي يوحي بتشابه مع السيارة "جاكوار إي تايب".

لكنه يضيف أن ما سلط الانتباه على الطائرة في الواقع هو أنها ليست مجرد نموذج تجريبي، بل طائرة يمكن أن تقتحم السوق على أسس تجارية عملية. وقد أعلنت الشركة أن شركة طيران أميركية قدمت طلبا للحصول على العشرات من الطائرة أليس، الأمر الذي يعني أن حلم الطيران الكهربائي بدأ يتحقق بالفعل.

ومع ذلك هناك إجماع على طلبات طائرات بوينغ وإيرباص سوف تواصل الهيمنة على صناعة الطيران التجاري في المستقبل المنظور.

الشركات الكبرى ضاعفت استثماراتها في بحوث الطيران الكهربائي إلا أنها لا تراهن عليها كثيرا في الوصول إلى منافسة طائرات الوقود التقليدي، التي تنقل المئات من الركاب ومئات الأطنان من الحمولة لمسافة آلاف الأميال.

لكن رغم قلة اهتمام الشركات المصنعة الكبرى وشركات الطيران بمستقبل الطيران الكهربائي، إلا أن ذلك الحلم يتقدم بخطوات ثابتة على طريقه الطويل.

وبافتراض أن تمضي خطوات الإنتاج الواسع للطائرة أليس في مسارها المرسوم وكذلك الإجازات التنظيمية اللازمة، فإنها ستدخل الخدمة التجارية في عام 2023. وهناك طائرات كهربائية أخرى لنقل الركاب تجاريا قد تدخل حتى قبل ذلك الموعد.

وتعمل شركة ماغنكس MagniX التي تصنع محركات الطائرة أليس مع شركة طيران هاربور الكندية لاستبدال محركات الوقود التقليدي في أسطولها من طائرات دي هافيلاند بيفر العائمة بمحركات كهربائية.

ويقول المدير التنفيذي لشركة ماغنكس روي غانزارسكي إن المهمة لم تكن سهلة لأن تلك الطائرات تبلغ من العمر 62 عاما وتنطلق من المياه وهو ما يمثل تحديا بالنسبة للمحركات الكهربائية، ومع ذلك نجحت الطائرة في التحليق فوق فانكوفر في ديسمبر 2018 بالمحركات الكهربائية الجديدة.

خلايا الوقود الهيدروجيني

في بريطانيا حصلت شركة ناشئة تدعى زيرو – أفيا على منحة قدرها 2.7 مليون جنيه إسترليني من الحكومة في سبتمبر الماضي لمواصلة تطوير طائرة بلا انبعاثات، لكنها لا تعمل بالبطاريات بل بخلايا وقود الهيدروجين. ويراهن مؤسس الشركة فاليري ميفتاخوف على أن هذا المصدر البديل للوقود سيساعد الشركة في إنتاج طائرة تحمل 20 راكبا وتطير لمسافة 920 كيلومترا بسرعة أكبر من الطائرات التي تعمل بالبطارية.

لكن هذه الاختراقات المثيرة للإعجاب، لا تخفي محدوديتها مقارنة بالطائرات الحالية التي تعمل بالوقود التقليدي، والتي يمكنها الطيران لمسافات تزيد على عشرة أضعاف وتحمل المئات من الركاب.

وتكمن العلة في الوزن لأن تحليق طائرة كبيرة وتزويدها بالطاقة لمسافة طويلة يتطلب بطاريات ثقيلة تمنعها من التحليق من الأساس، في حين أن نسبة القدرة إلى الوزن في خلايا الوقود الهيدروجيني لا تزال بعيدة عما هو مطلوب لتزويد طائرة كبيرة بالوقود.

ويفسر ذلك جزئيا قلة الرهان الاستثماري على التكنولوجيا الجديدة من قبل بوينغ وإيرباص، رغم تمويل بعض المشاريع الواعدة.

لكن غانزارسكي، يعارض هذا الرأي ويستحضر تجربة كودك، التي اخترعت الكاميرا الرقمية، لكنها فشلت في متابعتها لأنها بقيت أسيرة اعتمادها على عوائد أفلام الكاميرا التقليدية.

وإذا كانت الشركات المصنعة الكبرى ترى أن التكنولوجيا الجديدة الصديقة للبيئة ليست جيدة بما يكفي للسوق، فإن الشركات الناشئة ترى أن السوق أصبح جاهزا لانقلاب جديد.

وتستند إلى بديهيات اقتصادية بسيطة، وهي أن تكلفة شحن الطائرات الكهربائية أرخص بكثير من الوقود التقليدي، وهو ما يقلل من أهمية أن الطائرة أليس تستطيع حمل 9 ركاب وليس المئات عند النظر إلى تكلفة نقل كل راكب.

> الهواجس البيئية تضاعف الضغوط على شركات الطيران لخفض انبعاثاتها الكبيرة وهو ما يدعم الرهان على الآفاق المستقبلية للطيران الصديق للبيئة

مزايا الطائرات الصغيرة

يقول بار يوهاي إن الطائرات الكهربائية يمكن أن تبقى أصغر بكثير لكن مجدية اقتصاديا حين يتعلق الأمر بتكاليف التشغيل وأسعار التذاكر.

ويضيف أن استخدام طائرات أصغر قد يمنح شركات الطيران ميزة جديدة، بعد أن تعود الناس على السفر جوا لمسافات طويلة لكنهم ينفقون عدة ساعات للسفر برا بين المدن والضواحي بالفعل.

وهنا تكمن فرصة لشركات الطيران لتشغيل أعداد كبيرة من الرحلات الأقصر والأرخص باستخدام الطائرات الكهربائية دون أن يشعر الركاب بالذنب بسبب الانبعاثات.

ويبدو تشغيل الآلاف من الطائرات الصغيرة التي تعمل بالبطاريات لنقل مجموعات صغيرة من الركاب من الباب إلى الباب، أقفا واقعيا، مثل خدمات أوبر لنقل الركاب، وهو سيناريو فعلي حيث تعمل الشركة للوصول لتقديم هذه الخدمة.

وفي شهر مايو من العام الماضي، نجحت شركة ألمانية تدعى ليليوم في إطلاق نموذج أولي لما سيكون في النهاية طائرة إقلاع عمودي ذات خمسة مقاعد يطلق عليها "التاكسي الجوي".

لكن انتشارها بين أسطح المباني والبيوت وسط المدينة، سيتطلب قفزات تقنية إضافية وانتظار وضع لوائح تنظيمية، إضافة إلى شبكة متكاملة من البنية التحتية الجديدة.

في المقابل فإن البنية التحتية اللازمة لتشغيل طائرات كهربائية مثل أليس، موجودة اليوم بالفعل.

ويقول بار يوهاي إن هناك 20 ألف مطار محلي في الولايات المتحدة لوحدها، لا يستخدم معظمها إلا لطيران الهواة.

ويضيف أن 12 ألفا منها تصلح لتشغيل الطائرة أليس، في حين أن ألفي مطار فقط تستخدم حاليا لتشغيل الطائرات التجارية. وبذلك يمكن لشركات الطيران مضاعفة رحلاتها 6 مرات مع الحفاظ على أسعار التذاكر على حالها.

لكن الطائرات الكهربائية تواجه عقبات أخرى مثل القلق الذي تثيره بطاريات الليثيوم أيون منذ أزمة انفجار بطاريات هواتف سامسونغ عام 2016.

أما استخدام الوقود الهيدروجيني في الطيران فلم يتصدر عناوين الأخبار منذ كارثة هيندنبورغ في ألمانيا عام 1937 حين احترقت سفينة منطاد عملاقة لنقل الركاب، رغم أن معايير السلامة تحسنت كثيرا منذ ذلك الحين.

حتمية التحول

رغم كل العقبات تبدو شركتا إيفييشن وزيرو – أفيا واثقتين من أن طائرتيهما ستحلقان فوق جميع الحواجز لتصلا إلى تسليم طائرات لشركات طيران تجارية بحلول عام 2023 وبعد ذلك لن تكون هناك حدود للطموحات.

وتشير التقديرات إلى حجم أعمال الطائرات عديمة الانبعاثات يمكن أن يصل خلال سنوات إلى نصف تريليون دولار سنويا، وهو ما يزيد الاستغراب من عدم مراهنة إيرباص وبوينغ عليها.

ويقول محللون إن التحول في صناعة الطيران أمر حتمي، خاصة أنه يستمد دعما كبيرا من الهواجس البيئية التي تتضاعف ضغوطها على شركات الطيران لكونها من أكبر ملوثي الهواء في ظل تنامي النقل الجوي بسرعة كبيرة.

ويقول بار يوهاي إن "جميع الصناعات الكبيرة الراسخة تحتاج دائما إلى شركة صغيرة ناشئة تفاجئها وتركلها لتصحو على حتمية التغيير. وآمل حقا أن نكون تلك الشركة".

عمر بار يوهاي:
يمكن للطائرات الكهربائية أن تبقى صغيرة لكن مجدية اقتصاديا بسبب انخفاض تكاليف التشغيل وأسعار التذاكر

فاليري ميفتاخوف:
سننتج طائرة وقود هيدروجيني تحمل 20 راكبا لمسافة 920 كيلومترا بسرعة أكبر من الطائرات الكهربائية

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

التدريب الرياضي في الصباح أم في المساء أفضل

التمارين الصباحية تناسب من يريدون التفرغ مساء وتسهل التمارين المسائية التخلص من التوتر

يحاول كثيرون تحديد أفضل وقت لممارسة التمارين الرياضية، سواء كان ذلك في الفجر أم بعد يوم عمل طويل، ويسعى كل شخص إلى أن يحدد خيار الوقت حسب ما تتيحه له حياته ومشاغله اليومية. كما يهتم كثيرون بعنصر الفائدة من التمارين التي يمكن أن يتحكم فيها توقيت ممارسة الرياضة خلال اليوم، وهو ما يجعلهم يتساءلون عن الوقت الأنسب لممارسة نشاطهم الرياضي صباحا أم مساء.

التدريبات فجرا تستهدف الصحة العقلية

واشنطن - يزداد اختيار الوقت الأنسب لممارسة التمارين الرياضية صعوبة بوجود دراسات تدعم التدريبات الصباحية وأخرى تشجع التدريبات المسائية، لكن المختصين يؤكدون أنك يجب أن تحاول اختيار روتين يتوافق مع أهداف اللياقة البدنية الخاصة التي تريد تحقيقها، بالإضافة إلى اعتماد تمارين يمكنك الالتزام بها.

وتتطلب التمارين الصباحية عشاء مغذيا ونوما عميقا، بينما تتطلب التدريبات المسائية أن تزوّد نفسك بالطاقة طوال اليوم، وأن تتأكد من عدم تعارض مهماتك العائلية أو المهنية أو الاجتماعية الأخرى مع موعد تمارينك.

وبحسب موقع "إيليت دايلي" الأميركي يتفق ثلاثة خبراء: دومينيك غوثيه الذي أسس نظاما قائما على المكملات والمنتجات المصممة لتعزيز جسم الإنسان من الداخل والخارج، المدرب جدعون أكاندي الذي نال قفازات شيكاغو الذهبية مرتين، وجيرين ليلز الذي أسس برنامج "غيت ذي ميرور" الرياضي، على أن هناك فوائد لتمارين الصباح وتمارين الليل. ولكن، يمكن أن تختلف هذه الفوائد من شخص إلى آخر.

إيجابيات التدريبات الصباحية

تكون التمارين الصباحية مثالية بالنسبة إلى أولئك الذين يفضلون الاستلقاء لمشاهدة التلفاز والاستراحة بعد يوم طويل من العمل، وفي أيام أخرى، قد يختارون أن يتمتعوا بحمام لطيف ودافئ للتخلص من ضغوط اليوم. وهناك أيام أخرى يريدون تخصيصها للالتقاء مع الأصدقاء بعد العمل.

يقول غوثيه "تتطلب الكثير من الأشياء في الحياة اهتمامنا الدائم، مثل العمل والأسرة والمسؤوليات الاجتماعية، ويسهل إقصاء التدريب كلما تشتت انتباهنا. يتطلب الأمر المزيد من الطاقة العقلية لتحقيق هدف التدريب مع تعدد المشاغل".

وأضاف أكاندي "غالبا ما تجد نفسك مدعوا إلى حفلات العشاء أو منشغلا بحالات الطوارئ العائلية وقد تتبدد فرصتك في التمارين. علما وأن التدريب في وقت مبكر يقلل من احتمال أن تلهيك تلك المواقف عن أهداف لياقتك البدنية".

النشاط البدني ضروري إذ يساعد تحريك الجسم على تنظيم العمليات التي تتم داخله، وخاصة إطلاق الهرمونات التي تساهم في تحقيق التوازن

ويؤكد أكاندي "يمكنك تحسين صحتك من خلال اعتماد روتين التمارين الصباحية، لأن هذه التدريبات تحفز جسمك على حرق الدهون بنسق أقوى طوال اليوم".

ويتفق ليلز مع هذا الرأي، مشيرا إلى أن "هرمون الإندورفين الذي يزيد إنتاجه بعد التمارين الرياضية قادر على أن يحدد بداية إيجابية ليومك".

وكان المدرب الشخصي إيريك بويتز قد أفاد بأن على المرء أن يجتهد في التمارين الصباحية. وينصح بالتدرب لمدة 30 دقيقة لأنها "تتيح فترة زمنية مناسبة للتمدد، والإحماء، وبقية الروتين".

ويعدّ النوم الوقت الأمثل لتعافي الجسم من مجهود اليوم، يعني هذا أنه يجد الوقت لاسترخاء العضلات المرهقة ويحول الطعام إلى طاقة يستهلكها في اليوم التالي. لذلك، عندما تستيقظ، سيكون جسمك مستعدا لممارسة الرياضة.

يقترح غوثيه، الذي درب أبطالا أولمبيين، "الاستماع إلى جسمك"، كما يمكنك تجاهل المنبه إذا كنت تخطط لاتباع تمارين أشد. ويحذر قائلا "إذا لم تستمع إلى جسمك وحاولت تجاوز حدوده، فلن تستطيع الاستفادة من ممارسة التمارين الرياضية، لاسيما على المدى الطويل".

واعتبر المدرب الشخصي، كالب باك، التدريبات الصباحية أفضل من المسائية لأنها تؤثر على الصحة العقلية إيجابيا. وقال "في ما يتعلق بالاتصال بين العقل والجسم، يعتبر النشاط البدني ضروريا لصحة عقلية جيدة. ويساعد تحريك الجسم على تنظيم العمليات التي تتم داخله، وخاصة إطلاق الهرمونات التي تساعد على تحقيق التوازن".

ومن أسوأ ما يمكن أن يحدث عندما تكون مستعدا لممارسة التمارين في الصالة الرياضية هو أن تجد جميع آلات التمارين مشغولة، أو أن تكون الفصول ممتلئة، لكن غير متوقع أن تواجه أيا من هذه المشاكل في الصباح. يقول أكاندي "غالبا ما تكون الدروس المسائية مكتظة. امنح نفسك بعض المساحة من خلال التدرب باكرا".

بالإضافة إلى ذلك، فكر في الحاضرين الآخرين في فصولك المبكرة، يقول ليلز "سوف تكون محاطا بأشخاص يمكنهم إلهامك".

وفقا لغوثيه، يعدّ الانضباط أهم عنصر عند ممارسة التمارين الرياضية، ويرى في التدريبات الصباحية السبيل لتحقيق هذا العنصر. وبالنسبة إليه، يتعلق تدريب الجسم والعقل ببناء عادات إيجابية. ويعدّ الانضباط الجزء الأول من ذلك.

وفي مقابلة أجراها موقع "ويب. أم.دي" المختص بالشؤون الصحية مع سيدريك برانت في 2007، قال المختص في المجلس الأميركي للتمارين البدنية في سان دييغو "تشير الأبحاث في ما يتعلق بعادة التمرّن صباحا إلى ميل الأفراد الذين يمارسون الرياضة في الصباح إلى تحقيق درجات أداء أفضل حيث يركزون على تمارينهم قبل أن تتدخل ضغوط الوقت الأخرى".

إيجابيات التدريبات في المساء

بعد ساعات من النوم، لن تضطر إلى الإسراع لحزم حقيبة للملابس الرياضية، ووجبة خفيفة لما بعد التمرين. يقول أكاندي "تتيح لك التدريبات المسائية الحصول على نقطة انطلاق مناسبة لصباحك حيث يمكنك تناول وجبة فطور كاملة".

كما يمكنك قضاء وقت في الحمام بدلا من الاستحمام السريع لمدة 30 ثانية في الصالة الرياضية.

كما أن خيار المساء يضمن أنك لن تقوم بالتمارين وأنت جائع، ففي الصباح يمكنك أن تزود جسمك بالطاقة، ليكون أكثر استعدادا لممارسة التمارين في وقت لاحق من اليوم. وتستطيع أن تتدرب بعد أن تتناول طعام الغداء وبعض الوجبات الخفيفة التي تمنحك الطاقة المثالية التي تحتاجها للتدريب بعد العمل. ويوضح ليلز "يكون الجسم في حالة تأهب أكبر".

وتعمل التمارين المسائية على محاربة التوتر بعد يوم طويل وشاق في العمل أو في الفصل الدراسي، يمكن أن يكون للتمارين الخفيفة أو المكثفة تأثير يساعد على التخلص من التوتر الذي يمكن أن يمنعك من الاسترخاء. ويقول غوثيه "يمكن أن يساعدك ذلك في بناء ثقتك بنفسك، حيث سترى قدرتك على مواجهة التحديات التي تقف أمامك في جميع مجالات الحياة".

وتتيح التمارين الرياضية المسائية ضمن مجموعة من المتدربين فرصة بناء صداقات وعلاقات جديدة، على الرغم من تفكير الكثيرين في ممارسة الرياضة كتجربة فردية، إلا أن هناك بعض الأشخاص الذين يرغبون في تجربة الجانب الاجتماعي من خلال الذهاب إلى الصالة الرياضية، وفي هذه الحالة، تصبح التدريبات بعد العمل الخيار الأنسب.

> يمكن أن يكون للتمارين الخفيفة أو المكثفة تأثير يساعد في التخلص من التوتر الذي قد يمنعك من الاسترخاء

وفسّر ليلز ذلك مشيرا إلى أن الإقبال على الصالات الرياضية يكون أكثر في المساء.

وفي الكثير من الأحيان، لا تتوفر في الصالات الرياضية حمامات أو أدواش ولا يجذب هذا الأشخاص الذين يذهبون إلى العمل بعد التمارين، لتجنب التوجه إلى المكتب برائحة العرق، ويقترح أكاندي التدرب في وقت لاحق من اليوم.

وجبة خفيفة قبل ممارسة الرياضة تشجع حرق الدهون

باريس - يمكن أن تصبح التمارين الرياضية مثمرة بشكل خاص عندما تسبقها وجبة خفيفة تم اختيارها جيدا، فتناول الكربوهيدرات مثلا قبل حوالي ساعة من التمارين يمكن أن يحفز حرق الدهون.

يعتقد بعض الناس أن عدم تناول الطعام قبل ممارسة الرياضة سيؤدي إلى حرق المزيد من الدهون، ولكن هذا المعتقد ليس صحيحا بالضرورة. وتؤكد العديد من الدراسات العلمية أن في هذه الحالة سوف يستخدم الجسم كل الطاقة المتاحة، بما في ذلك البروتينات الموجودة في العضلات، وكذلك الكربوهيدرات والدهون.

وتزيد المعدة الفارغة أثناء التمارين من خطر الإصابة بالدوار أو الخمول أو عدم الراحة أو الإرهاق الشديد، وبالتالي تمنعنا من الاستمتاع بالتمارين بشكل كامل. على العكس من ذلك، فإن خبراء في الصحة والأنشطة الرياضية يؤكدون أن تناول وجبة خفيفة مكونة مع أنواع معينة من المواد الغذائية يحوّل الجسم إلى آلة لحرق الدهون.

ومن خلال اختيار استهلاك الكربوهيدرات، على سبيل المثال، يمكن أن نقوم بالحفاظ على مخازن الكربوهيدرات الخاصة بنا وتجديدها بهدف تقليل تلف العضلات وزيادة القدرة على التحمل. وتوفر هذه العناصر الغذائية الطاقة للجسم مع تدعيم قدراته على التخلص من الدهون المتراكمة، وتؤخذ هذه الوجبة بين 15 و30 دقيقة قبل ممارسة الرياضة.

ويقترح المختصون في اللياقة بعض الخيارات مثل كوب صغير من عصير الفاكهة مع موزة وشريحة من الخبز المحمص.

ويكمن سر نجاح هذه الطريقة التي تجعل من الوجبات التي نتناولها عنصرا داعما لحرق الدهون في التمارين الرياضية في حسن اختيار العناصر الغذائية المناسبة. ويساهم تناول وجبة خفيفة عالية الكربوهيدرات، تُستهلك قبل حوالي ساعة من ممارسة الرياضة، في تحفيز حرق الدهون.

وفي هذه الحالة، اختر بين حفنة من الحبوب الحلوة توضع في القليل من الحليب منزوع الدسم، أو حبة من الفاكهة، أو نصف كوب من المعكرونة أو الأرز مع القليل من الزبدة أو زيت الزيتون، أو نصف كوب من دقيق الشوفان مع القليل من الزبيب.

ويتم هضم الكربوهيدرات بشكل أسرع من الدهون أو البروتينات، لذلك فإن تناول الكثير من الدهون أو البروتين، أو حتى تناول وجبة تحتوي على نسبة عالية من الكربوهيدرات، خلال ساعتين قبل التمارين سيؤدي إلى تدفق الدم إلى المعدة، وليس إلى العضلات. ومع ذلك، فإن الكربوهيدرات المستنفدة بسرعة ستترك الدهون تعمل باعتبارها مصدر الطاقة الوحيد للجسم.

ويشير أخصائيون في اللياقة البدنية إلى أن السر لتعزيز فقدان الوزن، يكمن في الاعتماد على الأطعمة المناسبة والنشاط الذي يستهلك الطاقة ويعزز إزالة الدهون، وذلك من خلال تحسين عملية الأيض لخسارة بضعة أرطال دون جوع أو تعب. كما يجب ربط سلوك الأكل الجديد والذي تم اختياره وفق ما يناسب الجسم بممارسة النشاط البدني.

ويمكن البدء أولا بحمية الصيام، وقد يقاوم الجسم الصيام إذا تم تقليل السعرات الحرارية التي تتدفق إليه.

وفي هذه الحالة، تتمثل الاستراتيجية الصحيحة في الصيام لفترة قصيرة، من 16 إلى 20 ساعة، وهذا من شأنه أن يعزز تعبئة احتياطيات الدهون عن طريق منع إنتاج هرمون "T3" الذي يفرزه الجسم للحماية من فقدان الوزن. ويمكن مرة واحدة في الأسبوع أن نتخطى وجبة العشاء ونأكل في صباح اليوم التالي، أو وجبة الإفطار ونأكل في وجبة الغداء، ونحرص على الإكثار من استهلاك السوائل مثل الماء، والشاي، وشاي الأعشاب، ومرق الخضار...

وثانيا يمكننا أن نستعين بعشبة الهندباء، فهي غنية بمادة الإينولين، ويقال إن ألياف جذورها الأرضية تساعد في تقليل مستويات السكر في الدم والدهون. ويمكن أن نستبدلها بالقهوة، أو نجمع بين الاثنين، حتى نجمع بين فوائد التخسيس الخاصة بالإينولين والكافيين. وينصح المختصون أيضا بالإكثار من التوابل الطازجة أو المطحونة وخاصة منها الفلفل الحار الطازج أو المسحوق والذي يعمل على تحفيز إنتاج الأدرينالين والنورادرينالين، اللذين يساعدان على حرق السكريات والدهون الاحتياطية.

الكربوهيدرات المستنفدة بسرعة ستترك الدهون تعمل باعتبارها مصدر الطاقة الوحيد للجسم

وتلعب الحركة طيلة اليوم دورا رئيسيا في فقدان الوزن بسرعة، ومن الضروري الجمع بين النشاط البدني والتدابير الغذائية. هذا يسمح لك بحرق السعرات الحرارية بالطبع، ولكن أيضا، من خلال تطوير كتلة العضلات، لزيادة التمثيل الغذائي الأساسي، وبالتالي يمكن أن يختلف حرق الجسم للسعرات الحرارية بحيث يتراوح من 200 إلى 600 سعرة حرارية اعتمادا على ما إذا كان المرء مستقرا أو نشطا! والقاعدة الأهم هي المشي 10 آلاف خطوة على الأقل في اليوم أي من 6 إلى 8 كيلومترات.

ومن خلال مضاعفة فرص التنقل (الذهاب إلى العمل أو القيام بالتسوق سيرا على الأقدام، أو السلالم بدلا من المصعد...) نصل إلى هذا المعدل بسهولة.

ويوصي خبراء اللياقة أيضا بشرب الشاي أو القهوة وبفضل الكافيين الذي تحتويه فإنها تزيد من عملية الأيض الأساسية، وهذا يعني تنشيط حرق الدهون. ويفضل استهلاك الشاي الأخضر. وبالنسبة للاثنين نقتصر على 3 أكواب كبيرة يوميا، ويفضل قبل الساعة الثالثة مساء.

جيل الألفية يعاني الشيخوخة في سن مبكرة

شباب مهدّد بأخطر الأمراض النفسية في ظل البطالة والفشل في تحقيق طموحاته

لا يغيب ذكر الأمراض النفسية والعصبية عن لائحة الأسباب عندما يتعلق الأمر بدراسة الظواهر الاجتماعية التي تتصل بالشباب والمراهقين، فهي دافع قوي نحو الانتحار والانحراف والعنف والتطرف والإدمان والعزلة والجريمة وغيرها، وتؤكد غالبية البحوث التي تتخذ من الشباب عينة درس أن جيل الألفية بات أكثر عرضة للأمراض النفسية من الأجيال السابقة.

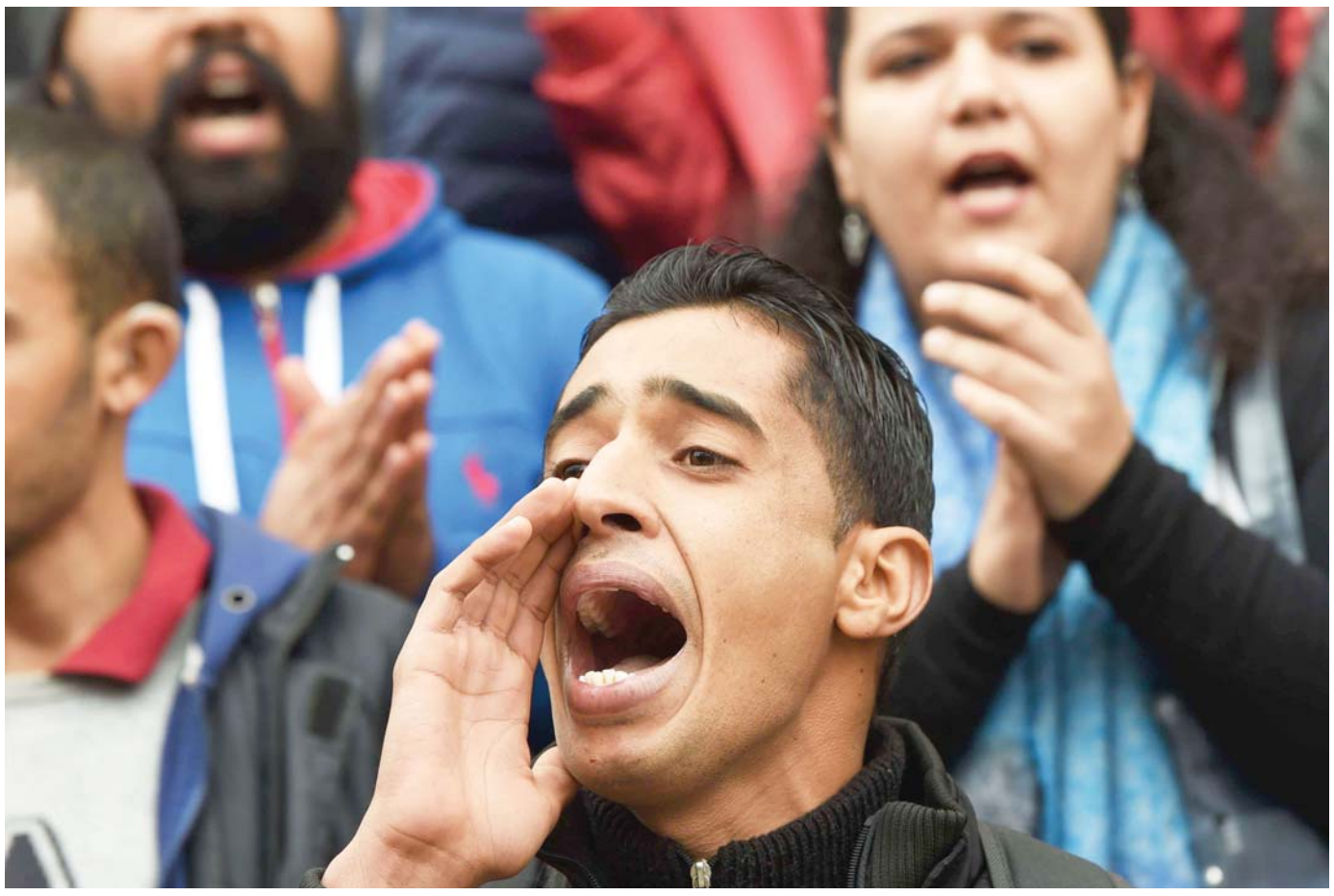

صرخات شبابية عاجزة وسط ضجيج الحياة

سماح عبادة
صحافية تونسية

تونس – يلاحظ كل من يجوب الشوارع التونسية في جميع الأوقات وجوه الشباب التي تبدو غاضبة أو حزينة أو متشنجة، ولا يمكن أن تمر من أحد المقاهي التي تعد مكانا للترفيه ومقابلة الأصدقاء بالنسبة للشبان والفتيات في المدن التونسية ولا ترى غالبيتهم يدخنون بشراهة أو يأتون سلوكيات في الفضاءات العامة تظهر تشنجهم وغضبهم وحتى في أحاديثهم تجدهم يتعمدون استعمال ألفاظ تنم عن العنف، وعبارات بذيئة تشي بالطاقة السلبية والغضب الذي يعتمل في دواخلهم.

وكشفت العديد من الدراسات النفسية والاجتماعية أن الإحباط بات يسيطر على المناخ العام في تونس، وأن الشبان والمراهقين التونسيين أصبحوا أكثر تشاؤما وأن اليأس والشعور بفقدان الأمل في النجاح سواء في الدراسة أو العمل وكذلك ضغط الأوضاع الاقتصادية وصعوبة الظروف الاجتماعية بالتوازي مع نسب مرتفعة من البطالة والفقر وانسداد الأفق، جميعها عوامل جعلت من فئة الشباب أكبر المتضررين من الأوضاع المعيشية الصعبة وهم بذلك أكثر من يعانون من الأمراض النفسية التي صارت تصيبهم في سن مبكرة.

أرقام مفزعة

دقّت الإحصائيات والأرقام الصادرة عن الجهات الحكومية في تونس ناقوس الإنذار نظرا للارتفاع المطرد في السنوات الأخيرة في معدلات الإصابة بالأمراض النفسية والعقلية، وأكد مستشفى الرازي الحكومي للأمراض النفسية والعقلية أن معدل الإيواء وصل إلى 8 آلاف مريض بعد العام 2011، ليرتفع هذا الرقم إلى 9400 حالة خلال العام 2019. وأكدت تقارير لوسائل إعلام محلية أن هذا الارتفاع طال فئتي المراهقين والشباب من كلا الجنسين.

وتجدر الإشارة إلى أن المرضى الذين يتم إيواؤهم في المستشفى عادة ما يكونون في درجات متقدمة من المرض النفسي، وبلغوا مرحلة الخطورة على أنفسهم وعلى عائلاتهم ومحيطهم الاجتماعي ومن بينهم شباب ومراهقون. وخلال العام 2018 قدّر عدد المرضى الذين زاروا مستشفى الرازي بأكثر من 100 ألف مريض نفسي. وكشفت البيانات التي نشرها المستشفى أن الاكتئاب يأتي في صدارة لائحة الأمراض النفسية والعقلية التي يعاني منها التونسيون.

> الكثير من الشباب والمقربون منهم لا يدركون الطريقة المثلى لمساعدتهم ومؤازرتهم ومحاولة إخراجهم من الحالات النفسية الصعبة التي سيطرت عليهم

وتحتل تونس المرتبة 102 في مؤشر السعادة عالميا، وتشير الأرقام الرسمية الصادرة عن وزارة الصحة إلى أن قرابة 30 في المئة من السكان مصابون باضطراب نفسي و40 في المئة من المرضى يعانون من أمراض عضوية ناجمة عن مشاكل نفسية مثل القلق والاكتئاب.

كما كشفت اللجنة الطبية لمستشفى الرازي للأمراض النفسية والعقلية العام الماضي عن زيادة في عدد المرضى الذين يلجأون إليها طلبا للعلاج من حالات نفسية مستعصية أو للتخلص من الإدمان وخاصة على المخدرات.

وعلق رئيس اللجنة فتحي ناصف بأن هناك زيادة غير مسبوقة في طلب العلاج النفسي في العيادات الخارجية للمستشفى، فضلا عن زيادة في طلبات الإيواء والإقامة مشيرا إلى أن هذه الزيادة ترجع إلى ارتفاع وتيرة الضغوط وطغيان مشاعر الإحباط التي تؤدي إلى الإصابة بأمراض نفسية معقدة قد يصعب التعافي منها حتى عند تلقي العلاج.

وبلغ عدد حالات الانتحار ومحاولة الانتحار المسجلة خلال السداسي الأول من عام 2019 حوالي 146 حالة 70 في المئة منها للذكور و30 في المئة للإناث وذلك وفق ما أفادت به المنسقة بالمنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية نجلاء عرفة، وأوضحت أن الذكور أكثر الفئات عرضة للانتحار خصوصا بالنسبة للشريحة العمرية بين 26 و35 سنة تليها الفئة العمرية من 36 إلى 45 سنة.

وأشارت إلى تعدد أسباب الانتحار أو محاولة الانتحار منها بالخصوص هشاشة الوضعية المهنية والبطالة والمشاكل الأسرية والضغوط النفسية.

ويرى خبراء علم النفس الذين اهتموا بدراسة ظاهرة الانتحار عند الشباب أنهم يصلون إلى حالات متقدمة من المتاعب النفسية والاضطرابات العقلية دون أن يجدوا من يساعدهم وأحيانا يعيشون معاناتهم في صمت ولا يتفطن المحيطون بهم إلى وصولهم مرحلة التفكير في الانتحار، جراء اليأس بعد الفشل في الدراسة أو عدم إيجاد عمل فيسيطر عليهم اليأس ويفقدون الأمل في المستقبل ويبدو لهم في تلك الوضعية أن وضع حد لحيواتهم هو الحل الأفضل.

وتؤكد الدراسات التحليلية أن الشباب من الذكور يقدمون أكثر من البنات في نفس أعمارهم على الانتحار نظرا لأنهم يتمتعون بجرأة أكبر لأخذ هذا القرار وأن الأضواء مسلطة عليهم خاصة في ما يهم العمل، فالشاب يظل بنظر العائلة والمجتمع هو رجل المستقبل المطالب بكسب رزقه ليؤسس لمستقبله ويخطط للزواج، أما الفتيات فإن الكثير من الأسر التونسية تقبل بأن يبقين عاطلات عن العمل في انتظار زوج المستقبل.

ضغوط من كل النواحي

يجمع الخبراء والباحثون أن الأمراض النفسية صارت تصيب الشباب في وقت مبكر من العمر موضحين أن الكآبة والقلق والعصبية والافتقار إلى النوم المثالي، والتي عادة ما تصيب الإنسان في مراحل متقدمة من العمر، باتت تسبّب للشباب العديد من الأمراض النفسية والعقلية والاضطرابات السلوكية بسبب طبيعة الحياة الجديدة وانعدام الفرص والفشل في الحصول على عمل والشعور بالقهر ما يجعلهم عرضة لأمراض لا تتناسب مع أعمارهم.

وتقول الستينية سعاد وهي أم لشابين أحدهما عاطل عن العمل "عندما أنظر لولديّ وهما في الثلاثينات من العمر يخيل لي أنهما اقترب من الخمسين، فالشيب يكسو رأسيهما، وملامحهما تبدو أكبر من أعمارهما الحقيقية"، وتضيف الأم لـ"العرب"، "كلاهما يشعر بحالة من اليأس؛ الأصغر سنا عاطل عن العمل ويعتمد على والده في تأمين مصروفه اليومي، رغم أنه حاصل على شهادة علمية إلا أنه لم يجد فرصة عمل مناسبة وبأجر مقبول".

وبالرغم من أن الابن الثاني لسعاد يعمل في شركة خاصة إلا أنها تؤكد أن وضعه المادي والنفسي لا يختلف كثيرا عن شقيقه كون راتبه لا يمكنه من الادخار أو من التفكير في الزواج وتكوين أسرة. وتؤكد الأم أن ما يعيشه ابناها ليس حكرا عليهما فجل أقرانهما يمرون بنفس الظروف ويعانون اليأس والتشاؤم بل أحيانا أكثر منهما، وتقول "أبناء أختي مثلا باتوا مدمنين على الكحول والمخدرات وحاول أحدهم الانتحار بعد مغادرته مقاعد الدراسة وفشله في الحصول على عمل".

ويرى عبدالحميد بن حمادي المختص في علم النفس أن العصر الراهن يتسم بازدياد منسوب التوتر بشكل ملفت للانتباه، ويعتبر أن الشباب كان الضحية الأولى لذلك باعتباره الشريحة الأضعف في المجتمع، فهو يتكبد قلق الحاضر بما يحتويه من أزمات سياسية واقتصادية تضيق عليه فرص العمل وتجعله فريسة للبطالة والعوز مما يضاعف لديه الإحساس بالقهر والاحتياج.

ويتابع بن حمادي في حديثه لـ"العرب" أنه "لا يخفى علينا أن احتدام هذه المشاعر السلبية لدى الشباب خلق لديهم ما يسمى اليوم بأمراض العصر مثل الاكتئاب والتشنجات العصبية إضافة إلى الأمراض النفسية الجسمانية المتأتية أساسا من حدة التوتر الناتج عن عدم القدرة على التوافق مع الواقع".

ويضيف المختص النفسي أن "قلق الشباب على المستقبل وعدم وضوح الرؤية يعتبران مصدرا أكيدا للإصابة بمثل هذه الأعراض باعتبار أن هذه الضغوط كفقدان الأمن المالي وعدم القدرة على مواجهة ضغوطات الحياة ومتطلباتها من شأنها أن تضاعف من حدة الانفعالات المسؤولة أساسا على الأمراض النفسية، والتي كانت تصيب في ما مضى شريحة عمرية متقدمة في السن ولاعتبارات أخرى أشد انفعالية، أما وقد ارتفع منسوب الضغط والتوتر في مجتمعاتنا الحالية فإننا لم نعد نستغرب ظهور مثل هذه الأزمات النفسية لدى جيل المراهقين والشباب".

وتتّفق فاطمة (48 سنة) مع المختص النفسي في أن الشباب من جيلها لم يكن يعاني من المتاعب والأزمات الصحية النفسية في سن مبكرة مثل شباب اليوم. وتوضّح لـ"العرب" قائلة "يبدو أن جيل الشباب السابق لم يعرف نفس الضغوط والأحاسيس التي يعيشها شبان اليوم، فنحن عرفنا كيف نتعامل مع متاعب وتقلبات الحياة".

وترجع فاطمة الاختلاف بين جيلها وجيل اليوم إلى التربية معتبرة أن جيلها تربى على الصبر واستطاع أن يحوّل التجارب الفاشلة إلى حافز للنجاح لكن شباب اليوم هم جيل العولمة المدلل والذي سهلت عليه التقنيات الحديثة والإنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي الحصول على كل ما يريد حتى المخدرات وهي من أهم أسباب الحالات النفسية المضطربة التي أصبحنا نلاحظها على الشباب في المجتمعات العربية.

غياب الوعي

الكثير من الناس لا يدرك خطورة المشكلات والضغوط التي يعيش تحت وطأتها جيل الشباب ويركز الكبار في الكثير من الحالات على اتهام هذا الجيل بالضعف والدلال المفرط واللامبالاة وعدم تحمل المسؤولية وغيرها، وبالتالي لا يتفاعل محيط الشاب الذي يمر بأزمة نفسية معه بشكل إيجابي ما يجعله يشعر بالضياع والإهمال فتوقعه متاعبه النفسية في العديد من المخاطر بدءا بإيذاء الذات وصولا إلى إيذاء الآخر.

وبالرغم من الدلائل والقرائن التي عرضتها العديد من الدراسات مؤكدة أن العوامل والدوافع التي تتسبب في وقوع شباب اليوم ضحية للأمراض النفسية والعصبية الخطيرة، قوية ومتعددة ومتنوعة إلى درجة يصعب حصرها أو التصدي لها فإن الوعي بخطورتها في المجتمعات العربية ما زال ناقصا، وهو ما يجعل الشباب يسقط في العديد من السلوكيات المتطرفة والعنيفة والمنحرفة أمام عجز محيطه الأسري والاجتماعي وكذلك الدولة على علاجه وانتشاله من واقعه المرضي.

ويعتبر الباحث في علم الاجتماع طارق بالحاج محمد أن "جيلا برمّته يتكون اليوم من المراهقين والشباب يجد نفسه ضحية ظروف اقتصادية واجتماعية وسياسية هشة وخارج منظومات الدراسة والحماية والاقتصاد، جيل يواجه وحيدا الحياة بصعوباتها وتعقيداتها ويواجه المجتمع بكل قسوته وأمراضه، فليس من الغريب إذن أن يجد نفسه إما ضحية إحدى وضعيات التهديد أو أحد المتسبّبين فيها".

ويوضح بالحاج محمد لـ"العرب"، "الظروف الاستثنائية والاستقالة العائلية والآفاق المستقبلية الغامضة كلها عوامل تجعل من شبابنا إما ضحية الانحراف والشذوذ أو ضحية الجريمة أو الإرهاب أو الأمراض النفسية الخطيرة. وضعية تعكس أزمة مجتمع وواقع مأزوم لجيل يرزح تحت وطأة الإحساس بالضياع وسوء الاندماج والتهميش وغياب الأمل وضعف الإحساس بالانتماء والأهمية والرغبة الفردية والجماعية للهروب من مواجهة الواقع وصعوباته وتعقيداته".

ويصف المختص في علم الاجتماع الشباب بأنهم "أشخاص في مقتبل العمر ولكنهم يعانون من الألم والحرمان والتوتر والتعاسة بشكل لا نقدر نحن الكهول على تحمله، فما بالنا بهم وهم فئة هشة على جميع المستويات، وحين لا يجدون منفذا ينفجرون في وجه المجتمع".

وتتحدث رنا رحايمي (23 سنة) حاصلة على شهادة جامعية وعاطلة عن العمل عن تجربة عايشتها لإحدى صديقاتها كانت ضحية للاكتئاب إلى درجة أنها أصبحت اليوم وحيدة وانفض جميع الأصدقاء من حولها وتقول لـ"العرب"، "بعد أن أنهينا التعليم العالي أصبحت وصديقتي من بين الشباب العاطل عن العمل. أنا واصلت البحث عن عمل رغم صعوبة ذلك وأصبحت أتعايش مع الفشل في إيجاد فرصة مناسبة لي بينما صديقتي اعتكفت في البيت ولم تتقبل البطالة وسيطر الروتين على حياتها اليومية بجانب الحرمان وقلة ذات اليد وأصبحت ترفض التواصل مع الجميع إلى أن قاطعتها بدوري".

واعتبر الطبيب الذي باشر حالة الفتاة أنها تعيش حالة متقدمة من الاكتئاب الحاد الذي قد يوصلها إلى عاقبة وخيمة، وفق رنا، التي تابعت أن صديقتها "باتت لا تحتمل، فهي دائما حزينة ولا تهتم بأي شيء ولا تستطيع التمتع بوقتها مع عائلتها أو مع أصدقائنا، وأحيانا تقول إنها تشعر بالذنب وإنها تعاني من اضطرابات في النوم وفقدان الشهية كما أن الإحساس بالتعب والقلق وضعف التركيز لا يفارقها. ومؤخرا، أصبحت ترفض حتى التواصل معي ومع كل المحيطين بها ولم تعد ترغب حتى في التحدث والإفصاح عما تشعر به إلى أن باتت لا تحتمل وانفض من حولها الجميع".

> الإحباط بات يسيطر على المناخ العام في تونس، فالشبان والمراهقون أصبحوا أكثر تشاؤما بالتوازي مع ارتفاع نسبة البطالة والفقر وانسداد الأفق

وترى الأخصائية في الفنغ شوي والتنمية البشرية رحاب بوسنينة أن كثرة الضغوط المادية والاجتماعية على الشباب في وقتنا الحاضر خلقت لديه شعورا دائما بالقلق والتوتر وأحيانا اليأس. وتقول لـ"العرب"، "الشباب اليوم يفتقر لمراجع قيمية واضحة يرجع لها عند الحاجة. ووسائل التواصل الاجتماعي خلقت نوعا من فوضى المفاهيم لديه أوصلته بدورها إلى دوامة من الشكوك. كما أنها تسوّق لنمط حياة استهلاكي جعل الشباب يعاني من حالة إحباط ناتجة عن عدم التوصل إلى تحقيق التوازن المادي خاصة في ظل البطالة المنتشرة وفي ظل الأزمة الاقتصادية الخانقة على المستوى العالمي".

وأضافت بوسنينة "لا ننسى الوضع السياسي المتأرجح على المستوى الوطني والعالمي والآفات والأمراض الغريبة التي انتشرت في السنوات الأخيرة، فكل هذا أدى إلى بروز علامات شيخوخة مبكرة لدى الشباب ونلاحظ بالعين المجردة ظهور الشيب الكثيف وتساقط الشعر لدى الفئة العمرية بين ثمانية عشر وأربعين سنة، كما أن أمراضا مثل ضغط الدم والسكري أصبحت مألوفة لدى شبابنا وارتفعت حالات الأمراض العصبية وحتى ظاهرة الجنون بين صفوف الشباب".

وترجع المختصة في التنمية البشرية هذه الظواهر إلى تفشي الضغوط والفوضى في محيط الشباب وكذلك فقدان الأمل والدافع لمقاومة الضغط اليومي. كما أن الطب في شكله الكلاسيكي لم يعد كافيا نظرا لأن الإشكال نفسي بالأساس مما يجعلنا نتجه نحو أساليب جديدة للتخلص من هذه المظاهر مثل التأمل وعلم الطاقة والتنمية البشرية التي تعمل على إعادة ترتيب الوسط المحيط بالإنسان وإعادة زرع الأمل والتفاؤل في نفسه.

وتحفز التقنيات العلاجية الجديدة التي تروّج لها التنمية البشرية الإنسان لخلق آليات جديدة للتعامل مع التحديات اليومية وتخلق لديه أرضية صلبة ينطلق منها لمقاومة النسق السلبي العام.

ولا يدرك الكثير من الشباب ولا المقربون منهم في محيطهم العائلي والاجتماعي الطريقة المثلى لمساعدتهم ومؤازرتهم ومحاولة إخراجهم من الحالات النفسية الصعبة التي سيطرت عليهم، وهو ما يجعل حالتهم تتفاقم وقد تنهي حيواتهم في وقت مبكر. لكن هذا لا يعني أنه لا يوجد من الشباب أنفسهم من يحاول السيطرة على أزماته النفسية ويتجاوزها بأخف الأضرار.

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

المحظورات ترغم نساء عربيات على الهروب إلى المجهول

العادات البالية ما زالت سجنا للمرأة العربية

ليس من السهل على النساء العربيات تجاوز الأعراف المجتمعية، وخصوصا بالنسبة لمن نشأن في بيئات ريفية وقبلية، إلا أن الكثيرات منهن استطعن كسر الجدار المنيع لذلك السجن والهروب بحثا عن متنفس من الحرية في أوطان بديلة تحفظ كرامتهن وتمنحهن هامشا من الحرية والأمان.

انتصار الإرادة على العادة، حياة مستعادة

يمينة حمدي
صحافية تونسية
مقيمة في لندن

تنص قوانين معظم دول العالم ومواثيق الأمم المتحدة على حق كل إنسان في اختيار نمط حياته طالما قام بواجباته، غير أن النظرة لحقوق المرأة يمكن أن تختلف بشكل كبير من مجتمع إلى آخر، وتتباين في المجتمع نفسه حول مدى توافق تلك الحقوق مع الثقافة والتقاليد السائدة.

وتتسم منطقة الخليج بمجتمعاتها المحافظة أكثر من بقية البلدان العربية الأخرى، ولذلك فإن الكثير من النساء الخليجيات قد يجدن أنفسهن أحيانا في بيئات غير متجانسة ومتشعبة على الصعيد الثقافي والديني، إذ يمكن للمرأة التي تعيش في أوساط أسرية ليبرالية أن تدرس وتتمتع بجميع حقوقها الاجتماعية والاقتصادية، فضلا عن حقوقها المدنية، فيما لا يمكن لامرأة أخرى تعيش في بيئات ريفية وقبلية مغادرة المنزل تماما، بسبب الأعراف والتقاليد التي تحكم الكثير من جوانب حياة النساء، ما يدفع الكثيرات إلى محاولة كسر تلك الأعراف المجتمعية التي يرينها غير منطقية.

الأفكار النمطية

ويرى البعض من خبراء علم الاجتماع أن النظم التقليدية والاجتماعية ما زالت تقيد حرية المرأة وتمنح الرجال الحق المطلق في اتخاذ القرارات نيابة عنها، فضلا عن كونها تكرس الأفكار النمطية التي تغذي النظرة الدونية لجنسها، وتضيق الآفاق أمامها في الحياة العامة.

ودعا محمد الحمزة الأخصائي الاجتماعي السعودي، إلى النظر إلى مشكلة الحجر على حرية وحقوق النساء والفتيات العربيات من عدة زوايا اجتماعية، مشيرا إلى أن الأهالي قد يقومون بذلك بدافع حماية بناتهم، أما الدافع الثاني فهو بسبب الخوف من العار والفضيحة، أما الدافع الثالث فهو الاستغلال المادي للفتيات الموظفات، ومن خلال تلك الأسباب يتم التضييق على المرأة إما بحسن نيّة وإما بقصد وسوء نيّة.

وقال الحمزة لـ"العرب"، "للأسف رغم الانفتاح الذي تشهده الدول العربية إلاّ أن تلك الممارسات ما زالت موجودة، ومع ازدياد الوعي الحقوقي والإنساني للنساء في العالم العربي ظهرت لدينا مشكلة الهروب للغرب بحثا عن ملاذ آمن وحياة مستقرة". وأضاف "مفهوم الهروب لا يجب أن ننظر إليه فقط من خلال المفهوم السطحي العام؛ لأنه قد يأخذ أيضا طرقا سلمية ونظامية، حيث نجد بعض الفتيات ممن يحملن شهادات علمية أو ممن لديهن رصيد مالي أو لديهن الإمكانيات اللغوية المناسبة، يسافرن طواعية للعمل في البلدان الغربية بشكل سلس ومرتب، ولكن الهدف الأساسي هو الهروب من البيئة والمجتمع. وهناك أيضا من الفتيات من يذهبن للبلدان الغربية بمساعدة المنظمات الحقوقية ويطلبن اللجوء من جراء التعسف الاجتماعي الذي يتعرضن له في مجتمعاتهن الأصلية".

وشدد الحمزة على أن الاعتراف بوجود هذه المشكلة هو بداية الطريق نحو الحل معللا رأيه بقوله "إن تنامي وازدياد الوعي لدى المجتمعات العربية قد دفع المرأة للبحث عن حقوقها وعن مجتمع وبيئة تعيش فيهما بكل أمان واستقرار، وعلى الحكومات العربية سن القوانين والأنظمة والتشريعات التي تضمن الحقوق العامة والسلامة للجميع، وبالذات للحد من مسألة التدخل المجتمعي باسم الأعراف والتقاليد التي أصبحت ذريعة لفرض التسلط والاستعباد وسلب الحقوق، فهذه أهم خطوة من خطوات الحل حتى لا تعم الفوضى باسم التقاليد والأعراف". وأشار إلى أن العالم العربي قد فقد الكثير من العقليات والنماذج النسائية المميزة بسبب هذه الظاهرة التي برزت إلى السطح مع وجود وسائل التواصل.

وختم الحمزة حديثه بقوله إن "الحياة في الغرب ربما لا تكون الملاذ الآمن كليّا ولكنها قد تكون أقل ضررا من العيش وسط مجتمع سلب الحقوق، ونحن في أمسّ الحاجة إلى وقف هذا الهدر والتسرب البشري لبناتنا حتى لو كانت نسب الهروب بسيطة فإن المشكلة يجب أن تعالج بكل عقلانية حتى نكوّن مجتمعات واعية وناضجة وقادرة على البناء والعطاء والعيش في استقرار وسلام".

وشهدت العقود الأخيرة ما أطلق عليه البعض من الخبراء "خطوات نحو تقليص الفجوة بين الجنسين"، إذ أصبحت على سبيل المثال المرأة في الإمارات تتمتع بامتيازات عديدة، تشمل التعليم المجاني وأفضلية الحصول على وظائف مرموقة في القطاع العام، كما تشجع الكثير من الأسر الإماراتية بناتها على مواصلة تعليمهن وممارسة المهن التي يردنها.

وسمحت السعودية كذلك بأمور كثيرة كانت محظورة على النساء، أبرزها قيادة السيارة وحضور نشاطات فنية ومباريات رياضية وتولي مناصب عسكرية، غير أن ذلك لا يعني أن جميع الفئات الاجتماعية ترحب بانتقال المرأة من عالمها التقليدي الذي يتمتع بخصوصية كبيرة، ليصبح أكثر حداثة وعمومية، إذ لا تزال هناك تحديات أمام المرأة في كل المجتمعات العربية، تحدّ من فرصها في الحياة، وتفرض عليها مجموعة من القيود والضوابط التي تمنعها من التحرك بحرية في الأماكن العامة.

لا يبدو أن أصل المشكلة في العادات الاجتماعية فقط، بقدر ما هو جزئية من توجه تقييدي يفرضه رجال الدين المتشددون والفئات المحافظة على المرأة ودروها في المجتمع، يبدأ من التعليم والعمل والنشاط الاجتماعي والرياضي والحقوق المدنية، وعلى الرغم من ذلك لا تعتبر مثل هذه القيود جريمة بمقتضى القوانين السائدة في معظم الدول العربية.

أما الإشكالية الأكثر تعقيدا، فهي ما تواجهه النساء من حيرة حول كيفية التوفيق بين السياقات التقليدية التي لا يكون فيها التغيير أمرا يسيرا، ورغبتهن في تحقيق ذواتهن وتلبية احتياجاتهن من دون أن يتهمن بجلب العار والسمعة السيئة لأهلهن ولبلدانهن، وعلاوة على ذلك فإنهن قد يتعرضن لأشكال من العنف الأسري ولا يعرفن كيف يمكن طلب المساعدة ومِن مَن؟

وبما أنّ الحال كذلك، ليس غريبا أن تظهر البعض من النساء مقاومة داخلية لذلك التقليد الصارم في التعاطي مع حقوقهن الشرعية، فيحاولن الهروب وطلب اللجوء في بعض البلدان الغربية، وقد تنجح البعض منهن في تحقيق ذلك، لكن هناك من ينتهي بهن الحال إلى إعادتهن بالقوة إلى منازلهن، أو يقتدن إلى السجن.

ومؤخرا وجدت البعض من الفتيات القطريات الشجاعة للكشف عن المعاناة التي يعشنها في وسطهن الاجتماعي وأحلامهن التي تحطمت على صخرة العنف الأسري والقبلي، قبل أن يقررن الهروب من بلدهن إلى بريطانيا، وقد كان موقع تويتر بمثابة المنفذ الوحيد الذي تسللن من خلاله إلى الحرية، وليكون لهن صوت مسموع، يعبرن به عن مشاكلهن بأنفسهن.

وقالت إحدى الفتيات القطريات لـ"العرب"، "اسمي الأول نورة (مستعار) لكن اسم العائلة المري وهو حقيقي ونحن مجموعة من الفتيات هربنا من عائلاتنا ومنا من هن قاصرات، وقد دفعتنا إلى ذلك قبيلتنا المتشددة، وبالنسبة لي شخصيا لقد تخليت عن ديني، لأنه في اعتقادي يعتبر المرأة خادمة ومخلوقة لخدمة الرجل ولأغراض أخرى".

وأضافت "العادات والتقاليد والدين تسيطر على مجتمعنا، بل تعتبر المرأة مواطنا من الدرجة الثانية، ويستخدم الرجال الدين كأداة للتحكم بمصيرنا، وكل ذلك يتم بمباركة الحكومة".

وواصلت المري حديثها "لا نستطيع أن نخرج دون عباءة، بل يتم إجبارنا على لبس النقاب، كما لا نستطيع أن نقصد أي مكان إلا بمرافقة أحد ذكور العائلة وهو أمر مرتبط أيضا بعادات وتقاليد العائلة التي تتحكم بجميع شؤون حياتنا بما في ذلك اللباس والخروج من المنزل وحتى اختيار شريك الحياة، ينضاف إلى ذلك أن عائلتي تمنع الإناث من العمل في مكان مختلط".

> **الإشكالية الأكثر تعقيدا، هي ما تواجهه النساء من حيرة في كيفية التوفيق بين الأطر التقليدية التي لا يكون فيها التغيير أمرا يسيرا، ورغبتهن في تحقيق ذواتهن وتلبية احتياجاتهن من دون أن يتهمن بجلب العار**

وأكدت المري قائلة "نحن نتعرض للعنف المنزلي لأتفه الأسباب ومع الأسف النظام في قطر لا ينصف النساء المعنفات، بل يحمي الجناة وقد سبق وحاولنا التواصل مع الجهات المختصة بهذه المسائل لكننا لم نجد من يتجاوب مع معاناتنا، ما دفعنا إلى انتقاد الحكومة على حساب (سابق) في تويتر يحمل اسما مستعارا لقد اتهمناها بتقييد حركة النساء وتكبيل حريتهن في التنقل والسفر، فالنساء في قطر كما تعلمون لا يستطعن السفر إلا ببلوغهن الخامسة والعشرين من العمر، كما أنهن لا يستطعن التحرك إلى أي مكان إلا بموافقة الولي الذكر، ونسمي تصريح السفر (خروجية) لكننا استطعنا التلاعب بجهاز وليّنا الذكر، وإعطاء الخروجية لأنفسنا وساعدنا اللاجئون الخليجيون الموجودون في بريطانيا على فهم إجراءات اللجوء".

وأضافت المري "عائلتنا لديها علاقات قوية مع الحكومة للأسف لذلك لم يكن هنالك أي مجال لننال حقوقنا في بلدنا ولأنه في الأصل لا يوجد قانون ينصف المرأة، بل حتى بعد هروبنا أصبحت الحكومة تلاحقنا، ويعمل شقيقنا المدعو (ع.م) ومن معه على بذل أقصى جهد للوصول إلينا هنا في بريطانيا وإعادتنا إلى قطر خوفا على (الشرف)، خصوصا بعد أن بدأت قصة هروبنا بالانتشار داخل المجتمع وسمع الناس أيضا بقصص شبيهة أخرى بقصتنا عن فتيات قطريات هربن من عائلاتهن، وأعتقد أنه من الصعب علينا العودة إلى قطر لأننا تمردنا وهربنا من عائلاتنا وقبيلتنا، وهذا يعتبر بالنسبة إليهم عارا ولن يشفي غليلهم إلا قتلنا من أجل غسل شرفهم...".

تعيد قصة المري الحديث من جديد عن أسباب هروب النساء من عائلاتهن وأوطانهن وعن خصوصية مشكلتهن، التي تتمثل في مواجهة قيود لا حصر لها تفرضها التقاليد الاجتماعية والاختلافات الطائفية والعرقية وحتى الأنظمة السياسية.

وربط الباحث في التاريخ الإسلامي رشيد الخيون، من خلال قراءته لبعض المفاهيم في القرآن والسنة بين أحوال النساء والتفسيرات الخاطئة للتعاليم الإسلامية التي تقف عائقا أمام مشاركة المرأة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية.

وقال الخيون لـ"العرب"، "المرأة العربية المسلمة خضعت إلى الأحكام الفقهية والأعراف الاجتماعية القبلية، ومعلوم أن الأعراف الاجتماعية تقوم بدور الأحكام في الكثير من الحالات، لكن في القرون الماضية، وحتى بدايات القرن العشرين، تواصل خضوع النساء لأعباء تلك الأحكام، وحتى في ظل مستوى التطور الاجتماعي آنذاك بقيت المرأة بعيدة عن التعليم والمساهمة في الحياة العامة، وصنع القرار السياسي".

وأضاف "لا ننسى أن دخول الأعراف القبلية على الدين قد مورست من أول ظهور الإسلام، وهناك آيات جعلت المرأة أقل من الرجل مكانة، ومنها آية القوامة، والضرب في المضاجع، وحُكم النشوز والطلاق والإرث، وكلها تقريبا تعلق أسباب نزولها بموقف القبلية، وكان هذا اضطرارا لمسايرة رجال القبائل".

وتابع الخيون "بعد تعليم المرأة وتمدنها، أصبح من الصعب عليها تقبل وتحمل تلك الأعباء، وفي حالة تعذر تعايشها مع بيئتها الدينية والثقافية لا مناص من محاولتها التخلي عما يُقيدها كإنسانة حرة، بهروبها من بلدها لاعتقادها بأنها ستجد حريتها في المناخ غير المسلم في البلدان الأوروبية على وجه الخصوص وقد يدفعها ذلك إلى التخلي عن ديانة الأب والأم، التي تراها عائقا أمام حريتها وتقدمها، فهي تشعر في حالة احتفاظها بدينها أنها ستبقى مكبلة بتلك التقاليد والأحكام التي هربت منها، فلابد أن تهرب مما بداخلها، أي ما بقى يُعيق حريتها".

صورة قاتمة

ترى ناشطات عربيات أن النجاح الذي أحرزته نسبة ضئيلة من النساء العربيات لا يجب أن ينظر إليه منعزلا، في مقابل تلك الصورة المشرقة هناك صورة أخرى قاتمة لمعاناة هائلة تكابدها الملايين من النساء، المجتمعات الريفية والقبلية، حيث ينتشر الجهل والأمية ومشكلات عميقة الجذور تتحكم في حياتهن من المهد إلى اللحد.

وقالت الناشطة الحقوقية السودانية ويني عمر لـ"العرب"، "عادة ما تعمل التقاليد الثقافية بشكل منحاز ضد المرأة ومميز ضدها، وتمارس تنميطا مُضرا ومنتهكا لإنسانية وكرامة النساء".

وأضافت "تعمل الثقافة على إخضاع الأفراد المنضوين تحتها، وعبر آليات ضبط اجتماعي صارمة للمحافظة على خضوع الجميع، وعلى إخضاع النساء لمعايير أكثر صرامة، كما أن تحالف التيارات الاجتماعية المحافظة مع السلطة السياسية قد يجعل الوضع أكثر صعوبة، ويضفي طابع القدسية على الأعراف والتقاليد، ويمنع أي نقد أو محاولة للتغيير".

واعتبرت عمر أن "النساء يتعاملن بازدواجية مع هذه المسألة، إما بالتماهي مع القهر واستبطان وعي ما يسمى بـ'سيكولوجيا الإنسان المقهور'، بحيث تصبح المرأة ذاتها أحد الحراس الأوفياء لهذا النظام القاهر، وإما أن تختار حريتها وتقاوم وتتمرد، وهي داخل بلادها أو تحاول الخروج جغرافيا بعيدا عن نطاق هذه المعايير الصارمة".

وختمت عمر بقولها "المجتمعات العربية التي تمثل حواضن للثقافة المحافظة، تعتبر بمثابة المأزق للنساء اللواتي يحاولن الانعتاق من سجن العادات والتقاليد المنكرة لحرياتهن ولكرامتهن، وعادة ما تكون المجتمعات الغربية هي الملجأ".

لكن برغم الصعوبات والمشاكل التي تواجهها المرأة العربية، وتدفعها إلى محاولة إعادة غرس جذورها في بلد غير بلدها الأصلي، فإن المجمعات الذكورية تمارس حالة من الإنكار والتزيين لواقع المرأة المرير.

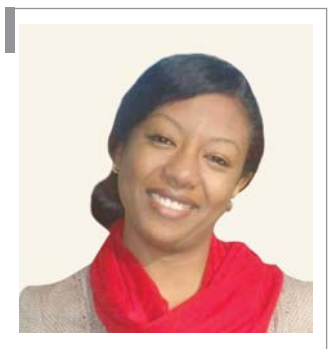

ويني عمر

تحالف التيارات الاجتماعية المحافظة مع السلطة يجعل الوضع أكثر صعوبة، ويضفي طابع القدسية على العادات والتقاليد

رشيد الخيون

المرأة خضعت إلى الأحكام الفقهية والأعراف الاجتماعية القبلية، ومعلوم أن الأعراف تقوم بدور الأحكام في الكثير من الحالات

محمد الحمزة

ولو كانت نسب الهروب بسيطة يجب أن تعالج المشكلة بكل عقلانية حتى تعيش المجتمعات في استقرار وسلام

السجاد المصنوع من القطيفة موضة 2020

برلين - يضفي السجاد لمسة فخامة على الصالون ويعد من أهم قطع الديكور. كما يعتبره خبراء التصميم الداخلي من الكماليات المهمة حيث يظهر السجاد لوحة فنية إن علّق على الجدار وقطعة للزينة إن وضع على الأرضية.

ويوضع السجاد تحت طاولة صغيرة أو في إحدى زوايا الغرفة ويكون إما بلون فاتح وإما بلون ترابي غامق بحيث ينسجم مع ألوان الجدران وقطع الديكور الموجودة في الصالون. وعادة ما يتم اختيار نوعية السجاد حسب شكل الصالون ولونه. ومنذ حوالي 2500 عام كان السجاد يكسي أرضيات القصور، واعتبر اختيار سجاد مناسب بمثابة اختيار خاتم الخطوبة.

ويعد السجاد المصنوع من القطيفة موضة 2020 وقد جاء بتصميمات تتناسب مع الأثاث وديكور الغرفة.

وغلب على ألوان السجاد القطيفة، هذا العام اللون الأحمر والبني الفاتح واتخذ تصاميم مختلفة أهمها الدائري. ويضفي السجاد المصنوع من القطيفة لمسة من الفخامة على أثاث الغرفة ويكسب الصالون نوعا من التميز.

> السجاد المصنوع من القطيفة يضفي لمسة من الفخامة على أثاث الغرفة ويكسب الصالون نوعا من التميز

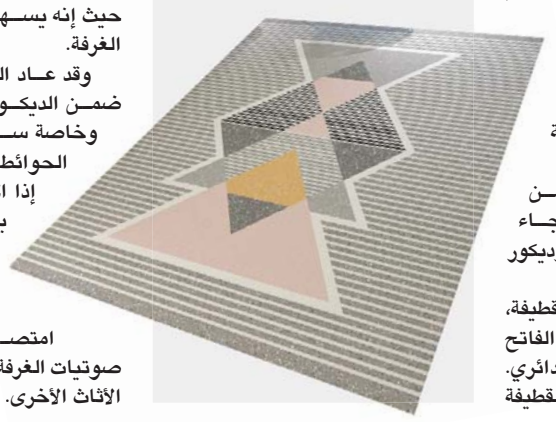

ويشهد السجاد المصنوع من القطيفة رواجا كبيرا بفضل طابعه الوثير.

ويختلف سمكه ونوعه حسب الغاية منه ويكون استعماله إما بقصد التدفئة وإما للزينة من خلال تركه على أرضيات الغرف طوال العام.

وقال الخبير الألماني مارتن أورباخ إن السجاد يمثّل أحد العناصر التصميمية المهمة لديكور المنزل؛ حيث إنه يسهم في رسم وتشكيل مظهر الغرفة.

وقد عاد السجاد بقوة هذا العام ضمن الديكورات الأساسية للمنزل وخاصة سجاد الحائط، الذي يجعل الحوائط بمثابة تحفة فنية خاصة إذا اكتست بسجاد يزدان بمطبوعات غرافيك، فضلا عن أن السجاد المعلق على الحائط يتمتع بميزة عملية تتمثل في امتصاص الصوت وتحسين صوتيات الغرفة وهو ما لا يتوفر في قطع الأثاث الأخرى.

أفكار لديكور غرفة النوم

لندن – ديكور غرفة النوم آخر الأشياء التي نراها قبل أن نغفو ومن أول الأشياء التي نراها عند الاستيقاظ. وهو ما يجعل اختياره وتصميمه بالغي الأهمية لضمان عنصر الراحة في الغرفة المخصصة لها، ويرى خبراء التصميم أنه يمكن إظهار أسلوب تصميم فريد في ديكور غرفة النوم يكون خاصا بنا.

لوح السرير

يمكن تصميم لوح السرير باستخدام علبة طلاء السبورة السوداء على أي نوع من الجدران (جص أو خشب أو قرميد أو خرسان). يسهل تطبيق طلاء السبورة، ويجف اللون سريعا ويمكن تنظيفه بالماء والصابون. لكن، لا تقتصر على اللون الأسود. يتوفر طلاء السبورة في كل الألوان تقريبا، إذا كنت لا ترغب في استخدام الطلاء، فكر في تعليق سبورة. ويمكنك استخدام الطباشير للكتابة والرسم عليها أكثر من مرة نظرا لسهولة تنظيف هذا السطح.

ويعد السرير وأغطيته أحد الأشياء التي يمكن استغلالها لتغيير ديكور غرفة النوم أو تصميمها. ويمكن أن يجد جل محبي الرياضة الحل في ما يبحثون عنه في أسرتهم. ويمكنهم اختيار بطانية بشعار فريق أو صور للاعبهم المفضل. ويسهل الحصول على هذه الديكورات خاصة إذا كانت لفرق شعبية.

خلفية السرير

وتوفر بعض المتاجر خلفية بسيطة ولكنها أنيقة. ويتم إلصاق الخلفية على الحائط مباشرة، ولاعتماد مثل هذا النمط المعقد، يوصي المصممون برسم الجانب الأيسر من اللوحة بقلم الرصاص ثم قصها لاستخدامها كقالب للجانب الأيمن. ويضمن ذلك أن يتحصل الشخص على جانبين متماثلين. ويمكن التأكد من إعداد الجدار بإزالة جميع الأوساخ وملء أي شقوق موجودة.

لوح السرير من الأرضية

يعدّ هذا اللوح الأمامي الجميل في الواقع أرضية موضوعة على الحائط لتقليد جدار خشبي يمكن الاعتماد عليه لإضافة لمسة خاصة على الجدران العادية. كما يمكن تحويل لوح السرير إلى عمل فني. ويعدّ هذا التصميم مبتكرا في الديكورات العصرية. ويمكن رش الطلاء على ورق مزخرف واستخدام ورق حائط قابل للنزع والتغيير بسهولة. كما يمكن استخدام سجادة مطبوعة وتعليقها على الحائط أو لفها حول قطعة من الخشب. ويمكن أيضا أن نجعل من لوح السرير لوحة فنية وللحصول على هذا المظهر الأنيق، يمكن قص القوالب بالحجم المرغوب فيه. ثم العمل على حفرها وفقا للنمط الذي يرغب الشخص في الحصول عليه. يمكن طلاء ما تحصل عليه بأي لون بعد ذلك ليتماشى مع ديكور الغرفة المعتمد.

> إظهار أسلوب تصميم فريد في ديكور غرفة النوم من شأنه إضفاء خصوصية على المكان

الحديد المطاوع

يعدّ اعتماد الحديد المطاوع مكلفا. ومع ذلك، يمكن العثور عليه في أسواق السلع المستعملة، أوعلى الإنترنت أو في الأماكن التي تبيع الأثاث. وعلى عكس بعض الأنواع الأخرى من المواد، يبقى الحديد المطاوع متينا وسهل التنظيف. ويتوفر في مجموعة متنوعة من الأنماط والأحجام.

خارطة العالم

تمثل خارطة العالم الممتدة من الأرض حتى السقف في غرفة النوم قطعة محورية. وتجمع الخارطة جميع الألوان في الغرفة. لكن، يتطلب هذا النوع من الجداريات أن يكون السطح أملس.

أبواب الخزائن

يمكن الاستعاضة عن الأبواب في الخزائن الموجودة في غرف النوم وإبدالها بأبواب السّحب أو الأبواب الزجاجية الشفافة وهو ما من شانه أن يعطي لمسة خاصة للديكور الداخلي للغرفة.

خلفية بسيطة لكن أنيقة

غرف أكثر جاذبية بالمرايا

لندن – تعتبر المرايا والزجاج الملون جزءا من ديكور أي بيت، إلا أن استخدامها وتوظيفها في المنزل يعد إحدى صيحات موضة الديكورات في 2020، لإضفائها لمسة إبداعية مميزة على المكان.

ويمكن استخدام المرايا في إكسسوارات البيت، أو في ديكورات الحوائط أو كعنصر للإضاءة بالمنزل.

ولأن المرايا تعكس الضوء، فإنها تزيد من المساحة المفتوحة عن طريق مضاعفة كل ما هو موجود في الغرفة. ويستخدم مصممو الأثاث والديكور المرايا في حيلهم لجعل الغرف تعطي انطباعا بأنها أكبر وأكثر جاذبية مما قد تكون عليه، وينصحون بوضع الشموع على المرايا لتضخيم الانعكاس الضوئي في الغرفة. وتنقسم المرايا إلى مرايا مسطحة، وأخرى منحنية وهي بدورها تتنوع في أشكالها فقد تكون دائرية أو أسطوانية. ومهما اختلفت أنواع المرايا واستخداماتها فيجب أن يكون سطحها ناعما بشكل جيد للغاية، لتقوم بعكس كامل الأشعة بلا تشتت.

ويعتبر وضع المرآة في مواجهة باب الغرفة خطأ شائعا وكذلك وضع المرايا في مواجهة بعضها البعض. وينصح خبراء الديكور بوضع المرايا في مكان يجعلها تعكس الضوء لتعزز الطاقة الإيجابية في البيت.

حسن استغلال المساحة

التحكم بالمساحة يسهل خيار العيش في منازل صغيرة

المنزل الصغير يفرض التنظيم الجيد والتخلص من الكماليات وحسن استغلال المساحة

يواجه الكثيرون مشكلا في التعامل مع البيوت ذات المساحات الشاسعة حيث تتطلب السيطرة على المكان جهدا مضاعفا، لذلك يختار كبار السن أو المقبلون على الزواج، وخاصة أولئك الذين لا يرغبون في إنجاب الأطفال، منزلا صغيرا رغبة في العيش بشكل أكثر استدامة وأقل كلفة.

واشنطن – يكلف العيش في منزل كبير كثيرا من الجهد في تنظيمه. ويتطلب وقتا طويلا للعناية به، خاصة إذا كانت به حديقة أو فناء شاسع. كما يجد الكثيرون صعوبة في التحكم في مساحات غرف المعيشة ويضطرون لإنفاق الكثير من المال لشراء الأثاث والسجاجيد والتجهيزات المنزلية بغاية السيطرة على المساحات الفارغة وملئها. بينما لا يتطلب العيش في منزل صغير سوى القليل من التنظيم والتخلص من الكماليات والسيطرة على الفضاءات وحسن استغلالها.

ويضع العيش في منزل كبير أصحابه في تحد لحسن استغلال الوقت والجهد، والتخلص من الفوضى والسيطرة على كل ركن من أركانه، والمحافظة على نظافته، والقيام بأعمال الصيانة بطريقة ترهق الصحة وتتعب الأعصاب. لذلك يفضل العديد من الناس العيش في منزل صغير يجنبهم العناء والتعب ويوفر لهم المال والطاقة، ويكسبهم راحة البال، ويتيح لهم التمتع بالوقت واستغلاله في مشاغل أهم.

وعموما يحتاج العيش في منزل صغير إلى جدولة الممتلكات والتخلص من الأشياء الزائدة عن الحاجة كقطع الأثاث القديمة أو التجهيزات التي لم تعد صالحة للاستعمال.

وتعددت الكتب التي توضّح كيفية جدولة الممتلكات لتحديد ما يحتاجه كل شخص وما يمكن التخلص منه وذلك مع الاتجاه الجديد الذي يشجع على التخلي عن الكماليات والاكتفاء بالضروريات. ويوضح كتاب من تأليف المختصة في الديكور شيري كونيس الطرق العملية التي يمكن اتباعها للعيش في منزل صغير والخطوات التي تلي التخلص من الثانويات نحو تغيير المنزل بأكمله.

حسب كونيس "يخشى الكثيرون التفكير في الانتقال إلى مساحة أصغر، لكن يقول كل شخص قابلته بعد الانتقال إلى منزل أصغر حجما بأنه 'سعيد بالنتيجة". وأشارت إلى "شعور المنتقلين بنوع من الحرية، حيث تتطلب المنازل الأكبر وقتا وأموالا أكثر للحفاظ عليها".

وتعدّ كونيس من الأشخاص الذين خاضوا هذه التجربة. وترى أن الانتقال عملي وخاصة بالنسبة إلى الأشخاص الأصغر سنا والمتزوجين حديثا، والذين لا يرغبون في إنجاب الأطفال بعد، ولأولئك الذين لا يرغبون في القيام بأعمال الصيانة في عطلة نهاية الأسبوع.

وتوضح "إنهم لا يريدون أن يكونوا مرتبطين بقص العشب وممارسة جميع الأعمال المنزلية الأخرى التي يفرضها العيش في منزل كبير". كما أن اتخاذ البعض لهذا القرار يستجيب للرغبة في العيش بشكل أكثر استدامة وتوفير تكاليف الطاقة. ويبحث أشخاص من جميع الأعمار عن ميزات مثل غرفة النوم في الطابق السفلي، أو غرف الاستحمام الخالية من العوائق. وتضيف كونيس "نعم، يحتاج كبار السن وذوو الاحتياجات الخاصة إلى هذه الميزات. ولكن، يتعرض البعض لحوادث يصابون فيها بكسور مما يجعلهم يبحثون عن أماكن للعيش أين يستطيعون التنقل بسهولة بين مختلف غرفهم".

> السرّ يكمن في أن تختار منزلا مصمما بكفاءة، سواء من حيث استخدام الطاقة أو من حيث المساحة

ويحتوي الكتاب على صور ورسومات توضيحية لـ33 منزلا صغيرا مصمما في المناطق الحضرية والريفية في الولايات المتحدة وكندا. ويفحص الميزات التي تجعل كل منزل ناجحا، ويعمل على تقديم المشورة في خطط البناء أو الترميم أو حتى مجرد تنظيم هذه المنازل. ومن النصائح التي يمكن أن تساعد على جعل المنزل الصغير يبدو أكثر اتساعا:

الأسقف المرتفعة وموقع النوافذ وألوان الجدران الخفيفة.

أثاث متعدد الوظائف، مثل طاولات المطبخ الصغيرة التي يمكن أن تتسع لاستيعاب ضيوف العشاء.

غرف مرنة يمكن أن تكون بمثابة مكتب وغرفة معيشة في نفس الوقت. على سبيل المثال، يحتوي أحد المنازل المصورة في الكتاب على مأوى سيارة به مصابيح وأبواب تفتح إلى الأمام والخلف مما يمكّن الساكن من استغلال المساحة كغرفة ألعاب.

أفكار تخزين مبتكرة، مثل الكراسي والدراجات التي يمكن أن تعلق على الحائط، ونصائح للاستفادة من التجاويف أو الفضاء تحت الدرج.

عدد أقل من الممرات، مما يتيح مساحة أكبر للعيش.

تفضّل كونيس أنواعا محددة من أنظمة التدفئة التي تعدّ أكثر كفاءة في استهلاك الطاقة ولا تحتاج صيانة كبيرة. وتقول "يكمن السر في أن تختار منزلا مصمما بكفاءة، سواء من حيث استخدام الطاقة أو من حيث المساحة".

في الماضي، كانت المنازل متناسبة مع حاجياتنا. وعشنا في تلك المنازل الأصغر دون أن نواجه مشاكل. مع مرور الوقت، أصبحنا نميل إلى المنازل الكبيرة جدا. وتغير الاتجاه مرة أخرى أين أصبحنا نكتفي بالمساحات الأصغر.

من جهة أخرى تقدم مواقع مختصة في الهندسة والديكور أفكارا للإبقاء على المنزل مرتبا مما يكسب غرف المعيشة مساحات إضافية. وتتلخص أهم نصائحها في كيفية استغلال المساحات الموجودة بالمنزل حتى ولو كانت الأسقف. وقدمت المواقع أفكارا لصناعة علب معدنية تثبت في الجدران للاحتفاظ بالخردوات وصناعة طاولات للكي دون مساحة إضافية وذلك عن طريق استغلال سطح الغسالات وابتكار حافظات للأحذية وأخرى للأدوية والأدوات ذات الاستعمال الشخصي كالنظارات.

وعموما يعتبر الانتقال إلى منزل صغير سواء كان بدافع تغيير موقع العمل أو من أجل توفير المال والطاقة وأعمال الصيانة، غاية يطمح إليها الكثيرون. ومن أهم إيجابياتها العيش والاستمتاع بحياة هادئة ومريحة، ووقف هدر المال على الأثاث والإلكترونيات والأجهزة المنزلية غير الضرورية، والتقليل من أعمال الصيانة. هذا إضافة إلى أن التقليص من مساحة المنزل قد يحرر الشخص ويعطيه الوقت الكافي للسفر والاستمتاع بالحياة ويكون وسيلة لبداية حياة جديدة.

تنظيم محكم

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

تجربة البنزرتي تلهم شبان تونس لخوض غمار التدريب

طارق جرايا يتسلق سلم النجومية بثبات

اسم جديد يضاف إلى لائحة المدربين التونسيين ليثبت مرة أخرى مدى نجاح الكفاءات التونسية في الوطن العربي. وفي السنوات الأخيرة باتت موجة المدربين التونسيين الشباب تغزو العديد من الدوريات العربية. ومع النتائج المميزة لهذه التجربة ظهرت أسماء لامعة لتضع بصمتها في عالم التدريب على غرار الشاب الصاعد طارق جرايا.

مدرب واعد

مراد بالحاج عمارة
صحافي تونسي

تونس – وضع المدرب التونسي طارق جرايا بصمته في عالم التدريب وبات نجما في بؤرة الضوء. هو شاب يشق طريقه بنجاح، وأصبح يتسلق سلّم النجومية بخطى ثابتة. فاجأ الفني الصاعد كل الملاحظين بنجاح فاق التوقعات لاسيما في منافسات الدوري اللبناني.

وكانت النجاحات للمدرب التونسي الشاب لافتة مع جلّ الفرق اللبنانية التي أشرف على تدريبها.

وقال طارق جراية الذي عمل الموسم الماضي كمدرب مساعد في نادي حمام الأنف إنه لم يكن يتوقع كل هذا النجاح السريع، ولكنه سيعمل على تأكيد ذلك على امتداد الموسم باعتبار التقييم يكون طوال السنة.

جرايا مدرب صغير في السن لكنه يعمل بطريقة احترافية وعمل على نقل هذه الطريقة إلى اللاعبين ليؤدوا أدوارهم داخل وخارج الملعب بطريقة احترافية.

وظهر هذا العمل الجاد خاصة في منافسات الدوري اللبناني، حيث استلم جرايا تدريب فريق السلام زغرتا في ظروف صعبة وأهمها التحضير المتأخر وانضمام عدد من اللاعبين في الأمتار الأخيرة من إقفال باب التعاقدات.

وتواصل النجاح الباهر مع كل الأندية التي أشرف على تدريبها، فبث في داخلها الروح الانتصارية العالية وحب التنافس والمواجهة. فهو مدرب يمتلك كل مقوّمات النجاح لعل أبرزها الإرادة والموهبة والتجربة والمعرفة والتخطيط والصبر والثقة.

بالتأكيد كل هذه الصفات تبرز قوة وسرّ الإبداع لدى الشاب التونسي المُولع بالتحدي والشغوف بمقارعة الكبار. وأكمل جرايا صورة التفوّق من خلال عروض فريق النجمة.

لم يأت إصرار النجمة على إعادة جرايا إلى منصب المدير الفني من فراغ، إذ بعد العودة إلى المدرسة الأوروبية مع المدرب الصربي بوريس بونياك، ومن ثمّ الذهاب إلى تجربة محليّة جديدة مع ابن النادي موسى حجيج، عادت عقارب الساعة إلى الوراء. عودة إلى المدرب العربي، لا إلى جرايا تحديدا، إذ أن العودة إلى التاريخ تترك معادلة واضحة: المدربون العرب الذين مروا على الدوري نجحوا مع النجمة أكثر من أيّ ناد آخر.

ويأتي المدربون الأجانب إلى لبنان ويذهبون. منهم من ينجح، ومنهم من يفشل. لكن البصمة الأكثر تأثيرا تركها المدربون العرب بعدما تمكّنوا من التفوّق على أقرانهم القادمين من القارات المختلفة، ما جعل الأندية تلجأ إليهم في كل مرّة أرادت فيها بناء فرقها من جديد.

بداية المسيرة

ولد جرايا في السادس من أبريل عام 1980 في تونس العاصمة، بدأ ممارسته لكرة القدم في سن صغير حيث لعب سنتين في نادي الملعب النابلي التونسي، بعدها خاض عدّة تجارب في فريقيْ الترجي والأفريقي الأشهر في تونس، ومن ثمّ فاز بلقب كأس تونس مع فريق شبيبة العمران ليبدأ بعد ذلك بين الكبار في تونس.

أنهى شهادة الباكالوريا لينتقل إلى فرنسا لمتابعة دراسته في إحدى الجامعات الفرنسية حيث تابع كره القدم في فرنسا مع فريق في أحد أندية الدرجة الثالثة ليعود معه إلى الثانية، بعدها خاض عدة تجارب كلاعب ومدرب في نفس الوقت حتى تفرّغ للتدريب في عمر مبكّر بمركز تكوين الشباب في فرنسا ليتلقى عرضه الأول كمساعد مدرب لأحد أندية الصف الأول للفئات العمرية في فرنسا، فأعجب بذلك ليجتاز بعدها عدة اختبارات في مجال التدريب، وأخذ عدة دروس تدريبية في كرة القدم في الجامعة الفرنسية.

درّب جرايا عدّة فرق من أندية الدرجة الأولى والممتازة للفئات العمرية تحت 18 سنة. فحصل على عدة شهادات تدريب وآخرها شهادة "A" من الاتحاد الفرنسي لكرة القدم. ليضمّه الاتحاد الفرنسي إلى اللجنة الفنية للفئات العمرية لمدة ثلاث سنوات ومع ذلك قدم دروسا في الدورات الرسمية للاتحاد حتى شهادة "B" وعمل مع منتخب أقلّ من 16 سنة في فرنسا حتى عاد الموسم الماضي إلى تونس ليصل هذا الموسم لتدريب نادي السلام زغرتا اللبناني.

ارتفاع الأسهم

ارتفعت أسهم المدربين التونسيين في الدوريات العربية التي استقطبت أنديتها هذه الكفاءات الفنية وحصدت معها الألقاب وذلك منذ تتويج فتحي جبال بلقب الدوري السعودي الممتاز. وكان جبال حقق إنجازا تاريخيا ليصبح بذلك أول مدرب عربي غير سعودي يتوج بهذا اللقب.

وساهم هذا التتويج في ارتفاع أسهم المدرب التونسي بالدوري السعودي بشكل غير مسبوق، وهو ما جعل الأندية هناك تتعاقد على الكفاءات التونسية التي أثبتت قدرتها على النجاح.

وتسلّم جبال المقاليد الفنية لنادي الفتح لمدة سنوات وحقق الصعود إلى الدوري الممتاز قبل أن يقوده إلى التتويج لأول مرة بلقب الدوري ثم بكأس السوبر في العام نفسه. كما أن المسيرة التي حققها فوزي البنزرتي مع نادي الرجاء البيضاوي في كأس العالم للأندية رسمت خارطة جديدة للفنيين التونسيين في الدوريات العربية. وعرفت الأندية العربية خلال الموسم الرياضي الحالي توافدا غير مسبوق للمدربين التونسيين الذين تألقوا في أغلب الدوريات وبخاصة السعودي والقطري والمغربي واللبناني. وكسبوا رهان النجاح والاستحقاق.

وعلى غرار الدوري السعودي، شهد دوري نجوم قطر نجاحا غير مسبوق للتونسيين، إذ حقق سامي الطرابلسي نتائج جيدة مع نادي السيلية، وقفز به من المراكز الأخيرة إلى المركز الخامس في الترتيب العام، في حين نجح نبيل معلول المدرب السابق لمنتخب تونس ونادي الترجي التونسي في الخروج بنادي الجيش من أزمته والصعود به إلى مراكز متقدمة جدا في الدوري.

وكان نادي الهلال السوداني قد تعاقد بدوره مع التونسي نصرالدين نابي، في حين شهد الدوري الليبي الممتاز إقبالا على المدربين التونسيين أمثال لطفي الرويسي مع نادي الرفيق، وطارق ثابت مع نادي الأخضر، ورفيق عياش مع نادي الصقور، وغيرهم.

نجاح المدرب التونسي في الدوريات العربية ليس حديث العهد، بل يعود إلى سنوات الألفية السابقة مع كفاءات مثل مراد لمخوب ويوسف الزواوي ولطفي البنزرتي وغيرهما. ويعتبر الدوري القطري من أفضل الدوريات العربية وأكثرها استقطابا للمدربين ذوي الصيت العالمي مثل البلجيكي إيريك غيريتس، ولكنّ التونسيين أثبتوا جدارتهم بقيادة الأندية القطرية مثل نبيل معلول وسامي الطرابلسي والحبيب الصادق، كما أن وجود فوزي البنزرتي على رأس الرجاء المغربي هو تأكيد على جدارة المدرسة التونسية.

قصص نجاح

لا يخلو جانب أو مجال أو عمل من قصص نجاح مميزة ونوعية تستحق أن تنشر وتبرز وتسوق؛ ليطلع عليها الآخرون، على غرار نجاح الرياضيين الشبان، وهذا من شأنه تحفيز هؤلاء وإثارة هممهم وشهيتهم للسعي إلى التميز والتفرد. فالنجاح مُلهم، وقد تؤدي قصة نجاح بسيطة إلى ملحمة نجاح عظيمة ومؤثرة، كما أن نشر قصص النجاح هو تحفيز وتشجيع لأصحابها واحتفاء بتميزهم، مما يدفعهم إلى مضاعفة جهودهم وتقديم المزيد والارتقاء إلى مستويات أعلى من النجاح. ومن هذا المنطلق باتت كل الهياكل الرياضية تعمل على توفير مناخ عام للتعريف بالكفاءات والأبطال في جلّ القطاعات الرياضة.

فطارق جرايا وغيره من الرياضيين مثّلوا تونس أحسن تمثيل سواء داخل البلاد أو خارجها، لذلك من الطبيعي أن يكونوا تحت المجهر للتعريف بإنجازاتهم، ولمَ لا تشجيع الأندية على التعويل على خدماتهم في المستقبل والتعاقد مع هذا الجيل الجديد من المدربين المحليين الشبان، ويبقى الترجي الرياضي التونسي والنادي الأفريقي أحسن مثال يُحتذى به.

فالترجي منح الثقة التامة للمدرب معين الشعباني وتمسّك به في أصعب الظروف. والآن هو يجني ثمار إصراره على خوض هذا التحدي. وعلى هذا المنوال أعطى النادي الأفريقي كل الصلاحيات للمدرب الشاب لسعد الدريدي والنتيجة كانت تحسنا ملحوظا ونتائج لافتة للفريق. لذلك يتوجب على الأندية التونسية فسح المجال أمام كفاءاتها وفي كل الرياضات حتى تثبت وجودها وترسم خارطة جديدة للرياضة التونسية ضمن كبار العالم.

من الضروري أن تقوم كل جهة مسؤولة في قطاع الرياضة بالاحتفاء بقصص النجاح وتكريم أصحابها وأبطالها ونشرها إعلاميّا، كما ينبغي على الناجحين أنفسهم أن يبادروا إلى كتابة قصصهم وتدوينها لتشاركهم الناس فرحتهم وإصرارهم على النجاح، مع ضرورة أن تكون قصصا حقيقية وتشكّل قيمة مضافة.

رغم نجاح المدربين الشبان إلى حد الآن إلا أن الطريق لا تزال طويلة أمام البعض وما زال الكثير منهم يواجه عديد المشاكل والمصاعب التي تحول دون تحقيق النجاح.

> جرايا لا يخفي إعجابه بنجاح معين الشعباني مع الترجي والذي بات قيمة ثابتة، وأكد أنه تعامل معه لفترة حين أشرفنا معا على تدريب نادي حمام الأنف

وفي هذا الصدد تحدث طارق جرايا لـ"العرب"، قائلا "مشكلة المدرب الشاب في تونس وفي العالم العربي ما زالت قائمة نظرا إلى عدة أسباب من بينها صعوبة رؤساء الأندية، فهم لا يؤمنون بالشبان ولا يمنحون الثقة للبعض منهم لاسيما أبناء النادي". وأضاف جرايا "طريق المدرب التونسي الشاب صعب جدا، فلا بد على الأندية أن تعمل على فسح المجال أمام الصاعدين لكي يكتسبوا التجربة، كذلك ما زلنا نفتقر إلى الاهتمام الإعلامي الكبير".

وأكد جرايا قائلا أنه يستلهم تجربته من المدربيْن الكبيريْن فوزي البنزرتي ويوسف الزواوي، ويعتبرهما مرجعا للتدريب في تونس وخارج أرضها باعتبارهما حققا نجاحات كبيرة مع كل الفرق التي أشرفا على قيادتها.

وحول المدربين الشبان لا يُخفي جرايا إعجابه بنجاح المدرب معين الشعباني مع الترجي والذي بات قيمة ثابتة، وقال في تصريح لـ"العرب"، "تعاملت مع الشعباني لفترة حين أشرفنا معا على تدريب نادي حمام الأنف، وكنت دائما أتنبأ بنجاح هذا المدرب الشاب ورغم أن الأخير يتفوّق على بقية المدربين الشبان في تونس بفوزه ببطولتي رابطة الأبطال الأفريقية، إلا أننا الآن نحن في تنافس شديد".

وختم حديثه بالقول "مكانة المدرب التونسي والكفاءات التونسية مشرّفة جدا في الدوريات العربية.. فأغلبية المحطات التي مرت بها كانت ناجحة.. أريد التأكيد على أنا المدرب التونسي كفاءة كبيرة ومشهود لها في تونس وخارجها".

وأضاف "نطالب بالمزيد من الاهتمام والمتابعة وضرورة منح الفرص والإيمان بقدرات المدربين الصاعدين على غرار ما يدور في أكبر الدوريات العالمية الكبرى، فأغلبية الأندية الناجحة يقودها مدربون شبان، وهناك أمثلة عديدة لعل أبرزها بايرن ميونيخ ومانشستر سيتي وريال مدريد وغيرها من الفرق العالمية الكبرى".

وختم بالقول "من هذا المنطلق بات المدرب التونسي الشاب رهن إشارة الأندية ورؤسائها لكي يؤكد علوّ كعب المدرب التونسي وارتفاع أسهمه على المستويات المحلية والإقليمية والقارية".

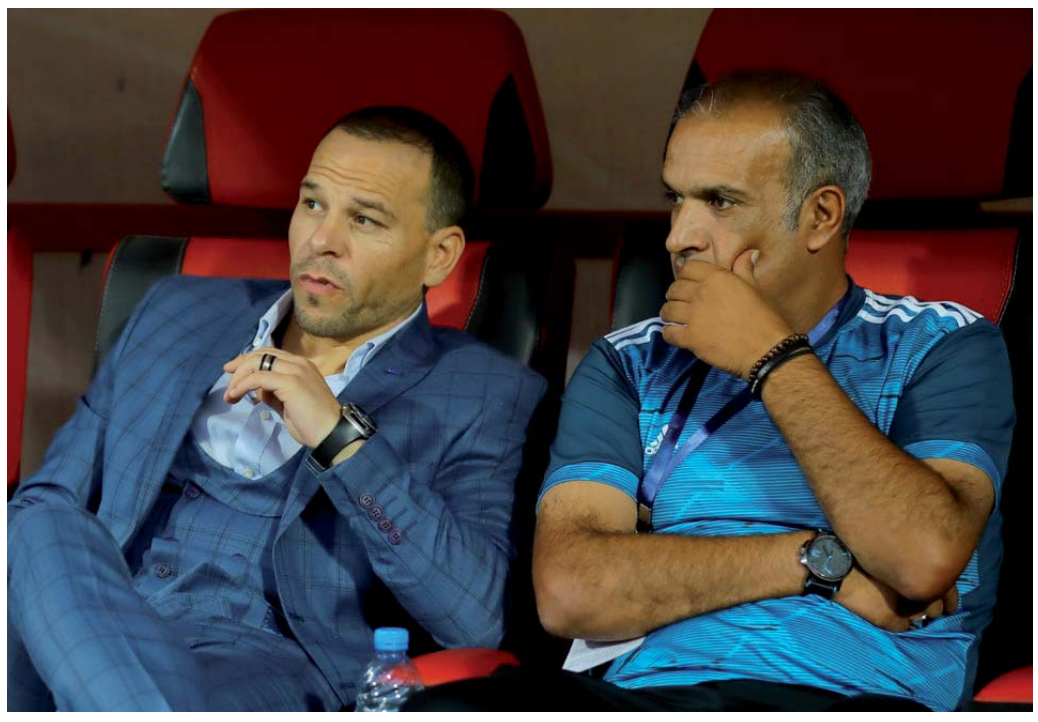

طارق جرايا يقول إنه يستلهم تجربته من المدربين الكبيرين فوزي البنزرتي ويوسف الزواوي ويعتبرهما مرجعا للتدريب في تونس وخارجها.

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

الرجاء يتحدّى مولودية الجزائر في كأس محمد السادس للأندية

الفريق المغربي يتسلح بأسبقية الذهاب لحسم ورقة المربع الذهبي

تتجه أنظار عشاق كرة القدم العربية إلى المركب الرياضي محمد الخامس، الأحد، لمتابعة لقاء قمة بين الرجاء المغربي ومضيفه مولودية الجزائر، يرى محللون أنه يعطي الأولوية للفريق المغربي لحسم ورقة المربع الذهبي بعدما أنهى لقاء الذهاب لصالحه في الجزائر 2 – 1.

عناصر متوهجة

الرباط – يخوض فريق الرجاء البيضاوي المغربي الأحد لقاء قمة حاسما أمام مضيفه مولودية الجزائر رافعا شعار التحدي ضمن جولة إياب بطولة كأس محمد السادس للأندية العربية الأبطال التي سيحتضنها مركب محمد الخامس في المغرب.

ويتسلح الفريق المغربي بأسبقية النتيجة والتي ستكون خير داعم له لكسب ورقة العبور أمام خصمه الجزائري الذي انقاد إلى الهزيمة ذهابا 1 – 2 مما يصعّب مهمته خصوصا أنه سيخوض اللقاء أمام فريق سيلعب على أرضه وأمام جماهيره.

لكن طاهر بلخيري الناطق الرسمي باسم مولودية الجزائر عبر عن تفاؤله الشديد بقدرة فريقه على العودة بنتيجة إيجابية من ملعب الرجاء بالذات.

وقال بلخيري "تنتظرنا مباراة صعبة للغاية، نعلم أن المهمة ستكون معقدة أمام خصم يلعب جيدا على ملعبه". وأضاف "نحن ذاهبون إلى المغرب من أجل تشريف قميص مولودية الجزائر، صحيح أن الفريق يمر بظروف صعبة، إلا أن القادم سيكون أجمل".

وأضاف قائلا "أؤكد أن إدارة الفريق حريصة على تصحيح الأمور وتوفير جميع الشروط والمتطلبات للخروج من نفق الأزمات".

ويعاني الفريق الجزائري من عدة أزمات ستصعّب مهمته ومنها مشكلة الجهاز الفني، إذ عمد مؤخرا إلى إقالة مدربه الفرنسي برنارد كازوني على خلفية تراجع النتائج وعجزه عن تحقيق أهداف الفريق وأعلن تعاقده مع الجزائري نبيل نغيز.

وأكد مجلس إدارة الفريق الجزائري مؤخرا، أن نغيز (47 عاما) –وهو أحد الوجوه الجزائرية التي برزت في عالم التدريب في الفترة الأخيرة– سيتولى مسؤولية تدريب الفريق الأول لكرة القدم لمدة 18 شهرا قابلة للتجديد.

وستكون المهمة الأولى لنغيز بمثابة تحدّ مع النادي العاصمي خارج قواعده عندما يواجه الرجاء الأحد على أرضه وهو متأخر في النتيجة في لقاء الذهاب.

وقال بلخيري "تخلصنا من أزمة الجهاز الفني، واتفقنا مع نغيز على أن يباشر مهامه مبكرا، أؤكد أنه جاهز لرفع التحدي أمام الرجاء من أجل بلوغ المربع الذهبي والمنافسة على اللقب".

وفي الطرف المقابل لا يخلو الفريق المغربي هو الآخر من أزمات لعل أبرزها مشكلة الإجهاد البدني الذي يتعرض له اللاعبون نتيجة المنافسة على أكثر من جبهة، ومنها الدوري المحلي ودوي رابطة أبطال أفريقيا والأهم من ذلك بطولة كأس محمد السادس.

وأكد جمال السلامي مدرب الرجاء في تصريح حصري، أنّه يولي أهمية كبيرة لبطولة كأس محمد السادس والتي سيقارع فيها فريقه مولودية الجزائر من أجل كسب ورقة المربع الذهبي.

وقال السلامي في تصريحات إذاعية إن "فريقه لن ينزل يديه في الدوري رغم الاهتمام بالبطولة العربية". وأضاف "لنكن واضحين؛ الأولوية بطبيعة الحال هي لمسابقة كأس محمد السادس، إلا أننا سنتعامل مع باقي لقاءات الدوري المغربي بما تقتضيه من أهمية وتركيز".

ويرى مدرب الرجاء أن مشاركة الرجاء في دوري أبطال أفريقيا للنسخة الحالية كانت بسبب الترتيب الذي حصده الفريق في الموسم الماضي، وصافة الدوري المحلي، لذلك سينافس هذا الموسم أيضا للبقاء في دائرة الصدارة ولن يتنازل عنها.

وكان الرجاء قد استعاد نغمة الانتصارات التي غابت عن الفريق في المرحلتين الماضيتين ببطولة الدوري وذلك عقب فوزه الثمين 2 – 1 على ضيفه أولمبيك خريبكة ضمن المرحلة الرابعة عشرة للمسابقة، والتي شهدت أيضا فوز حسنية أغادير على ضيفه اتحاد طنجة بنفس النتيجة.

وارتفع رصيد الرجاء، الذي تعادل مع نهضة بركان ومولودية وجدة في المرحلتين الماضيتين، إلى 25 نقطة في المركز الثالث وله مباراتان مؤجلتان.

ولم ينكر السلامي وجود صعوبات يعاني منها فريقه ومنها ضغط الرزنامة والأجندة، لكنه أكد في المقابل أن فريقه مطالب بالتعامل مع كل هذه الوضعيات وتكييف المجهودات بنوع من الذكاء لكي "لا نضيّع أي رهان من هذه الرهانات".

> الرجاء يتسلح بأسبقية الذهاب التي ستكون خير داعم له لكسب ورقة العبور أمام خصمه الجزائري الذي انقاد إلى الهزيمة 1 – 2

ويعيش الرجاء البيضاوي حالة من القلق بسبب تردّد نجمه عبدالإله الحافيظي في الاستجابة لمقترح تمديد عقده مع الفريق الذي ينتهي في ختام الموسم الحالي.

وتلقى الحافيظي عدة عروض من أحد الأندية القطرية الكبيرة إلى جانب ناديين سعوديين، وآخر من تركيا، إذ تسعى كل هذه الأندية إلى استغلال دخول اللاعب فترة الأشهر الستة الأخيرة من عقده للفوز به مجانا، الأمر الذي يثير رعبا حقيقيا داخل أروقة الرجاء.

كما دخل فريق الوداد على خط الأزمة بحسب مصدر مقرب أقر بتقديم الغريم التاريخي للرجاء عرضا خياليا غير مسبوق للحافيظي يفوق 600 ألف دولار للموسم الواحد.

ويحاول الرجاء جاهدا إقناع الحافيظي الذي أمضى ستة مواسم برفقة الفريق للاستمرار في صفوفه، إلا أن عدم قدرة الرجاء على مجاراة قوة العروض المقدمة للاعب يمثل معضلة كبرى في طريق الرجاويين.

كما أن التجديد للحافيظي بمبلغ كبير سيضع الرجاء أمام أزمة كبيرة، لاسيما أن عددا من نجوم الفريق يطالبون بتحسين شروط تعاقدهم بعد تألقهم في الموسم الحالي، وفي مقدمتهم محسن متولي (قائد الفريق)، والحارس أنس الزنيتي، الأمر الذي قد يفتح بابا عاصفا في وجه الإدارة الفنية.

ويرى محللون أن كل هذه المشاكل التي تعصف بالفريق من شأنها أن تؤثر على سير اللقاء رغم أهمية الرهان، لكنهم في المقابل يؤكدون أن الرجاء يبدو الأكثر جاهزية معنويا من نظيره الجزائري وهو المرشح لحسم ورقة العبور.

وتبدو الأولوية لصالح الفريق المغربي الذي يعول كثيرا على حضور جماهيره إضافة إلى أنه سيدخل اللقاء دون ضغط، لكن ما يراه متابعون أن هذا النوع من اللقاءات يصعب التنبؤ بنتيجته.

ويلاقي الفائز من لقاء الرجاء المغربي ومولودية الجزائر فريق الإسماعيلي المصري الذي بلغ الدور نصف النهائي بعد إقصائه الاتحاد السكندري.

بايل وديمبيلي.. غريبا برشلونة وريال

مراد البرهومي
كاتب صحافي تونسي

هما وجهان لعملة واحدة. هما لاعبان لا يعيشان أفضل فترات مسيرتهما الكروية. هما نجمان توقع لهما الجميع توهجا دائما، لكن لا شيء كثيرا تحقق إلى اليوم.

هما لاعبان مختلفان وما حف بمسيرتيهما يبدو مختلفا تمام الاختلاف، ووجهتهما هي أيضا متناقضة. فالأول يتقمص زي ريال مدريد، والثاني يلعب لفائدة الغريم الدائم برشلونة.

رغم الاختلاف الواضح في كل شيء، وفي كل مراحل تدرجهما نحو معقلي زعيمي إسبانيا، إلا أن ثمة بعض التفاصيل البسيطة والطريفة أيضا تجعلهما بشكل أو بآخر وجهين لعملة واحدة، هما أيضا يتقاسمان صفة الغريب في البيت.

هذا الحديث يخص الفرنسي عثمان ديمبيلي مهاجم برشلونة، والويلزي غاريث بايل نجم ريال مدريد. فكل منهما سار في طريق مغايرة وشهدت كافة مراحل بدايتهما أطوارا متباينة لكنهما باتا اليوم متشابهين إلى حد التماهي.

لقد تقاطعت بينهما السبل واختار كل منهما طريقه المنفردة، فالتقيا على أرض المنافسة الإسبانية، فخسر ديمبيلي ذلك "الزجاجي" الرهان إلى حد اللحظة، وخرج بايل ذلك "المتقاعس" من دائرة الرهان.

فديمبيلي الذي دفع برشلونة من أجله أموالا طائلة من أجل تقوية خط هجومه لم يقو إلى غاية موسمه الثالث مع الفريق على تقديم أي شيء، وبايل الذي لهث وراءه الريال منذ سنوات وتعاقد معه بغية تحقيق الإضافة المرجوة، بات اليوم لاعبا غير مرغوب فيه، بل هو زائد عن النصاب.

تقاطعت الطرق بين اللاعبين وكانت البدايات مختلفة كثيرا، فبايل بدأ يتحسس مسار التألق والبروز في الدوري الإنجليزي إذ لعب مع ساوثهامبتون ثم توتنهام ومنه إلى ريال مدريد الذي ضمه سنة 2013 كي يشكل ثنائيا استثنائيا مع اللاعب السابق للفريق كريستيانو رونالدو.

لمع نسبيا في موسمه الأول ووقّع أوراق اعتماده، ساعد الريال في بعض المباريات الحاسمة على تحقيق الفوز والتتويجات على غرار ما حصل في نهائي دوري الأبطال في الموسم قبل الماضي بتسجيله هدفين في مرمى ليفربول.

لكن سبع سنوات مع الريال لم تكن كلها رائعة، بل مرّ بايل بمراحل صعبة وعاش أيضا بعض السنوات العجاف، لقد حدّت الإصابات المتتالية من قدراته، جعلته في أغلب الأحيان خارج الاهتمامات.

أما ديمبيلي فقد بدأ مسيرته رويدا رويدا، تألق مع رين الفرنسي قبل أن ينطلق نحو الدوري الألماني من بوابة بوروسيا دورتموند، ومع بداية موسم 2017 ـ 2018 بذل القائمون على برشلونة كل جهودهم من أجل التعاقد معه.

لقد رأوا فيه نموذج اللاعب القادر على تعويض الرحيل المفاجئ لنيمار في تلك الفترة، قدم بمبلغ قياسي، جاء نجما لا أحد شكك في قدراته، حلّ بالمعسكر الكتالوني وقد يجاور ميسي وسواريز ويشكل معهما ثالوثا هجوميا مرعبا، لكن..

لكن لا شيء من هذا الأمر حدث، إذ بدا ديمبيلي وكأنه لم يتعاقد مع برشلونة بل تعاقد مع الإصابات التي لاحقته على امتداد مسيرته مع برشلونة.

في الوقت الذي خرج خلاله بايل من حسابات مدرب الريال زين الدين زيدان، حيث اعتبره لاعبا متقاعسا و"متمردا" لا يبذل أي جهود من أجل تطوير أدائه والاندماج صلب المجموعة، كان ديمبيلي يسابق الزمن من جل التعافي من الإصابة التي تعرض لها في بداية الموسم.

بيد أنه لم يقدر على كسب معركته مع الإصابات، لقد تأكد أنه لاعب "ربما صنع من زجاج"، فبمجرد تعافيه من الإصابة القديمة سقط مجددا "فريسة" سهلة لإصابة جديدة ستبعده عن الملاعب إلى آخر الموسم.

لقد لاح جليا أنه خسر رهانه وانحنى لمشيئة الإصابة، ومعه خسر برشلونة الرهان على لاعب لم يقو على البقاء لفترة طويلة في الملاعب.

خسارة برشلونة تعاظمت، ففي الوقت الذي تمنى فيه عشاق الفريق أن يكسب ديمبيلي معركته مع الإصابات كي يكون معوض سواريز المصاب بدوره في ظل تواضع أداء غريزمان، سقط هذا اللاعب من جديد.

ربما تكون سقطته الأخيرة في قلعة البلوغرانا التي بدت أرضيتها زجاجية ترنح فوقها ديمبيلي وفشل من جديد، ربما يكون في المستقبل القريب خارج الأسوار كي يواصل رحلة كفاحه ضد الإصابات.

سيرينا تتخطى عقبة أوستابنكو في كأس الاتحاد

واشنطن – تمكنت الأميركية سيرينا وليامز من تخطي عقبة منافستها اللاتفية الشابة إيلينا أوستابنكو بشق الأنفس لتمنح منتخب بلادها تقدما بواقع 2 – 0 في ختام مباريات الليلة الماضية في تصفيات كأس الاتحاد للتنس لفرق السيدات في مدينة سياتل الأميركية.

ولعبت خبرة وليامز الطويلة وقدراتها الهائلة دورا حاسما في الفوز على اللاعبة اللاتفية (22 عاما) بعد مباراة استمرت ساعة واحدة و46 دقيقة.

وقالت وليامز بعد الانتصار الصعب "لعبت في حضور الكثير من الجماهير من قبل، لكني أعتقد أنني لم أواجه قط جمهورا بهذا الصخب".

وجاء فوز وليامز الحاصلة على 23 لقبا في البطولات الكبرى بعد فوز مواطنتها صوفيا كينين بطلة أستراليا المفتوحة 6 – 2 و6 – 2 على أنستاسيا سيفاستوفا ليتقدم المنتخب الأميركي 2 – 0 قبل عودة المباريات في وقت لاحق أمس السبت. وسبق للمنتخب الأميركي الفوز بلقب البطولة 18 مرة. وقبل ذلك تجرعت نعومي أوساكا هزيمة منكرة مع عودتها للفريق الياباني في البطولة بعد غياب دام عاما، حيث خسرت المصنفة العاشرة عالميا 6 – 0 و6 – 3 أمام الإسبانية سارة سوريبيس تورمو.

وكان من المتوقع أن تمنح أوساكا الفائزة بلقبين في البطولات الأربع الكبرى اليابان دفعة معنوية هائلة في محاولتها للفوز على مستضيفتها إسبانيا التي سبق لها الفوز باللقب خمس مرات لكنها تعرضت لهزيمة مذلة.

وارتكبت أوساكا، التي حرمتها الواعدة كوكو جوف من الدفاع عن لقبها في أستراليا المفتوحة، 50 خطأ سهلا في عرض سيء أمام المصنفة 78 عالميا.

وبعدها فازت كارلا سواريز نافارو، التي تخوض آخر مباراة لها على أرضها مع الفريق الإسباني، على اليابانية ميساكي دوي لتضع إسبانيا في المقدمة 2 – 0 قبل منافسات الفردي المعكوس السبت. وستشارك فرنسا حاملة اللقب وأستراليا الوصيفة وجمهورية التشيك (ببطاقة دعوة) والمجر صاحبة الضيافة في النسخة المعدلة لتتبقى ثمانية مراكز أخرى ستحسم من خلال التصفيات هذا الأسبوع.

منتخبات الشباب تكثف استعدادها لكأس العرب بالسعودية

الرياض – مع اقتراب موعد كأس العرب للشباب (تحت 20 سنة) التي ستنطلق هذا الشهر في السعودية، شرعت عدّة منتخبات في خوض معسكرات تدريب استعدادا لمنافسات هذه البطولة العربية المرتقبة.

وسيشارك في هذه البطولة في نسختها الرابعة العديد من المنتخبات العربية الشابة، وهي البطولة التي سيبدأ التنافس على لقبها في الأراضي السعودية في منتصف هذا الشهر.

وفي إطار استعداده لخوض هذه البطولة توجه المنتخب العراقي للشباب، السبت، إلى المملكة العربية السعودية للدخول في معسكر تدريبي بمدينة الدمام سيتواصل إلى غاية 15 فبراير الحالي.

مراهن حقيقي على اللقب

وسيلاقي المنتخب العراقي نظيره الأخضر السعودي في مباراتين وديتين يومي 10 و13 فبراير على ملعب الأمير محمد بن فهد بالدمام تحضيرا للبطولة.

ويعتبر المنتخب السعودي من المرشحين البارزين لحصد لقب البطولة بعد النتائج المميزة التي حققها في بطولة آسيا للشباب التي أقيمت في تايلاند، وتمكن خلالها من حجز بطاقة الألعاب الأولمبية بطوكيو بعد غياب دام 24 عاما.

وبلغ الأخضر السعودي المباراة النهائية في إنجاز لافت شدّ إليه عشاق الكرة العربية، وأثنى خلاله سعد الشهري مدرب المنتخب على كتيبته وتميّزها الكبير، مؤكدا أن لاعبيه كانوا في مستوى المسؤولية وتمكنوا من تحقيق الهدف المنشود.

ومن جانبه أعلن مدرب منتخب الإمارات للشباب اليوناني كولومبوداس أنه وقع الاختيار على 27 لاعبا لخوض بطولة كأس العرب.

وقرر المدير الفني للأبيض الدخول في معسكر تدريبي انطلق الخميس الماضي بدبي وينتظر أن يخوض خلاله عددا من اللقاءات الودية. كما أعلن منتخب الكويت للشباب أنه سيخوض مباراتين وديتين في الإمارات يومي 13 و14 فبراير الجاري استعدادا لخوض منافسات كأس العرب.

ومن جهته وجه ماهر الكنزاري، المدير الفني لمنتخب تونس للشباب، الدعوة إلى 26 لاعبا من أجل المشاركة في المعسكر الأخير الإعدادي لكأس العرب للشباب. وقرر الجهاز الفني لـ"نسور قرطاج" الدخول في معسكر تدريبي ينطلق غدا الاثنين ويستمر حتى موعد السفر إلى مدينة الدمام التي ستحتضن المسابقة العربية.

وكانت قرعة بطولة كأس العرب التي سحبت الشهر الماضي أفرزت أربع مجموعات، تضم الأولى العراق وتونس وموريتانيا والكويت، وتضم الثانية المغرب والبحرين وقطر وجيبوتي، بينما تضم المجموعة الثالثة السعودية وفلسطين والجزائر ومصر، أما المجموعة الرابعة فيمثلها السودان وليبيا والإمارات وجزر القمر.

وتقام مباريات المجموعتين الثانية والرابعة في الرياض على ملعب الأمير فيصل بن فهد وعلى ملعب نادي الرياض، بينما تستضيف مدينة الدمام لقاءات المجموعة الثالثة على ملعب الأمير محمد بن فهد، وتحتضن مدينة الخبر منافسات المجموعة الأولى على ملعب مدينة الأمير سعود بن جلوي الرياضية.

العرب
الأحد 2020/02/09
السنة 42 العدد 11612

«جسد يغني وصوت يرقص».. المسرح التونسي ينتصر للمرأة

احتضنت تونس تظاهرة «نسانا ع الركح" لتحارب الأفكار والعقليات الرافضة للمرأة الفنانة ولصعودها على خشبة المسرح، ولتنتصر لها بفتح المجال أمامها لتمارس هواية المسرح علنا.

الانطلاق نحو الحرية عبر المسرح (أحد عروض التظاهرة من موقع فيسبوك)

مدنين (تونس) – احتفت تظاهرة «نسانا ع الركح" (نساؤنا على خشبة المسرح) بالمرأة في الجنوب التونسي وقدمت لها الفرصة لتصعد على خشبة المسرح وتعبّر وتقول ما يخالجها بطرق فنية متعددة، دون خوف من مواجهة العقليات الرافضة لانطلاقة المرأة الفنانة في كل المجالات والفنون.

وانطلقت الدورة الثانية لهذه التظاهرة التي تنظمها جمعية فسيفساء "موزاييك" في محافظة مدنين (جنوب شرق تونس)، تحت شعار "جسد يغني وصوت يرقص"، بعرض مسرحي موسيقي راقص بعنوان «فرادي الرحى» أثثه 16 شخصا بين ذكور وإناث، لتحيد بذلك عن المنحى الإقصائي الذي يحيل عليه عنوانها.

ووفقا لوكالة الأنباء التونسية (وات)، قالت حفيظة لمين، رئيسة الجمعية ومخرجة العرض "فرادي الرحى"، إن هذه الرسالة تهدف إلى تغيير العقلية بالمشاركة بين المرأة والرجل جنبا إلى جنب في التفكير في المحظورات ومحاربة الأحكام الأخلاقية المسلطة على المرأة والتي تمنعها من ممارسة حريتها الشخصية وتحرمها من بعض الفنون.

وتوسطت الرحى خشبة المسرح ودارت حولها أطوار حكاية جابر وبن جابر، الشخصيتين المحوريتين في العرض، ليسترجعا ذكريات الماضي بما يحمله من أفراح وجراح، وبينهما المرأة الأم والأخت والحبيبة والصديقة، ووسط هذا المسار حضر عبق الرقص والموسيقى المستوحى من الموروث الثقافي للجهة.

وعملت جمعية "موزاييك" القائمة على هذه التظاهرة قرابة السنة من أجل تقديم هذا العرض نظرا إلى محدودية الإمكانيات.

ونجحت الجمعية في جعل العرض –وهو فسيفساء من الموسيقى والمسرح والشعر مستوحاة من الموروث الشعري للجنوب الشرقي– يستجيب لتقنيات حسن توظيف وتثمين التراث الفني الخصب للمحافظة الجنوبية، وأن ينال إعجاب الجمهور الذي تفاعل معه واسترجع جزءا بسيطا من تراثه المنسي، بحسب القائمين على العرض.

كما بحثت فعاليات التظاهرة في ندوة فكرية دار موضوعها حول مسألة "المرأة والركح" تخللتها قراءات شعرية وفقرات موسيقية، بالإضافة إلى أنها قدمت عروضا موسيقية وعروض تعبيرات جسمانية، منها المختلطة ومنها النسائية فقط على غرار عرض فلكلوري في التعبير الجسماني أدته فتيات.

وعرضت جمعية "موزاييك" آخر إنتاجاتها في هذه الدورة تحت عنوان "حكايات منسية حكايات مضوية"، وهو عرض فني درامي يتوج مشروع الجمعية الذي تم تنفيذه بتمويل من برنامج الأمم المتحدة الإنمائي لفائدة 15 امرأة ربة بيت، تلقّين تكوينا في ثلاثة اختصاصات هي الرسم والنسيج الفني والتنصيبة الفنية وأنتجن عدة مخرجات أثثن بها معرضا فنيا، وفي هذه الدورة تحدثن عن تجربتهن وكيف تحدين العقليات وكسرن الصمت وانطلقن من التردد إلى عتق الحرية.

سماع بيتهوفن من خلال اللمس في المجر

بودابست – تمكنت المجرية سوزانا فولدي، على الرغم من أنها صماء منذ طفولتها، من الاستمتاع والشعور حرفيا بالسيمفونية الخامسة الشهيرة للموسيقار العالمي لودفيغ فان بيتهوفن من خلال وضع يديها على آلة الكونترباس والجلوس بين الموسيقيين في أوركسترا دانوبيا في بودابست.

وقالت فولدي (67 عاما) "عندما جلست بجوار الموسيقي الذي كان يعزف على الكونترباس (...) بدأت أبكي".

وفولدي الآن ضمن مجموعة تضم أطفالا، يعاني كل أفرادها من ضعف السمع واستطاعوا أن" يستمعوا" من خلال لمس السيمفونية الخامسة لبيتهوفن التي دخلت تاريخ الموسيقى باسم ضربة القدر.

ويجلس بعض المستمعين بجوار الموسيقيين ويضعون أيديهم على الآلات الموسيقية للشعور بالاهتزازات. ويمسك آخرون ببالونات لنقل اهتزاز الصوت. ويتم إعطاء البعض سماعات خاصة فائقة الحساسية.

وأشار ماتي هاموري، قائد الأوركسترا الذي ينظم سلسلة من الحفلات هذا الربيع للصم، إلى أن الهدف هو نقل الموسيقى إلى الناس الذين باستثناء ذلك لن يجدوا فرصة للاستمتاع بها، ولفت الانتباه إلى مشكلات السمع التي غالبا ما يتم تجاهلها.

وقالت ارزبيت دوداس، التي فقدت السمع في إحدى أذنيها عندما كان عمرها 35 عاما وفقدت السمع في الأخرى قبل ست سنوات، إنها اعتادت سماع موسيقى الجاز والموسيقى الكلاسيكية ولكنها لم تستمع مطلقا للموسيقار الألماني الشهير.

وأضافت دوداس (75 عاما) "هنا عندما تعزف كل الآلات الوترية تعطي اهتزازا قويا جدا. ليس من قبيل المصادفة أنه كتب هذا النوع من الموسيقى".

وتدهور سمع بيتهوفن تدريجيا وكتب السيمفونية الخامسة بالفعل مع فقد سمعه في ما بين 1804 و1808.

كلب يطالب شركة طيران دنماركية بتعويض

كوبنهاغن – كشف رئيس هيئة النقل الجوي في الدنمارك أن شركة طيران إقليمية دنماركية قد تدفع تعويضا لكلب بعدما جرى إلغاء رحلته القصيرة في إيطاليا.

وكان قد تم حجز رحلة طيران في الصباح الباكر للكلب الذي يدعى جاك من باليرمو إلى لامبيدوسا في 14 يناير الماضي. وألغيت الرحلة لأسباب فنية وقدم مالكا الكلب طلبا للحصول على تعويض.

وكان مالكا الكلب قد حصلا بالفعل على 250 يورو (273 دولارا) لكل منهما، وهو المبلغ المسموح به بموجب القواعد الأوروبية للمسافات الأقل من 1500 كيلومتر. والآن يطالبان بنفس المبلغ للكلب الذي تبلغ تكلفة تذكرته الأصلية 27 يورو.

ولا يحدد قانون الاتحاد الأوروبي الذي يحكم التعويضات للركاب الذين تم إلغاء رحلاتهم أو تأجيلها ما إذا كان البشر فقط هم الذين يستحقون الحصول على تعويض.

وأشار جاسبر رونغهولم، الرئيس التنفيذي لهيئة النقل الجوي الدنماركية، إلى أن "الأمر جنوني مثلما يبدو ولكن القصة حقيقية"، واصفا قواعد الاتحاد الأوروبي بأنها مثيرة للجدل بشدة.

وأضاف رونغهولم أنه تلقى مشورة بدفع تعويض للكلب، قائلا "ولكن الكلب ملكية، ولا يمكن المطالبة بتعويض لملكية".

وتابع أن شركة الطيران لم ترفض الطلب ولكنها تسعى حاليا لإيجاد حل.

وقالت مونتسيرات باريغا، رئيسة رابطة طيران المناطق الأوروبية، في تغريدة إنه في حال حصل جاك على تعويض، فإنه سوف يصبح أول كلب يحصل على تعويض بموجب قواعد الاتحاد الأوروبي.

تستعد الفنانة الجزائرية، سعاد ماسي، للمشاركة في حفلة افتتاح فعاليات الدورة الأولى من مهرجان «هاي أبوظبي» الثقافي، وهو تجربة فنية وثقافية غير مسبوقة تجمع أكثر من 99 كاتبا عالميا من نخبة الكتاب والمثقفين في العالم، وتوليفة مميزة من الفنانين والاستعراضيين من 20 دولة مختلفة، في الإمارات.

صباح العرب

عدلي صادق

ذهب مع الريح

لا زال الميكروباص هو وسيلة المواصلات الأكثر رواجاً في المدن المزدحمة. ولأن العربات في حركة المرور تتداخل عشوائياً في المسافات الفاصلة بين كل إشارة ضوئية وأخرى؛ فإن الميكروباص، أصبح مُسبب القلق والحذر لسائقي العربات الأخرى. هو يقف في أي موضع لكي يستوعب راكباً أو لإنزال راكب، فيعطل انسياب الحركة. وفي مفاصل معينة، ينتظره راكبون كُثر، المتعجل منهم يحشر نفسه بلا مقعد، والمتمهل ينتظر عربة أخرى يتاح له فيها أن يجلس. والأمر في المحصلة يتعلق بثمن الذهاب إلى العمل أو العودة منه. فما يُتاح بثمن زهيد للوصول إلى الوجهة المقصودة، ليس له أي بديل سوى عربات التاكسي، التي سيكون ثمن الانتقال بها عشرة أضعاف. وهذا ما لا يستطيع العامل دفعه، لأنه سيلتهم أجره.

في عربة الميكروباص، يكون اختلاط الجنسين جبرياً. فلو حل الشاب المتطلع إلى الزواج، زائراً لبيت أسرة يطمح إلى الاقتران بابنة لها؛ ربما يصعب أن تخرج البنت إلى الصالة لتقديم القهوة والسلام على الضيف، جرياً على عادة الفصل بين الجنسين. لكن البنت نفسها، عند خروجها إلى العمل أو إلى الجامعة، قد تجد الشاب نفسه جالساً ملاصقاً لها في الميكروباص. وربما كان التجالس المتكرر أسبق من الزيارة ومنشئ سببها. فللعربة تقاليدها، وللبيوت تقاليد أخرى. ومثلما تفرض البحبوحة المادية في طبيعتها الأرستقراطية، أسباب وفرص الاختلاط، فإن الفقر يفعل الشيء نفسه لأسباب مغايرة. وهذا الذي جعل علم الاجتماع يؤكد على أن الطبقة الوسطى هي حاملة التقاليد بصرامة. فكلما اتسعت ترسخت طبائع المجتمع، وإن ضيّقت الرأسمالية المتوحشة الطبقة الوسطى، ستطيح الجبريات الكثيرة ببعض المحاذير الاجتماعية. لكن هذه الجبريات، لها منافعها، إذ لطالما كان الحشر في الميكروباص سبباً لوقوع النصيب، بدءاً بالتعارف ثم التواصل وانتهاءً بالزواج.

في مواقف انتظار العربة، تلتزم البنت الجميلة أدبها الأسري، فيما هي مضطرة إلى وسيلة المواصلات الحشرية زهيدة الثمن. ويرتجل الشاب الراغب في الاقتراب منها، أي كلام لفتح محادثة. ربما يذهب إلى المبالغة في وصف قدراته الكبيرة على مواجهة أعباء الحياة، ترغيباً للفتاة بطريقة غير مباشرة. فهو ميسور الحال والمسكن جاهز والأم طيبة. غير أن عنصر الجمال يفرض استحقاقه. فالجميلة لا تطمح إلى راكب ميكروباص مثلها. ربما يكون الشاب، في حال التأجج العاطفي، قد نسي أنه محض زبون لعربة الحَشْر، بينما البنت تطمح إلى انطلاق، لذا فإن كلام الأول مع الثانية يكون قد ذهب مع الريح، وتكون البنت قد تعرفت على صيغة من صيغ التودد، أو وضعت الشاب أمام اختبار لمروءته، فيساعدها على حمل كيس بطاطس ابتاعته من بائع خضار متجول!

مجلة سورية تدعو قراءها إلى القيام برحلات استكشافية

دمشق – دعت مجلة سورية قراءها الأطفال إلى القيام برحلات استكشافية للمعالم الأثرية والتاريخية في سوريا والكتابة عن انطباعاتهم عن تلك الزيارات.

وحملت المبادرة التي أطلقتها مجلة "أسامة"، المتخصصة في كل ما يتعلق بالطفل، عنوان "أصدقاء ومعالم".

وبحسب وكالة الأنباء السورية (سانا)، قال رئيس تحرير المجلة الشاعر قحطان بيرقدار "المبادرة جديدة تتمثل في قيام ثلاثة أطفال برحلات استكشافية لمعالم أثرية وتاريخية عدة في مدينة دمشق، ووضع الفنان رامز حاج حسين سيناريو التمثيل لأدائهم الحركي".

وأشار رامز حاج حسين، المشرف الفني على المجلة، إلى أن "فكرة العمل تتمحور حول تعريف أصدقاء 'أسامة' بمعالمنا الأثرية وتاريخ بلدنا بطريقة عصرية مناسبة تتماشى مع التطورات التقنية التي بين أيدي أطفالنا وتقديم الوجبة العلمية لهم بقالب بصري جديد"، مبينا أن العمل مكون من حلقات عدة جهز منها حتى الآن زيارات لقلعة دمشق وخان أسعد باشا وقصر العظم.

معرض لندني يمنح زائريه فرصة التجول في لوحات غوخ

لندن – يتيح معرض فني في لندن لرواده فرصة التجول في أعمال الرسام الهولندي فينسنت فان غوخ وكأنهم جزء منها.

ويستعين معرض "تعرّف على فينسنت فان غوخ" المقام في ساوث بانك بالخاصية ثلاثية الأبعاد حتى يتيح لعشاق الرسام الهولندي الدخول إلى عالمه وإجراء جولات استكشافية والتقاط الصور التذكارية بأشهر لوحاته ومن بينها لوحة "غرفة نوم في آرل" التي ترجع إلى سنة 1888.

واعتمد المعرض، الذي يستمر إلى 21 مايو المقبل، مئات الرسائل التي كتبها فان غوخ، الذي انتحر في سن السابعة والثلاثين، إلى شقيقه تاجر الفن ثيو لإعادة إحياء الأعمال الفنية "بكلماته".

وسيحصل الزائرون على هدايا تذكارية بعد خوضهم هذه التجربة، تتمثل في نُسخ طِبق الأصل من أعمال الفنان، وهي مصممة باستخدام تقنية "ثلاثي الأبعاد" مقابل 17.500 جنيه إسترليني، وفقا لصحيفة ديلي ميل البريطانية.